ثمرة العقائد

مجموعة 350 عقيدة إسلامية

بالإشارة إلى 563 آية من القرآن و 373 حديثاً

ألّفه:

فضيلة الشيخ ثمير الدين القاسمي

ترجمه إلى العربية:

د. المفتي محمّدُ الله الخليلي

مكتبة ثمير، مانشستر، بريطانيا

اسم الكتاب: ثمرة العقائد

تأليف: فضيلة الشيخ ثمير الدين القاسمي

المترجم: د. المفتي محمّدُ الله الخليلي القاسمي

صفحات الكتاب: 455

سنة الطباعة: 1443/2022

للاتصال بالمؤلف:

Hadhrat Maulana Samiruddin Qasmi
70 Stamford Street, Old Trafford
Manchester, England - M16 9LL
Email: samiruddinqasmi@gmail.com
Mobile: (0044) 07459131157
Website: samiruddinbooks.co.uk

للاتصال بالمترجم:

Dr Mufti Muhammadullah Khalili Qasmi
Al-Salam Academy Deoband
(For Research &Translation)
Email: muhammadullah79@gmail.com
Mobile: (0091) 9457049675

فهرس الكتاب

المبحث الحادي عشر: الاستعانة بالله وحده 160

المبحث السابع عشر: احترام الصحابة ﷺ 210

المبحث الثامن عشر: حب أهل البيت من الإيمان 220

المبحث التاسع عشر: الخلافة 250

خصائص ثمرة العقائد

1. لقد كُتب الكتاب بلغة سهلة للغاية.
2. المعتقدات التي نحتاجها اليوم مذكورة.
3. تم عرض آيات وأحاديث واضحة لكل عقيدة.
4. بُذلت الجهود بأن يتفق أتباع جميع المذاهب الإسلامية.
5. يمكن للخطباء بأن يختاروا الآيات والأحاديث من هنا ويستخدموها في خطباتهم.
6. لغة الكتاب وأسلوبه رصين جدا ومفيد للناس من كل المذاهب.
7. في بداية كل مبحث ذُكر العدد الإجمالي للآيات والأحاديث المذكورة، وتم الاستشهاد بكل آية وكل حديث بمرجع كامل.
8. في هذا الكتاب، حوالي 350 عقيدة أساسية مع إشارات إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
9. هذا الكتاب يشتمل على 563 آية و 373 حديثًا لإثبات العقائد تحت 44 عنوانًا و 465 عنوانًا فرعيًا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمات سماحة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني

محدّث ورئيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، الهند

حامداً ومصلّياً ومسلّماً, أما بعد!

لقد وجدت فرصة لمشاهدة وقراءة العديد من أعمال الشيخ ثمير الدين القاسمي، على وجه الخصوص أعجبت بكتابيه: ثمرة الميرات والتقويم الثميري.

ثمرة العقائد هو تأليف حديث للشيخ ثمير الدين الذي يركز على المبادئ الأساسية للإسلام، والتي تم تجميعها بطريقة إيجابية وبسيطة تحت 44 عنوانًا. وقد التزم بإثبات هذه المعتقدات من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. يشتمل هذا الكتاب على عقائد أهل السنة والجماعة مع دحض أفكار الطوائف المنحرفة، وثُبتت جميع النقاشات بأدلة مناسبة من القرآن والحديث.

آمل أن يكون هذا الكتاب أفضل دليل لتعلم المعتقدات والحفاظ على الإيمان. تقبل الله تعالى هذا الكتاب وأفاد الأمة به.

أبو القاسم النعماني

8 محرم 1441هـ = 8 سبتمبر 2019م

كلمات فضيلة الشيخ عبد الخالق المدراسي

أستاذ الحديث ونائب رئيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، الهند

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أنعم الله على الشيخ ثمير الدين القاسمي ببركاته الخاصة والحظ السعيد. لديه باع طويل في علوم الدين وتصلب ديني ورؤية عظيمة، كلما يظهر أيديولوجية ضد أهل الحق، يشعر بالقلق ويبدأ قلمه في الكتابة عنه. في هذا العصر ظهرت عدة طوائف وأفكار غير إسلامية التي أهدفت عقائد المسلمين العامة وأرادت انحرافهم من الصراط المستقيم، لذلك تم لفت انتباه الشيخ إلى هذا الموضوع وظهر كتاب ضخم بعنوان "ثمرة العقائد". هذا الكتاب يشمل ثلاثمائة وخمسين عقيدة لأهل الحق بطريقة إيجابية مما يشير بأن هذا الكتاب أيضًا مثل كتبه الأخرى سيستقبله الناس وأهل العلم.

أوضح الشيخ ثمير الدين القاسمي في عمله الآخر "العلم والقرآن" بأن العلم خادم للقرآن الكريم. وإن الحقائق التي سبق أن أشار الله إليها في القرآن اكتشفها العلماء في هذا الزمان.

أهنئه وأدعو الله تعالى أن يجعله كتابًا مقبولا بين عامة الناس والخواص. آمين!

عبد الخالق المدراسي

05 محرم 1441هـ

كلمات فضيلة الشيخ عبد الخالق السنبهلي

أستاذ الحديث ونائب رئيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، الهند

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشيخ ثمير الدين القاسمي يمثل أهل الحق ويفسر أفكار علماء ديوبند. إنه يشعر بالألم عندما يرى مدرسة ديوبند تتعرض للهجوم، ولذلك قام بتأليف كتاب بعنوان "ثمرة العقائد" بطريقة شاملة للغاية ردًا على مختلف الأيديولوجيات المتضاربة والمعتقدات الفاسدة. ويتكون هذا الكتاب من 350 عقيدة لأهل الحق وصفت بطريقة إيجابية وجذابة للغاية. كما أتم كتابه الآخر "العلم والقرآن" كتاب مشهور بين العلماء والأوساط الدينية، وقد أثبت فيه أن اكتشافات واختراعات العالم كلها من صنع خالق الكون. وقد أشار الله تعالى إلى تلك الحقائق في القرآن الكريم التي لم يستكشفها العلماء إلا في هذا الزمان. لقد ساهم بالعديد من الأعمال الأخرى في الماضي التي لاقت الأهمية التي تستحقها في الأوساط الأكاديمية.

أهنئ الشيخ ثمير الدين القاسمي نيابة عن دارالعلوم ديوبند وخريجيها على هذا العمل القيم، سائلاً الله عز وجل أن يمنح هذا الكتاب شهرة وقبولاً كغيره من كتبه. آمين!

عبد الخالق السنبهلي

04 محرم 1441هـ

كلمات الشيخ منير الدين العثماني النقشبندي

أستاذ الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، الهند

إن الشيخ ثمير الدين القاسمي من خريجي الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند البارزين. قد منحه الله تعالى حظا كبيرًا من التقوى والعلم والحماس الديني والتمسك بسنة النبي ﷺ.

حينما أحس الشيخ ثمير الدين القاسمي فساد العقائد في مختلف مجتمعات الأمة الإسلامية، سعى سعياً بليغاً لجمع مجموعة من العقائد الإسلامية الصحيحة، وقضى ليله ونهاره من أجل تحقيق هذا الحلم. أخيرًا، نجح في إخراج مجموعة من 350 عقيدة إسلامية لأهل السنة والجماعة مع أدلة صريحة من القرآن الكريم والحديث النبوي بأسلوب إيجابي ولغة سهلة.

أتقدم بخالص التهاني إلى الشيخ ثمير الدين القاسمي نيابة عن جميع أهل الحق والأخوة القاسمية، وأدعو الله تعالى أن يتقبل هذا الكتاب القيم، وأن يجعله سببًا لإصلاح معتقدات للمسلمين حول العالم. آمين!

منير الدين العثماني النقشبندي

05 محرم 1441هـ

كلمات الشيخ مرغوب أحمد اللاجبوري

إن الشيخ ثمير الدين القاسمي ألف كتابا مهما المسمى بـ"ثمرة العقائد" الذي يحتوي على المعتقدات الإسلامية الصحيحة. قدم فيه آيات من القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ لإثبات كل عقيدة حسب حاجة العصر وأسلوبه، وجمع فيه الآيات والأحاديث بمراجعها الكاملة.

هذا الكتاب مكتوب بلغة بسيطة للغاية. لقد أحضر الكثير من الآيات لإثبات المعتقدات التي قد تكون معقّدة إلى حد ما. وعلاوة على ذلك، فقد اقتبس الكثير من الأحاديث حتى يطمئن القارئ عن تلك العقائد، ولكن المعتقدات التي لم يكن لها أي تعقيد، فقد ذكر فيها عددًا أقل من الآيات والأحاديث.

وبحسب عادته الحميدة، فهو لا يسخر من أحد حتى إيماءً، ولا يناقش القضايا الخلافية مطولاً حتى لا يطول الكتاب. لقد قدم أشياء مهمة فقط حسب حاجة الأمة.

لقد حدثت فتنة غريبة في عصرنا هذا، وقد جاء الوقت الذي أنبأ به النبي ﷺ: "يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي الرجل مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل" حفظنا الله! لذلك يجب على كل مسلم أن يقرأ هذا الكتاب ويصلح عقائده وأفكاره.

إن الله تعالى وفقني أن أقرأ الكتاب كاملاً فوجدته مفيداً من كل الوجوه. إذا درس العلماء هذا الكتاب وقرأوه في المساجد أمام الناس، فسيكون ذلك مفيدًا في تصحيح معتقداتهم وصونهم من كل أنواع الانحرافات.

لقد تمكنت من رؤية وقراءة بعض الكتب عن المعتقدات باللغة الأردية. على الرغم من الإقرار بفائدتها، لا يوجد كتاب آخر مثله؛ لأنه كتاب شامل ومليء بالإشارات إلى القرآن والحديث.

هذا الكتاب طويل إلى حد ما، لذلك أعتزم تقديم نسخة ملخصة له. لو ظهر هذا التلخيص، فسيكون مفيدًا جدًا لطلاب المدارس العامة والمدارس الدينية بإذن الله. يجب تشجيع الطلاب على دراسة هذا الكتاب، وسيكون مفيدًا لهم جدًا. ينبغي تعليم هذا الكتاب لأطفال المدارس بشكل خاص يومًا واحدًا في الأسبوع، لأن معظم طلاب المدارس يشتغلون في وقت لاحق في التعليم العلماني وليس لديهم الكثير من الوقت لاكتساب العلوم الدينية، وأحيانًا يقع هؤلاء الطلاب فريسة للطوائف الضالة.

أدعو الله أن يمنح الله تعالى هذا الكتاب حسن القبول، ويكون خير مصدر لإصلاح العقائد، وجزى الله تعالى الشيخ ثمير الدين القاسمي خير الجزاء في الدنيا والآخرة. آمين!

مرغوب أحمد لاجبوري

04 شعبان 1439هـ = 21 أبريل 2018م يوم السبت

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة المؤلف

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد!

مرّةً جاءني بعض الطلاب وطلبوا مني تأليف كتاب عن المعتقدات الإسلامية بلغة سهلة وبسيطة مع إشارات إلى آيات القرآن الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة بحيث تكون مقبولة لدى أهل جميع المذاهب.

لقد ظللت أفكر في هذا الأمر لعدة أيام، ثم بعد بضعة أشهر من العمل الشاق، تمكنت من تحضير هذه المجموعة بحمد الله. تقبلها الله!

أثناء إعداد هذا الكتاب، أخذت الكثير من المساعدة من المكتبة الشاملة والتزمت بإثبات المعتقدات من آيات القرآن والأحاديث النبوية. ومع ذلك، فإن المعتقدات التي كان فيها الكثير من الخلاف نقلت فيها المزيد من الآيات والأحاديث لتوضيحها، ولكن المعتقدات التي لم يكن فيها خلاف، أعطيت إشارات أقل هناك، حتى لا يطول الكتاب ولا يشعر القارئ بالملل.

أنا أقدّر أقوال العلماء وأثار الصحابة والتابعين والإجماع والقياس، ولكن في هذا الكتاب أوردت في الغالب مراجع من القرآن والحديث ليكون أكثر جاذبية وسهل الفهم لعامة الناس.وسعيت أن أكتب لغة سهلة حتى يتمكن الجميع من فهمه، واجتنبت المعتقدات التي يحتاجها الناس أكثر اليوم.

لقد أتيت بالآيات والأحاديث فقط، أولاً لأنها أصل الأصول وأساس جميع المعتقدات، وتتفق عليها كل المذاهب، لذا نرجو أن يتفق الجميع على هذه العقائد أو يتفق على القضايا الكبرى على الأقل، ويتركوا المجال مفتوحًا لقضايا فرعية حتى تتصرف كل طائفة على طريقتها. يا ليت أن تجتمع جميع الطوائف مرة واحدة على الأقل في السنة لأجل معالجة القضايا المشتركة بين المسلمين، وليس لسخرية بعضهم من البعض، وليس لإثارة ضجة، ولكن للعمل معًا بشأن القضايا المشتركة واتخاذ قرار معًا حتى يسهل إقناع الحكومات. هناك مأساة كبيرة أن تقول طائفة شيئاً، وأخرى تقول شيئاً، والحكومة تنحي جانباً بسبب خلافهما، بل تتجاهلنا جميعاً لخلافاتنا وضعفنا. لقد حاولت تأليف هذا الكتاب من أجل التوافق. عسى أن يتحقق هذا الغرض!

والسبب الثاني أن المعتقدات الأساسية في الله وصفاته، والجنة والنار وغيرها لن تُعرف إلا من القرآن والحديث. ولهذا يقول العلماء أن النص القطعي مطلوب لإثبات العقائد؛ لذلك أشرت فقط إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، واستدلت بها لإثبات جميع المعتقدات.

إن قضية المعتقدات حساسية للغاية، وهناك الكثير من الخلاف حولها، وكل شخص لديه الكثير من الحجج والدلائل، لذلك إذا كنت قد كتبت جميع المعتقدات بشكل صحيح، فأشكر الله تعالى على هذا. وأما إن كان فيه أي خطأ، فأرجو أهل العلم والدين أن يطلعوني عليه. وكذلك أعتذر من صميم قلبي إذا تأذى أحد بكلماتي.

إذا كنت قد كتبت شيئًا ضد آية صريحة أو حديث صحيح واضح، فتأكد من إخباري، لأنني لا أرضى الوقوع في الخطيئة بسبب تقديم اعتقاد ضد آية واضحة وحديث صحيح، ولا أريد أن أغادر العالم بهذا العبء. نعم، إذا كان للعلماء آراء مختلفة، فأنا أحترمها، لكنني تركت المناقشة لخشية إطالة الكتاب فقط.

إذا كانت أي كلمة في الآية مغلقة، فنقلت تفسيره من "تنوير المقياس" لسيدنا عبد الله بن عباس ﵁؛ لأنه ينسب إلى صحابي عظيم، وهو من أحسن التفاسير عند العلماء، إنني لا أنكر الشروح الأخرى، لكنني اخترت هذا التفسير لشرح بعض الآيات.

قد حاولت في هذا الكتاب بشكل خاص على عدم ذكر اسم أي شخص حتى لا يشعر بالسوء. لم أقم بالتلميح أو الإشارة إلى أي شخص حتى لا يتعرض للإهانة ولا يزيد الخلاف بين المسلمين. ولو شعر أحد بالسوء، فأعتذر من صميم قلبي.

أود أن أشكر كل من ساهم في تأليف هذا الكتاب، خاصةً لزوجتي على تزويدها بكل المساعدة التي احتجت إليها أثناء تأليف الكتاب، وجزاها الله خير الجزاء في العالمين! وكذلك أشكر خاصةً الشيخ العلامة أختر والشيخ عبد الرؤوف لاجبوري، لقد شجعاني دائمًا اهتمامًا خاصًا بكتابي، واستمروا في إعطائي نصائح مفيدة. لقد قام الشيخ مرغوب أحمد لاجبوري بقرأة الكتاب بأكمله وإجراء التصحيحات اللازمة، لذلك أقدم له شكراً خاصاً، جزاه الله تعالى خير الجزاء.

وألتمس جميع أهل العلم والتقوى أن يدعوا لي بأن يغفر الله كل ذنوبي، ويسعدني بالجنة بعد الموت. أبلغ من العمر ثمانية وستين عامًا، ويداي فارغتان تمامًا، ولا أعرف متى أغادر هذا العالم، لذا أرجو أن تذكروني في دعائكم، هذا كل ما أطلبه منكم.

ثمير الدين القاسمي

مانشستر، بريطانيا

13، فبراير 2018م

كلمة المترجم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله مُحَّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أشكر الله عز وجل أن أتاح لي ترجمة هذا الكتاب، كما أشكر مؤلف الكتاب فضيلة الشيخ ثمير الدين القاسمي على اعتماده الكامل علي لإكمال ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية أوّلاً ثم إلى العربية. ويسعدني أنه لم يأذن لي بالترجمة فحسب، بل منحني أيضًا الحرية الكاملة للتعبير عن النص بأفضل طريقة ممكنة. أجريت مناقشات معه حول العديد من مسائل الكتاب وسمح لي بإجراء التعديلات اللازمة.

لقد بذلت قصارى جهدي لإبقاء الترجمة بسيطة ولم أجعلها حرفية للغاية كما أنني تجنبت اتخاذ المزيد من الحرية التي قد تأخذ الترجمة بعيدًا عن المصدر. ومع ذلك، من الضروري الإشارة إلى أن آيات القرآن ونصوص الأحاديث المذكورة في هذا الكتاب قد تم نسخها من المكتبة الشاملة و موقع www.sunnah.com.

تقبل الله هذا الجهد المتواضع وجعله وسيلة للنجاة لنا في الآخرة!

محمّدُ الله الخليلي القاسمي

ديوبند، الهند

المبحث الأول

ذات الله جلَّ وعلا

سنذكر 61 آية و 4 أحاديث حول هذه العقيدة:

نشهد ظاهرة الإلحاد وكثرة الملحدين في هذا الزمان الذين يعتقدون أنه ليس هناك إله و لا خالق، والعالم خلق من تلقاء نفسه، ولا قيامة ولا حساب، لذلك لا نحتاج إلى أن نؤمن بإلهٍ ونعبده. قد تعرضت جميع الأديان السماوية لهذه المصيبة، لذلك قُدّمت آيات من القرآن الكريم ليتبين أن هناك إلهًا، هو الذي خلق الكون كله، وخلق الموت والحياة، وستقوم الساعة، وسيُحاسب الجميع عنده يوم القيامة. فمن مات بالإيمان أعطاه الله الجنة ومن مات بغير إيمان يدخل النار.

في هذا الكتاب أكدنا أن الموت والحياة والشفاء والمرض والزوج والأولاد وكل شيئ من الله وحده، فعلينا أن لا نعبد إلا الله، ولا نطلب حاجاتنا إلا منه سبحانه. إن الله تعالى قد أنعم علينا وأفاض علينا من بركاته؛ لذلك يجب علينا أن نعبده وحده ونستعينه في جميع حاجاتنا.

اسم الله الذاتي هو "الله" وباقي الأسماء صفاتية

ولفظ **الله** هو اسم الله الذاتي، وكل الأسماء الأخرى صفات له تعالى، أي أن الأسماء الأخرى مصوغة له لصفاته مثل الرزاق والخالق وما إلى ذلك.

فقد استخدم اسم الله الذاتي في كثير من الآيات، منها:

﴿1﴾ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [الرعد13:16]

﴿2﴾ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [الزمر: 39:4]

هاتان الآيتان تحتويان على اسم الله الحقيقي وهناك آيات كثيرة أخرى في القرآن تحتوي على اسمه الحقيقي، أي الله.

إن الله أزلي وأبدي

الله أزلي وأبدي، ليس له بداية كما لا نهاية له. فقد جاء في القرآن الكريم:

﴿3﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد3:57]

﴿4﴾ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص28:88]

فقد جاء في الحديث:

﴿1﴾ اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَىْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَىْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَىْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَىْءٌ (مسلم، باب الدعاء عند النوم، ص 1179، رقم:2713 / 6889)

إن الله لن يفنى ولن يموت أبداً

فإن ذات الله سبحانه لن يطرأ عليه الهلاك والموت. كما يقول القرآن:

﴿5﴾ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص28:88]

﴿6﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ [الفرقان 25:58]

الحياة على أربعة أنواع:

(1) **حياة الله**: لا يفني ولا يموت، فهو أزلي وأبدي.

(2) **الحياة الدنيوية**: إنها حياة الإنسان والحيوان. لم يكن لهم وجود في السابق، ثم خلقهم الله تعالى، وفي يوم من الأيام سيموتون.

(3) **البرزخ أي الحياة بعد الموت**: هذه هي حياة القبر، وهي تبدأ بعد الموت وتستمر إلى يوم القيامة.

(4) **الحياة في في الجنة والنار**: تبدأ هذه الحياة بعد الدخول في الجنة أو النار وتستمر إلى الأبد.

كل هذه الأنواع تسمى "الحياة" لكن ظروفها تختلف.

إن الله ليس كمثله شيئ

لا شيء في السماء والأرض يشبه الله أو صفاته، فالله أبدي، وبقية أشياء الدنيا فانية هالكة، فكيف يمكن مقارنة أي شيء به سبحانه أو بصفاته تعالى.

﴿7﴾ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى42:11]

﴿8﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [الإخلاص112:4]

﴿9﴾ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا [سبأ34:33]

﴿10﴾ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة2:22]

إن الله لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

الله ليس له ولد ولا أب ولا أم، ولا أحد مثله. لذلك الاعتقاد بأن أحدا مثله شرك يجب تجنبه. ويعتقد النصارى أن النبي عيسى عليه السلام هو ابن الله، كما كان المشركون في مكة يقولون إن الملائكة بنات الله، لكن القرآن أعلن بوضوحٍ أنه لم يلد ولم يولد لم يكن له كفواً أحد.

وهذه بعض الآيات:

﴿[11]﴾ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ [الإخلاص112:14]

﴿[12]﴾ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا [النساء 4:171]

﴿[13]﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ [يونس 10:68]

فقد جاء في هذه الآيات أنه سبحانه لم يلد ولم يولد لم يكن له كفواً أحد.

إن اللهُ لا ينام ولا ينبغي له النوم

وهذه بعض الآيات القرآنية:

﴿[14]﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ [البقرة2:255]

فقد جاء في الحديث:

﴿2﴾ "إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَ لَا يَنبَغِيْ لَه أن يَنَام" (صحيح مسلم، باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام، ص 91، رقم الحديث 179/ 445)

إن الله على كل شيء قديرٌ

وهذه بعض الآيات:

﴿15﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة2:106]

﴿16﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [المائدة5:120]

﴿17﴾ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة2:148]

﴿18﴾ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة2:284]

﴿19﴾ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران 3:29]

﴿20﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران3:189]

وهناك أربعون آية في القرآن تذكر قدرة الله جلّ وعلا على كل شيء بهذه الألفاظ.

إن الله خالق كل شيء

وهذه بعض الآيات:

﴿21﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ [الأنعام 6:102]

﴿22﴾ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [الرعد13:16]

﴿23﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ [غافر40:62]

إن الله خالق كل شيء؛ لذلك يجب علينا أن نسأل الولد والمال وكل شيئ من الله وحده، لا من غيره.

لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وهذه بعض الآيات:

﴿24﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران3:189]

﴿25﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا [المائدة5:17]

﴿26﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ [المائدة5:18]

﴿27﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [يس36:83]

في هذه الآيات أن ملكوت كل شيء بيد الله سبحانه.

إن الله مالك يوم الدين

هذه بعض الآيات:

﴿28﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة1:4]

﴿29﴾ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ [الأنعام6:73]

إن الله ليس له جوهر ولا عرض

الله سبحانه ليس له عرض ولا جوهر ولا كيفية؛ لأن هذه الأشياء ثابتة للخلق، والله واجب الوجود، وهو برئ من هذه الصفات، كما يقول القرآن:

﴿30﴾ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى42:11]

هذه الآية تقول إنه ليس مثل المخلوقات والموجودات.

إن الله ما وراء الجهة والمكان

هذه بعض الآيات:

﴿31﴾ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [فصلت 41:54]

﴿32﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا [النساء 4:126]

هذه الآيات تخبرنا أن الله يحيط كل شيء، فيحيط الجهات أيضاً؛ لذلك هو خارج كل الجهات.

إنّ الحمد كله لله

هذه بعض الآيات:

﴿33﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ [سبأ 34:1]

﴿34﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [الحج 22:64]

﴿35﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [البقرة 2:267]

﴿36﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [لقمان 31:26]

كل هذه الآيات تقول أن الحمد كله لله.

إن الله بريء من الكذب

هذه بعض الآيات:

﴿37﴾ وَعۡدَ اللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلٗا [النساء 4:122]

﴿38﴾ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثٗا [النساء 4:87]

هذه الآيات تقول إن الله صادق، فلا يوجد شيئ من الكذب في كلام الله.

لقد طرح بعض الناس هنا نقطة فلسفية قائلين إنه عندما يقدر الله على كل شيء، فهل هو قادر على الكذب أيضًا؟ فرأى البعض أن الكذب داخل في ضمن الشيئ المذكور في الآية، ولكن الله لا يكذب أبداً.

ومع ذلك ، فإن هذا السؤال بالإضافة إلى جوابه قضية فلسفية، والحقيقة أن الله بريء من كل عيب، فسواء كان الكذب أو العادات الدنيئة؛ فإن الله بريء منها، خلافا للإنس والجن فإنهما يملكان الصفات الحسنة والسيئة كلاهما.

إن الله هو السميع البصير

ليس هناك أحد يسمع كل شيء ويبصر كل شيء إلا الله؛ فإنه هو السميع العليم.

ويعتقد المشركون أن الأصنام تسمع دعواتهم وتعرف أحوالهم؛ لذلك يقدمون احتياجاتهم إليها ويستعينونها.

فإنه يجب على المسلمين أن يتجنبوا مثل هذه الأشياء؛ لأنها شرك.

وهذه بعض الآيات:

﴿39﴾ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الۡعَلِيمُ [البقرة 2:127]

﴿40﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [المائدة 5:76]

﴿41﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الأنبياء 21:4]

﴿42﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [غافر 40:20]

إن الله هو العلي العظيم

إن الله سبحانه وتعالى هو العلي العظيم، وإننا لا نستطيع أن نتصور علوه وعظمته، كما يقول القرآن:

﴿43﴾ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [البقرة 2:255]

﴿44﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [الشورى 42:4]

﴿45﴾ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [الحج 22:62]

هذه الآيات تقول: إن الله سبحانه وتعالى هو العلي العظيم؛ لذلك يجب علينا أن ندعو الله وحده في حوائجنا ونعبده وحده.

إن الله هو الرازق

إن الله هو الرزاق؛ لذلك يجب ألا نطلب الرزق إلا منه. وهذه بعض الآيات القرآنية:

﴿46﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [الذاريات 51:58]

﴿46﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ [الرعد 13:26]

وهذه الآيات تقول إن الله هو الرازق ولا أحد غيره يملك هذا الأمر؛ لذلك يجب علينا ألا نطلب الرزق بل منه.

لا نطلب الرزق إلا من الله

ويظن بعض الكافرين أن الله تعالى قد فوض بعض الأشخاص أمر الرزق؛ لذلك يعبدونهم ويطلبون العون منهم. ولما كان الله تعالى يقول أنه وحده يملك الرزق ويقسمه، ولم يأذن أحدا بتقسيم الرزق؛ لذلك يجب أن ندعوه تعالى في حاجاتنا، كما جاء في القرآن:

﴿48﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ [العنكبوت29:17]

﴿49﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ [النحل/73]

وهذه الآيات تقول: لا أحد في السماء ولا في الأرض يملك الرزق إلا الله وحده؛ لذلك يجب علينا ألا ندعو نبياً أو ولياً للرزق.

لا يكشف السوء إلا الله

وهذه بعض الآيات:

﴿50﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ [الأنعام6:17]

﴿51﴾ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا [الإسراء 17:56]

﴿52﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [الأعراف7:188]

﴿53﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [يونس49:10]

﴿54﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ [النحل53:16]

هذه الآيات تقول لا يقدر أحد على كشف السوء و إزالة الأذى إلا الله وحده؛ لذلك يجب علينا ألا ندعو أحداً إلا هو.

إن الله وحده يهب الأولاد

إن الله وحده قادر على أن يهب الأولاد؛ لذلك يجب علينا ألا ندعو أحداً وألا نزور قبراً لمثل هولاء الأشياء. وهذه بعض الآيات التي تثبت هذه العقيدة:

﴿55﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۞ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ [الشورى4950:42]

﴿56﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ [الأعراف190192:7]

هذه الآية تقول: إن الله جلّ وعلا وحده يهب الأولاد، ولكن عندما يولد الطفل ينسبه الرجل إلى إلهٍ ووليٍّ ويبدأ في عبادته فيشرك بالله جلّ وعلا.

﴿57﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [آل عمران6:3]

﴿58﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [غافر20:40]

في هذه الآيات أن الله وحده يجيب الدعاء ويرزق الأولاد. هناك بعض النساء يطلبن الولد من غير الله، هذا غير جائز، إن الله هو الذي خلق تلك المرأة وهو وحده يهب الولد؛ لذلك يجب علينا أن ندعوه وحده. بل بعض الناس في بعض الأحيان يقع فريسة للكهنة والكفار الذين يقومون بأعمال شركية؛ لذلك يجب علينا تجنب هذه الأخطاء الفادحة.

إن الله هو الشافي

المرء يُعالج إذا مرض، ولكن الله وحده قادر على أن يشفيه؛ لذلك يجب أن ندعو الله وحده للشفاء. ليس هناك ولي أو قديس يقدر على أن يشفي؛ لذلك يجب علينا ألا ندعو أحداً للشفاء إلا الله تعالى.

﴿59﴾ **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** [الشعراء26:80]

﴿60﴾ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ** [الأنعام6:17]

﴿61﴾ **فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا** [الإسراء17:56]

وقد جاء في الحديث:

﴿3﴾ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ: «أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا». (صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، ص972، الرقم: 2191 /5707)

﴿4﴾ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ، عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ ثَابِتٌ يَا أَبَا حَمْزَةَ اشْتَكَيْتُ. فَقَالَ أَنَسٌ أَلاَ أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَلَى. قَالَ: "اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا". (صحيح البخارى، باب رقية النبى صلى الله عليه وسلم، ص 1014، الرقم: 5742)

وهذه الآيات و الأحاديث تنص على أن الله وحده يشفي؛ لذلك لا نطلب الشفاء إلا بالله. إن بعض الناس يذهبون إلى الآلهة الباطلة والمقابر لنيل الشفاء ويخربون إيمانهم، أعاذنا الله من هذه الخرافات.

هذه 61 آية و 4 أحاديث بخصوص هذه العقيدة.

المبحث الثاني

لا يجب الثواب أو العقاب على الله

سنذكر 15 آية حول هذه العقيدة، والتفاصيل كما يلي:

يقول المعتزلة: إنه يجب على الله أن يعاقب على المعصية ويعطي الأجر على الخير. ولكن أهل السنة والجماعة يقولون إنه لا شيء واجب علي الله، أي لا يجب على الله أن يعذّب العاصي على عصيانه أو يجزي الصالح على صلاحه، له أن يفعل ما يشاء. وهذه بعض الآيات:

﴿1﴾ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة2:284]

﴿2﴾ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [إبراهيم14:4]

﴿3﴾ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ [الحج22:14]

﴿4﴾ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [إبراهيم14:27]

فقد جاء في هذه الآيات أن الله يفعل ما يشاء ولا يلزمه شيء.

إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

لا يجب على الله أن يعطي شيئاً، فإنه ما يعطي هو لطفه وفضله.

هذه بعض الآيات:

﴿5﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد57:21]

﴿6﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الجمعة62:4]

﴿7﴾ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد57:29]

﴿8﴾ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [البقرة2:105]

هذه الآيات تقول: إن ما أعطانا الله فهو من رحمته وفضله، ولا يجب عليه شيء.

إن الله خالق الخير والشرّ

قديماً كان بعض الناس يظنون أن "الشيء السيء" لا يمكن أن يُنسب إلى الله، فربطوه بالشيطان وظنوا أن الشيطان هو خالق الشرّ. ولكن القرآن يقول بوضوح أن الله خلق كل شيء؛ فالصحيح أن الله جلَّ وعلا هو خالق كل شيء، خيراً كان أم سيئاً، والإنسان ينال الأجر أو العقوبة على فعل الخير أو الشر. هذه هي الآيات:

﴿9﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ [الزمر39:62]

﴿10﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ [غافر40:62]

﴿11﴾ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [النساء4:78]

هذه الآيات تثبت أن كل شيء خلقه الله وحده.

لكن الله يحب الخير ولا يحب الشرّ

إنّ الله خلق كل شيء، ولكنه يرضى بالحسنات، ولا يرضى بالسيئات، كما يقول القرآن:

﴿12﴾ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ [الزمر 39:7]

﴿13﴾ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ [النمل 27:19]

﴿14﴾ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ [الأحقاف 46:15]

هذه الآيات تقول إن الله سبحانه وتعالى يرضى بالأعمال الصالحة.

جميع صفات الله أزلية وأبدية

لقد كان هناك نقاش في الماضي: هل كان الله "خالقاً" حتى عندما لم يخلق شيئًا في هذا الكون. لذلك لا بد من معرفة أن صفات الله أزلية وأبدية، أي أن الله كان متصفاً بصفة الخلق حتى قبل خلق الكون، فإن صفته "الخالق" كانت كاملة بدون أدنى شك، وسيبقى الله جلَّ وعلا خالقًا حتى الأبد، لأن كل صفات الله تعالى أزلية، ليست لها بداية ولا نهاية. فقد جاء في القرآن:

﴿15﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الروم 30:50]

إن الله لم يقم بإحياء الأموات، بل سيُحييهم يوم القيامة، ومع ذلك لا يزال الله يسمّى بمحيي الموتى، هذا يدل على أنه متصف بصفة الإحياء حتى قبل قيام الساعة. وينطبق الشيء نفسه على جميع صفاته.

فهذه 15 آية مقتبسة من القرآن بخصوص هذه العقيدة.

المبحث الثالث

على الملحدين أن يؤمنوا بالله

هذا البحث مبني على 7 أدلة. انظر كلا منها بالتفصيل:

يرى بعض الناس أنه لا يوجد إلهٌ، وأن الكون صار موجوداً تلقائيًا وسوف ينتهي يوماً ما؛ وليس له خالق. وهؤلاء الناس يُسمَّون بالملحدين. هم يقولون أنه ليس هناك إله يُعبد، لأنه لو كان هناك أي إله ليمكننا أن نراه بأعيننا.

ويمكن دحضهم بطرق مختلفة:

(1) لا يمكن رؤية الله من هذه العيون. إن الله هو واجب الوجود، إنه ليس مثل الأشياء الدنيوية التي نراها بأعيننا. نعم، يمكن لنا أن نراه في الآخرة بالعيون الأخروية، لكن هذا غير ممكن في الدنيا.

إن الله تعالى في سبعين حجاباً من النور فكيف يمكن لنا أن نراه. حتى أن النبي ﷺ قال وهو يروي المعراج: "نور أنى أراه" كما جاء في الحديث:

عن ابى ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربک؟ قال نور أنى أراه؟ (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام نور أنى أراه، ص 91، الرقم 178/ 443)

(2) إذ لا يمكننا روية الشمس في الظهيرة التي خلقها الله، التي هي أقل نورًا، فكيف يمكن لنا أن نرى الله الذي هو نورٌ على نورٍ.

لماذا لا تؤمن بالله؟

(3) هناك بلايين من البشر، لكل منهم وجه مختلف، بل إن طفلين من نفس الوالدين لهما وجهان مختلفان. من خلق مثل هذا التنوع هو الله الذي سماه القرآن بـ "رب العالمين"، كما يقول القرآن:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاتحة1:1]

هذه الآية تدل على أن الله يربي العالم أجمع.

عندما ثبت أن لكل شخص وجهًا مختلفًا، عندما نصدق هذه الحقيقة أن كل وجه مختلف عن الآخر، فمن الواجب الاعتقاد بأن هناك ذاتا خلقها كذلك، ألا هو الله.

هل يمكنك ان تموت بنفسك؟

(4) يقول الملحدون: إننا خُلقنا بأنفسنا. ثم إذا وُلدتَ بنفسك بدون خالق، فهل يمكنك أن تموت بنفسك؟ ليست لديك قدرة على الموت فكيف وُلدتَ بنفسك؟

لا يمكنك البقاء شابًا دائمًا

(5) إنّ الملحد يرغب في أن يعيش شابًا، ويستغل كل الوسائل ليبقى شابّاً أبداً، ولكن هناك من يضعفه يومًا بعد يوم ويبلغه إلى الشيخوخة، فهو ليس أحدٌ إلا الله، كما يقول القرآن:

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ [النحل16:70]

إذا وُلدت بنفسك، فهل يمكنك العيش لفترة طويلة حسب رغبتك؟ إذا كان الجواب بالنفي، فالذي يجعلك تشيخ يومًا بعد يوم هو الله تعالى.

هل يمكنك العيش حتى 125 عامًا؟

(6) إنّ الملحد يرغب في العيش لفترة طويلة من أي شخص آخر. إذا كان قد وُلد بنفسه، فهل يمكنه أن يعيش حتى 125 عامًا. إذا كان قد وُلد من تلقاء نفسه، فيجب أن يكون قادرًا على العيش لفترة طويلة بنفسه. ولكن هناك من يُميت وهو الله، كما قال النبي إبراهيم عليه الإسلام وهو يُعرّف الله:

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ [البقرة2:258]

فالذي سيُمِيتك هو الذي خلقك، وهو الله.

الذي يُحيي ويُميت هو الله

(7) إلى جانب آيات من القرآن والأحاديث، إننا نؤمن بالله لأنه سيُميتنا ذات يوم، وبالتالي فإن من يُميتنا هو الذي خلقنا. وعندما ثبتت هاتان الحقيقتان ثبوتاً بيّناً، يجب أن نؤمن بيوم القيامة، والجنة والنار، فهذا لا يحتاج إلى أدلة كثيرة.

فلنؤمن أن الله هو الخالق

لذلك يجب أن نؤمن بأن الله هو الخالق، ونسأل الله: يا من يُحيي ويميت، اغفر لي، وأدخلني الجنة. إذا شهدتَ هذا ومتَّ وفي قلبك من الإيمان، فيرجى أن يغفر الله لك ويكتب لك الفلاح في الآخرة.

المبحث الرابع

رؤية الله تعالى

سنذكر 5 آيات من القرآن و 10 أحاديث عن هذه العقيدة.

اختلف علماء الإسلام في أن الرسول ﷺ رأى الله تعالى في المعراج أم لا؟

1. جماعة من العلماء تقول أن الرسول ﷺ لم ير الله تعالى.

2. الجماعة الأخرى: إن الرسول ﷺ رأى الله أي نوره. وهذا رأي أكثر العلماء.

3. الجماعة الثالثة تقول: إن الرسول ﷺ رأى الله نظرة خاطفة، لا تامة لأنه لا يمكن لأحد أن يراه؛ لأن ذات الله لا نهاية له.

4. الجماعة الرابعة: إن الرسول ﷺ رأى الله تعالى بقلبه.

إلا أن العلماء كلهم أجمعوا على أن المؤمنين سيرون الله بأعينهم في الآخرة.

الجماعة الأولى

قالت جماعة من العلماء أن الرسول ﷺ لم ير الله واستدلوا بالأدلة الآتية:

لقد طلب النبي موسى عليه السلام من الله أن يراه، فقال الله: انظر إلى الجبل، فإن بقي مكانه فستراني، فإن لم يبق فلا تقدر. فلما تجلى الله للجبل جعله دكاً

وخرَّ موسى صعقاً. فثبت أننا لا نستطيع رؤية الله في الدنيا. لأن هذه العيون الدنيوية لا تحتمل رؤية الله، كما يقول القرآن:

﴿1﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا [الأعراف 7:143]

هذه الآية تقول أن النبي موسى عليه السلام لم ير الله؛ لأنه لا يمكن أن نرى الله في هذه الدنيا بهذه العيون.

﴿2﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الأنعام 6:103]

هذه الآية تقول أن العيون لا تدرك الله؛ لذلك لا يمكن أن تراه.

﴿3﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ [الشورى 42:51]

هذه الآية تقول أن الله يخاطب الإنسان في الدنيا بالوحي أو من وراء الحجاب. لذلك ذهب بعض العلماء إلى أن الرسول ﷺ رأى الله من وراء الحجاب ولم يره بعينيه، كما قالت عائشة رضي الله عنها بأنه لم ير الله:

﴿1﴾ عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ قُلْتُ لِعَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ فَقَالَتْ لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلاَثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ، مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ. ثُمَّ قَرَأَتْ {لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النجم، 53، ص 860، الرقم: 4855)

جاء في هذا الحديث أن النبي ﷺ لم ير الله بعينيه.

﴿2﴾ عَنْ مَسْرُوقٍ ... يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ } { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى } فَقَالَتْ أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: و لقد رَآهُ نزلة أخرى، و هل رأى النبى ربخ ليلة الاسراء، ص 90، الرقم: 439/177)

كما يدل هذا الحديث على أن النبي ﷺ لم ير الله.

﴿3﴾ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ. (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام نور أني أراه، ص 91، الرقم: 443/178)

هذا الحديث يقول أن النبي ﷺ سُئل: هل رأيتَ الله في ليلة المعراج؟ فأجاب: كيف أراه وهو نور؟

﴿4﴾ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ... حِجَابُهُ النُّورُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ. (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام إن الله لا ينام، ص 91، الرقم: 445/179)

كل هذه الأحاديث تدل على أن الله ما وراء الحجاب. لذلك لا يقدر أحد أن يراه في هذا العالم.

الجماعة الثانية

وقالت الجماعة الثانية أن الرسول ﷺ لم ير الله بل نوره. وهذا قول أكثر العلماء، واستدلوا بالحديث التالي:

﴿5﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ ... قَالَ كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ قَدْ سَأَلْتُ فَقَالَ رَأَيْتُ نُورًا (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام إن الله نور، ص 91، الرقم: 444/178)

الجماعة الثالثة

أما المجموعة الثالثة فتقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى الله بنظرة خاطفة لا تامة ولا يمكن لأحدٍ أن يراه لأنه لا نهاية له. واستدلوا بالحديث التالي:

﴿6﴾ قال سمعت عكرمة يقول سمعت بن عباس يقول: إن مُحَمَّدا ﷺ رأى ربه عز وجل. (السنن الكبرى للنسائي، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى، ج 10، ص 276، الرقم: 11473 ؛ المعجم الكبير للطبراني، باب عكرمة عن ابن عباس، ج 11، ص 242، الرقم: 11619)

لكن الآية (6:103) تقول أنه لا يمكن أن تدركه الأبصار؛ لذلك يمكن القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الله بنظرة خاطفة.

الجماعة الرابعة

وقالت الجماعة الرابعة: إن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى الله بقلبه، كما جاء في الحديث:

﴿7﴾ عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم53:11] قال رأى ربه عز وجل بفؤاده. (المعجم الكبير للطبراني، باب يوسف بن مهران عن ابن عباس، ج 12، ص 219، الرقم: 12941)

سيَرى المؤمنون الله في الآخرة

قديما كانت هناك طائفة تسمى بالجهمية تعتقد أنه لا يمكن لأحد أن يرى الله حتى في الآخرة. ولكن علماء الإسلام اتفقوا على أن المؤمنين سيرون الله في الآخرة وسيرزقهم الله القدرة على أن يروه أمام أعينهم، كما جاء في القرآن والأحاديث:

﴿4﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [القيامة 2223:75]

﴿8﴾ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ... "هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ". قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، إثبات روية المؤمنين في الآخرة ربهم، ص 92، الرقم: 451/182؛ ابن ماجة، باب فيما أنكرت الجهمية، ص 27، الرقم: 178)

﴿9﴾ عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ هَذِهِ الآيَةَ {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} وَقَالَ " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ . فَيَقُولُونَ وَمَا هُوَ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلاَ أَقَرَّ لأَعْيُنِهِمْ " . (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، إثبات روية المؤمنين في الآخرة ربهم، ص 92، الرقم: 449/181؛ ابن ماجة، باب فيما أنكرت الجهمية، ص 28، الرقم: 187)

﴿10﴾ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا... قَالَ فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ. (صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب فضل السجود، ص 130، الرقم: 806)

في هذه الآية والأحاديث أن المؤمنين سيرون الله سبحانه وتعالى في الجنة.

اعتقدت طائفة الجهمية أنه لا يستطيع أحد أن يرى الله في الآخرة أيضًا، فقد استدلوا بالآية التالية التي تقول أنه لا يمكن لعينٍ أن تدرك الله؛ لذلك لا يمكن أن تراه عينٌ في الآخرة أيضًا:

﴿5﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الأنعام 6:103]

وقد أوضح علماء الإسلام أن كلمة "أدرك" في هذه الآية تعني شمولاً، أي أن أعيننا قد لا تحيط بالله، بل تراه فقط، كما نصت الآية الأخرى (75:22-23)

على رؤية المؤمنين لله في الجنة، ولكن قد لا يمكن لهم إحاطته بالكامل لأنه مستحيل؛ فالآية لا تعني أننا لن نتمكن من رؤية الله في الآخرة.

فهذه 5 آيات من القرآن و 10 أحاديث بخصوص هذه العقيدة.

المبحث الخامس

عشر خصائص الرسول ﷺ

سنذكر 12 آية من القرآن و 16 حديثاً في خصوص هذه العقيدة.

وقد أُعطي الرسول ﷺ فضائل كثيرة وخصائص لم تعط لنبي أو رسول. وهنا نذكر عشر خصائص للرسول ﷺ لإظهار مكانته الرفيعة ومرتبته العالية. لا شك أنه لا يمتلك أحد صفات وفضائل مثله، فهو الأفضل على الإطلاق.

بلغ العُلٰى بكماله كشف الدُجٰى بجماله

حسنت جميع خصاله صلّو عليه وآله

أحيانًا يرتكب بعض الناس الإساءة للنبي ﷺ بغير علم والبعض ينكر ختم النبوة الذي يفضي إلى الكفر. لذلك نذكر فضائل النبي ﷺ لكي ينغرس حبه في قلوبنا ونموت عليها.

(1) الشفاعة الكبرى

سيتضايق الناس كثيرًا يوم الحشر عندما ينتظرون الحساب انتظاراً طويلاً ويرغبون أن يبدأ الحساب لكي ينجوا ما فيه من المشقة؛ وسيتوجهون إلى العديد من الأنبياء ويطلبون منهم أن يشفعوا الله لبدء الحساب، لكنهم لن يكونوا مستعدين لذلك ويعتذرون. وأخيرًا يقترب الناس من رسول الله صلى

الله عليه وسلّم ويرضى له. ثم يشفع الله، ويقبل الله شفاعته. وهذا يسمى الشفاعة الكبرى التي ستُمنح خصيصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلّم.

وهناك الشفاعة الصغرى أيضا وهي التي يحصل للأنبياء الآخرين سيشفعون لقومهم حتى يُدخلهم الله في الجنة. وكذلك سيقبل الله الشفاعة من أتقياء وصلحاء الأمة. والشفاعة الكبرى يختص بالرسول الله ﷺ في جميع الإنسانية، كما ذُكر في الحديث:

﴿1﴾ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا ... ثُمَّ يُقَالُ لِي ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ. (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ص 1136، الرقم: 6565)

يذكر هذا الحديث ثلاثة أشياء:

(1) سيُمنح الرسول ﷺ الشفاعة الكبرى.

(2) سيدعو الله يوم القيامة ويقبل الله دعوته.

(3) سيُخرج العباد من جهنم ما يشاء الله له.

(2) الكوثر

يقول القرآن:

﴿1﴾ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ
[**الكوثر**108:12]

تثبت الآية أنه أعطي الكوثر من الله. هناك بعض الأحاديث التي تذكر هذا:

﴿2﴾ عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا ". (صحيح البخاري، كتاب السنة، باب في الحوض، ص 1138، الرقم: 6579)

﴿3﴾ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: ... فَقَالَ: "إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ " . فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} حَتَّى خَتَمَهَا فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ : " هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ " . قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : " فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ". (صحيح البخاري، كتاب السنة، باب في الحوض، ص 671، الرقم: 4747)

هذه الأحاديث تثبت أن رسول الله ﷺ سيُكرم مع الكوثر ولن يكون لغيره هذا الامتياز.

(3) الوسيلة والفضيلة

وقد ذكر في الحديث:

﴿4﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ " إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَىَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ." (صحيح مسلم شريف ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ثم يسأل الله له الوسيلة، ص 163، الرقم 849/383؛ سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب سلو لي الوسيلة، ص 824، الرقم 3612)

﴿5﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، ص 102، الرقم 614)

هذه الأحاديث تدل على أن الوسيلة مكانة عظيمة ستُمنح للرسول صلى الله عليه وسلّم خاصةً.

(4) لواء الحمد

سيعطي الله للنبي ﷺ لواء الحمد إكراماً له، وسيمدح الله بحمدٍ لم يسبقه فيه أحد غيره، كما جاء في الحديث:

﴿6﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلاَ فَخْرَ ." (سنن الترمذي، باب أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا، ص 823، الرقم 3610)

هذا الحديث يدل أن الرسول ﷺ سيحمل لواء الحمد يوم القيامة.

(5) إنّه خاتم الأنبياء

إنّ رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء يعني أنه لا نبي بعده، كما في القرآن والأحاديث:

﴿2﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا [الأحزاب 33:40]

﴿7﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ". (صحيح البخاري، باب خاتم النبيين ، ص 595، رقم 3535؛ سنن الترمذي، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، ص 509، رقم 2219)

﴿8﴾ عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ: ... إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاَثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ". قَالَ ابْنُ عِيسَى "ظَاهِرِينَ" . ثُمَّ اتَّفَقَا "لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ". (أبوداود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن و دلائلها، ص 596، رقم 4252)

ثبت بهذه الآيات والأحاديث أن الرسول ﷺ هو خاتم النبيين ولا يأتي بعده نبي. لذلك من ادعى النبوة بعده يعتبر كاذباً.

(6) إنه نبي للبشرية جمعاء

أرسل الله الرسل والأنبياء (عليهم السلام) لقوم معين، أو لوقت معين، لكن النبي مُحَمَّد ﷺ أرسله الله للناس جميعاً والجن حتى يوم القيامة. لذلك يمتلك فضيلة أكثر ويمتاز بها على الآخرين، كما قال الله تعالى في القرآن:

﴿3﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا [سبأ 28:24]

﴿4﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا [الأعراف 158:7]

﴿5﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء 107:21]

﴿6﴾ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة 5:3]

﴿7﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ [الأنعام 6:130]

هذه الآيات تثبت أن النبي ﷺ أُرسل إلى البشرية جمعاء والجن أيضًا.

(7) الإسراء والمعراج

أكرم الله تعالى الرسول ﷺ بالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى والمعراج إلى السماء، فأراه آياته العظيمة والأسرار اللطيفة. وهذا من خصائص النبي ﷺ ولم يحصل لغيره من الأنبياء. وقد جاء في القرآن والأحاديث:

﴿8﴾ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الإسراء 17:1]

﴿9﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى [النجم 53:18]

﴿9﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضى الله عنهما أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ " بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ ـ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ ـ مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ ـ قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَشَقَّ ـ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ ـ فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهْوَ إِلَى جَنْبِي مَا يَعْنِي بِهِ قَالَ مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ ـ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُوتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ". فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ قَالَ أَنَسٌ نَعَمْ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ "فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ. قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالاِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ. قِيلَ

مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ قَالَ هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا. فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ. قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ. قَالَ هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ. قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ. قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ. قَالَ مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا مُوسَى قَالَ هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ قَالَ أَبْكِي لأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِي، يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. قَالَ نَعَمْ. قَالَ مَرْحَبًا

بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ قَالَ مَرْحَبًا بِالاِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ قَالَ هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ. فَقُلْتُ مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ، فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ. ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ. ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ. فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ بِمَا أُمِرْتَ قَالَ أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ. فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ بِمَا أُمِرْتَ قُلْتُ أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ. قَالَ سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ - قَالَ - فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي". (صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ص 652، رقم 3887)

هذه الآيات والأحاديث تثبت أن النبي ﷺ عُرج به إلى السماء في المعراج ورأى من آيات الله الكبرى خلالها.

(8) القرآن الكريم

وقد أُعطي بعض الأنبياء الآخرين كتبًا مقدسة أو صحائف، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أعطي القرآن العظيم، كما جاء في القرآن:

﴿10﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا [الإنسان 76:23]

﴿10﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ [الحجر 15:87]

(9) إنه حبيب الله

وقد ثبت بعدة أحاديث أن النبي ﷺ كان أحب وأكرم الناس إلى الله، ومنها ما يلي:

﴿10﴾ عَنْ عَلِيِّ بن عَلِيٍّ الْمَكِّيِّ الْهِلالِيِّ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَكَاتِهِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا ..... أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَأَكْرَمُ النَّبِيِّينَ عَلَى اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْمَخْلُوقِينَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (طبرانى كبير، ج 3، بقية الاخبار الحسن بن على ، 57، رقم 2675؛ مستدرک للحاکم ، كتاب توارخ المتقدمين من الانبياء و المرسليين، باب و من كتاب آيات رسول الله ﷺ التى هي دلائل النبوة، ج 2، ص 672، رقم 4228))

﴿11﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي

وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلاَ فَخْرَ". (سنن الترمذي، باب انا اول الناس خروجا اذا بعثوا، ص 823، رقم 3610)

هذه الأحاديث تثبت أن النبي ﷺ كان أحب الخلق إلى الله.

(١٠) إنه سيد الأولين والآخرين

وقد ثبت ذلك بعدة أحاديث، منها ما يلي:

﴿12﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ ... وَقَالَ "أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل ﴿ وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوْحاً اِلٰى قَوْمِه 11:25﴾ ص 555، رقم 3340)

﴿13﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ". (أبو داؤد، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام، ص 660، رقم 4673)

ذكرنا 10 آيات من القرآن و 13 حديثاً تثبت فضل النبي ﷺ وخصائصه؛ لذلك، يجب اتباعه وإكرامه وعدم الإساءة إليه بأي شكل من الأشكال. ولكن علينا أن لا نبالغ في مدحه ولا نتجاوز الحدود كما فعل المسيحيون مع النبي عيسى عليه السلام بأنهم رفعوه إلى مرتبة الإله، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

لا ينبغي تجاوز الحد في مدح الرسول ﷺ

فقد جاء في القرآن:

﴿11﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ [المائدة 5:77]

﴿12﴾ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ [النساء 4:171]

فعلى المسلمين أن يتجنبوا المبالغة في فضائل الرسول ﷺ، بل أن يقتصروا على ما هو ثابت بالقرآن والحديث، كما جاء في بعض الأحاديث منع من الإطراء والمبالغة:

﴿14﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ رضى الله عنه يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ " لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ". (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 580، رقم 3445)

هذا الحديث يدلُّ على أن الرسول ﷺ منعنا من المبالغة في مدحه كما فعل النصارى مع النبي عيسى عليه السلام بأنهم جعلوه موازيًا لله وطلب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين أن يدعوه فقط عبد الله ورسوله.

هناك حديث آخر:

﴿15﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ". (أبو داؤد، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام، ص 660، رقم 4668)

وفي هذه الحديث نهى رسول الله ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء، مع أنه صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر الأنبياء. والمراد أن لا نبالغ في المدح أكثر مما ورد في الآيات والأحاديث.

وجاء في الحديث الآتي أن الزيادة على مما ورد في القرآن والحديث هي البدعة، والبدعة ضلالة، فلا بد من اجتنابه:

﴿16﴾ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ... وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ". (أبو داود، كتاب السنة ، باب فى لزوم السنة، ص 651، رقم 4607؛ صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة و الخطبة، ص 347، رقم 2005/867)

فقد ثبت بهاتين الآيتين و 3 أحاديث أنه يجب ألا نتجاوز الحدود؛ لأنه سيؤدي إلى الانحراف والضلال.

وهذه 12 آية و 16 حديثاً بخصوص هذه العقيدة.

المبحث السادس

إن الرسول ﷺ بشر ولكنه أفضلهم

سنذكر 28 آية من القرآن و 8 أحاديث بصدد هذه العقيدة:

القرآن الذي أُنزل على النبي ﷺ نور، ونبوته نور، والإيمان نور أيضا، وكل هذه الصفات متوفرة لدى النبي ﷺ على الوجه الأكمل؛ فإنه نوري وفق هذه الصفات، لكنه بشر في ذاته؛ لأنه وُلد بين البشر، وكان يأكل الطعام ويشرب الماء، وتزوج ومضي حياته كإنسان.

سُئل النبي ﷺ أن يُعلِن أنه بشرٌ

في الآيات التالية سُئل النبي ﷺ أن يعلن أنه بشر، ولكنه يمتاز بين الناس بالوحي والرسالة، كما جاء في القرآن:

﴿1﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ [الكهف 18:110]

﴿2﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ [فصلت 41:6]

﴿3﴾ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا [الإسراء 17:93]

﴿4﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ [الأنبياء 21:34]

﴿5﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ [إبراهيم 14:11]

﴿6﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ [الشورى 42:51]

في الآيات الثلاثة الأولى سُئل النبي ﷺ أن يعلن أنه بشر، وتدل الآيات الثلاثة الأخيرة إلى أن الأنبياء هم بشر.

أعلن النبي ﷺ في هذه الأحاديث أنه بشرٌ

فيما يلي بعض الأحاديث:

﴿3﴾ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ ... "إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي". (صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ص 70، رقم 401؛ صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب السهو فى الصلاة والسجود له، ص 232، رقم 1285/572)

﴿4﴾ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّهَا أُمَّ سَلَمَةَ ـ رضى الله عنها ـ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ... فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ، فَأَقْضِيَ لَهُ بِذَلِكَ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا ". (صحيح البخاري، كتاب المظالم ،باب إثم من خاصم فى باطل و هو يعلمه، ص 396، رقم 2458)

﴿5﴾ عَنْ سِمَاكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ مُوسَى بْنَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَخْلٍ ... فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ "إِنَّمَا هُوَ ظَنٌّ إِنْ

كَانَ يُغْنِي شَيْئًا فَاصْنَعُوهُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنَّ الظَّنَّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ. (ابن ماجة،كتاب الرهون، باب تلقيح النخل، ص 354، رقم 2470)

في هذه الأحاديث الثلاثة أعلن النبي ﷺ عن نفسه بأنه بشرٌ. وهذا لأنه وُلد في مجتمع بشري وتزوج فيهم، فكيف يكون نورياً!

البشرُ أفضل من الملائكة

الإنسان أفضل من الملائكة؛ لذلك لا ينبغي عدّه بين الملائكة أو بين خلقٍ نوري. وقد ورد في شرح العقائد:

"رسل البشر أفضل من رسل الملائكة، و رسل الملائكة أفضل من عامة البشر، و عامة البشر أفضل من عامة الملائكة." (شرح العقائد النسفية، ص 176)

تحدد هذه العبارة ثلاث نقاط:

(1) عامة البشر أفضل من الملائكة العاديين

(2) خواص الملائكة أفضل من عامة البشر

(3) الرسل والأنبياء أفضل من خواص الملائكة

لذلك، مع أن النبي ﷺ بشر فهو أفضل من جميع الملائكة، وبالتالي وصفه بالنوريّ هو في الواقع يحط من مكانته.

يعتقد أهل السنة أن النبي ﷺ أفضل الخلق أجمعين

مكانة النبي ﷺ بين الخلائق كلها:

(1) النبي محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء

(2) ثم رتبة جميع الرسل

(3) ثم رتبة جميع الأنبياء

(4) ثم رتبة الملائكة الكبار

(5) ثم رتبة عامة الناس

(6) ثم رتبة عامة الملائكة

(7) ثم رتبة جميع المخلوقات

الآيات التي تدل أن البشر أفضل من الملائكة

هذه بعض الآيات التي تدل أن البشر أفضل من الملائكة:

❁〖7〗❁ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ [الأعراف 7:11]

❁〖8〗❁ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ [الحجر 15:30]

❁〖9〗❁ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ [ص 38:73]

هذه الآيات الثلاثة من القرآن تقول أن الملائكة سجدوا للإنسان، وهذا يعني أن الإنسان أفضل من الملائكة. وهناك بعض الآيات الأخري:

❁〖10〗❁ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ [الإسراء 17:70]

❁〖11〗❁ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [التين 95:14]

في الآية الأخيرة، أقسم الله تعالى أربعة أشياء، ثم قال إنه خلق الإنسان في أحسن تقويم.

﴿12﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [البقرة 2:3133]

فإن الآيات الست الأخيرة تدل على أن عامة الناس أفضل من عامة الملائكة. لذلك يطلق على الإنسان صفة "أشرف المخلوقات". وكذلك الرسل أفضل من خواص الملائكة؛ لأن أفضل الملائكة أي جبرئيل عليه السلام كان ياتي بالوحي إلى الأنبياء والرسل؛ وهذا يثبت أن أنبياء البشر كانوا أفضل من كبار الملائكة.

وفي ليلة المعراج، انطلق جبرئيل عليه السلام بالنبي ﷺ إلى السماء، وهذا يثبت أيضاً أن النبي ﷺ كان أفضل من جميع الملائكة، كما ذُكر في الحديث:

﴿6﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضى الله عنهما أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ " بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ ـ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ ـ مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ... فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ ... ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ..." (صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ص 652، رقم 3887)

فقد ثبت بهذا الحديث أن جبرئيل عليه السلام استصحب النبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج خلال رحلته وهذا يدل أن النبي ﷺ كان أفضل من الملائكة.

﴿13﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ [الأحزاب 33:40]

كل هذه الآيات السبع والأحاديث النبوية الشريفة تؤكد أن الإنسان أفضل من الملائكة وأن النبي مُحَمَّد ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق.

يعتقد الهندوس أن آلهتهم تظهر في أزياء البشرية

يعتقد المشركون أن آلهتهم تظهر في أزياء البشرية حتى يومنا هذا؛ لذلك يعبدون هذه الآلهة ويسجدون أمامها ويقدمون الضحايا ويدعونها لحاجاتهم.

دحضاً لهذه العقيدة وإزالةً لشبهة المسلمين في أن الله جاء على صورة الرسول الكريم، أو أنه جزء من نور الله، طلب الله تعالى من النبي ﷺ أن يعلن في 6 آيات بأنه بشر، وليس بمخلوق نوريّ وأن الله لم يظهر في صورته، فلا تعبدوا رسولاً ولا تستعينونه في حاجاتكم بل اسألوا الله سبحانه كما يدعوه جميع الأنبياء والرسل. وقد بعث الله النبي ﷺ لنشر هذه العقائد وهذه هي رسالة الإسلام.

الآيات والأحاديث التي تثير شبهة كون النبي ﷺ نوراً

﴿14﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ

رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [**المائدة**5:1516]

في هذه الآية "النور" تعني النبي ﷺ كما في تفسير الجلالين، وهذا يشير إلى أن كلمة النور في القرآن تعني النبي ﷺ.

ولكن ورد في تفسير ابن عباس رضي الله عنه بأن المراد بكلمة النور هي الرسالة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ "رسولٌ يعني مُحَّد". فسّر كلمة النور أولاً بالرسول ثم بمحمد، هذا يعني أن رسالة النبي ﷺ نور لا ذاته. وكيف يمكن أن يكون هو نوراً وقد أُمِر أن يعلن في عدة آيات أنه بشرٌ؟

وبالمثل، فإن كلمة النور في الآية التالية يعني بالإجماع أن المراد به الإيمان، كما في تفسير ابن عباس: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الكفر إلى الإيمان. (تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص 119 سورة المائدة 5:15-16)

فثبت أن النور له معان مختلفة.

والدليل الثالث أن هذه الآية تبدأ بقول "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا" مما يثبت أن "الرسول" قد جاء إليكم، والمراد بالنور هنا رسالة مُحَّد ﷺ. ولا ريب أن الدين الذي أتى به النبي ﷺ، وكذلك نبوته وسننه نور ألمع من الشمس والقمر.

وقد شرح بعض المفسرين "النور" بالنبي ﷺ، فخطأ بعض العلماء في فهمه بأن النبي نفسه نور، لكن تفسير ابن عباس رضي الله عنه يذكر المعنى الصحيح يعني رسالته

نور وإلا فإنه يتعارض مع العديد من الآيات القرآنية الأخرى التي قيل فيها بأن النبي بشر.

ومع ذلك كلمة نور في القرآن له معانٍ مختلفة، مثل: النبوة، والقرآن، والهداية؛ لذلك من الصعب إثبات أن النبي ﷺ نور بكلمة غير صريحة.

الآن يمكنك أن ترى مدى ضعف إثبات أن النبي ﷺ نور بهذه الآية.

حاول البعض إثبات أن النبي ﷺ نور بالآية التالية أيضاً:

﴿15﴾ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا [الأحزاب 46-33:45]

ولكن فسّر سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه كلمة "سراجا منيرا" في الآية بـ"مضيئاً يقتدى بك" (تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص 446 سورة الأحزاب 33:46)

وكلمة "سراج" في هذه الآية معناه نور نبوته ﷺ.

فقد استخدم كلمة النور في القرآن لخمسة معان

استعملت كلمة النور في القرآن لخمس معان. أحيانًا للقرآن، وفي بعض الأماكن للنبوة، وأحيانًا للإيمان، وأحيانًا للأحكام الإلهية وأحيانًا للدين.

1. "النور" معناه "القرآن" في هاتين الآيتين

﴿16﴾ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الأعراف 7:157]

كما في تفسير ابن عباس: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ﴾ القرآن. (انظر: 7:157)

﴿17﴾ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا [الشورى 42:52]

كما في تفسير ابن عباس: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ قلناه يعني القرآن ﴿نُورًا" بياناً للأمر والنهي. (انظر: 7:157)

2. "النور" معناه "الإيمان" في هاتين الآيتين

﴿18﴾ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [المائدة 5:16]

وفي تفسير ابن عباس: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ من الكفر إلى الإيمان. (انظر 5:16)

﴿19﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا [الأحزاب 33:43]

وفي تفسير ابن عباس أن المراد بكلمة "النور" "الإيمان" وبكلمة "الظُّلُمَاتِ" هي الكفر: ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ قد أخرجكم من الكفر إلى الإيمان. (انظر: 33:43)

3. "النور" معناه "الأحكام" في هذه الآية

﴿20﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ [المائدة 5:44]

وفي تفسير ابن عباس أن كلمة النور هنا تعني الأحكام الواردة في التوراة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان الرجم. (انظر: 5:44)

4. "النور" المراد به "الدين" في هذه الآيات

﴿21﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [التوبة 9:32]

وفي تفسير ابن عباس أن كلمة "النور" هنا في معنى "دين الإسلام": ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ دين الله ﴿إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ إلا أن يظهر دينه الإسلام. (أيضاً: ص 202 سورة التوبة 9:32)

﴿22﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [الصف 61:8]

كما في تفسير ابن عباس: ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ ليبطلوا دين الله ويقال كتاب الله القرآن ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ مُظهر نور كتابه ودينه. (انظر: 61:8)

5. "النور" معناه "نبوة مُحَمَّد ﷺ"

﴿23﴾ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ [المائدة 5:15]

وفي تفسير ابن عباس ؓ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ "رسولٌ يعني مُحَمَّد". (انظر: 5:15)

فسّر كلمة النور أولاً بالرسول ثم بمحمد، هذا يعني أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم نور لا ذاته.

وقد وردت كلمة "النور" في القرآن في خمس معانٍ، لذا علينا أن نفسّر كلمة "النور" في الآية [المائدة 5:15] بمدلول لا يتعارض مع الآيات الأخرى من

القرآن الكريم. لذلك نؤمن بأن النبي ﷺ كان بشراً من البشر، لكنه كان مزيَّناً بصفات الإيمان والنبوة والقرآن والدين ولذلك كان نوراً حسب صفاته.

لا يجوز أن يطلق على النبي ﷺ بالبشرية إساءةً له

الأنبياء كلهم بشر، لكن وصفهم بالبشر مثلنا وتسويتهم بأنفسنا غير جائز، كما فعل ذلك أهل الكفر والشرك بأنبياءهم ورفضوا دعوتهم بدليل أنهم بشرٌ مثلهم، كما جاء في القرآن:

﴿24﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [الشعراء 26:154]

﴿25﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ [الشعراء 26:186]

﴿26﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ [هود 11:27]

في هذه الآيات الثلاث، دعا الكفار الأنبياء بشراً مثلهم، وبالتالي رفضوا نبوتهم.

لم يتم تأسيس حديث نور

بعض الناس يقدمون حديثاً من مصنف عبد الرزاق لإثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم كان نورًا، بينما يستشهد البعض بهذا الحديث من دلائل النبوة للبيهقي والمستدرك للحاكم، لكني لم أجد الحديث في هذه الكتب حتى بعد جهد كبير. اعتبر العديد من العلماء والمحدثين على أن هذا الحديث

"موضوع". ومن الواضح أن الحديث الموضوع لا يمكن أن يقف أمام الآيات القرآنية؛ لذلك لا يمكن تقديمها لإثبات أن النبي ﷺ كان نورًا. والحديث كالتالي:

روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله قال قلت يا رسول الله! بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيءٍ خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيک من نوره الخ (المواهب اللدنية، للقسطلاني، ج 1، المقصد الاول، باب تشريف الله تعالى، ص 48)

ولا يمكن قبول مثل هذا الحديث وهو يناقض 12 آية من القرآن و 3 أحاديث المذكورة أعلاه، لذلك لا يُقبل هذا الحديث.

وخلافا لهذا الحديث فقد ورد في الحديث الأخر أن الله تعالى خلق القلم أولا. والحديث كما يلي:

﴿7﴾ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ ... لَقِيتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ". (سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ن والقلم، ص 757، رقم 3319)

هذا الحديث يناقض حديث النور المذكور أعلاه.

وكذلك، تشير الآية التالية أيضًا إلى أن القلم قد خُلق أولاً:

﴿26﴾ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ [القلم 68:1]

فهذه 12 آية و 3 أحاديث تثبت بشكل قاطع أن النبي ﷺ كان بشراً. ولا يوجد دليل من القرآن والحديث يثبت أنه كان نوراً. ولا يمكن إثبات العقيدة بالأحاديث الموضوعة أو التفسير الغامض لبعض المفسرين.

نهى النبي ﷺ عن المبالغة في مدحه

قد بالغ النصارى في مدح عيسى عليه السلام واتخذوه ابن الله وبالغوا في تعظيمه حتى جعلوه ثالث ثلاثة؛ لذلك نهى القرآن عن المبالغة في المدح والتعظيم، كما قال:

﴿27﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ [النساء 4:171]

﴿28﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ [المائدة 5:77]

ولذلك نهى الرسول ﷺ المسلمين بالمبالغة والإطراء في حقه، كما جاء في الحديث:

﴿8﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ ـ رضى الله عنه ـ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ " لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ". (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها 16:19، ص 580، رقم 3445)

فهذه 28 آية و 8 أحاديث حول هذه العقيدة.

المبحث السابع

حياة النبي ﷺ في قبره

سنذكر 11 آية من القرآن و 20 حديثاً بخصوص هذه العقيدة.

إن النبي ﷺ حي في قبره وجسده المبارك سالم تمامًا وحياته في القبر أعلى من حياته في هذا العالم.

وهناك عدة أحاديث تثبت هذه العقيدة:

﴿1﴾ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا قَالَ قُلْتُ وَبَعْدَ الْمَوْتِ قَالَ وَبَعْدَ الْمَوْتِ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ فَنَبِيُّ اللَّهِ حَيٌّ يُرْزَقُ. (سنن ابن ماجه باب ذكر ووفاته ودفنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ص 234، رقم 1637)

هناك ثلاث نقاط في هذا الحديث: أولاً، جثث الأنبياء لم تأكلها الأرض في القبر. ثانياً: النبي ﷺ حي في قبره ويُرزق فيه. ثالثًا: يُعرض سلام المسلمين على النبي ﷺ في قبره.

وفي حديث آخر:

﴿2﴾ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ يَعْنِي بَلِيتَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ. (سنن ابن ماجه، باب في فضل الجمعة، ص 152، رقم 1085)

يذكر هذا الحديث نقطتين: أولاً، سلام المؤمنين تُقدم للأنبياء في قبورهم. وثانياً، أجساد الأنبياء لم تأكلها الأرض في القبر.

وفي حديث آخر:

﴿3﴾ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال من صلى عليَّ عند قبري سمعته و من صلى عليَّ نائياً أُبلغته. (البيهقي في شعب الإيمان، باب في تعظيم النبي ﷺ و إجلاله و توقيره، ج 2، ص 218، رقم 1583)

يعني أن النبي ﷺ يسمع السلام إذا قُدِّم قرب قبره، وإذا تُلي من بعيد فإنه يُعرض عليه.

وفي حديث آخر:

﴿4﴾ قال رسول الله ﷺ حياتي خير لكم تحدثون و نحدث لكم، و وفاتي خير لكم تُعرض عليَّ أعمالكم فما رأيت خيراً حمدت الله و ما رأيت من شر استغفرت الله لكم. (مسند البزار، باب زاذان عن عبد الله، ج 5، ص 308)

يثبت هذا الحديث أن النبي ﷺ حي في قبره وتُعرض عليه أعمال المسلمين. ويُثبت هذا الحديث أن النبي ﷺ ليس بحاضر ولا ناظر؛ وإلا لم تكن هناك حاجة لعرض الأعمال إلى جنابه.

وفي حديث آخر:

﴿5﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ. (سنن النسائي، كتاب السهو، باب التسليم على النبى ﷺ، ص 179، رقم 1283)

جاء في الحديث أن الصلاة والسلام من الناس تصل إلى النبي ﷺ.

وفي حديث آخر:

﴿6﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ. (سنن أبي داود، باب زيارة القبور، ص 295، رقم 2041)

في هذا الحديث أن روحه عادت إلى جسده ليرد السلام.

وفي حديث آخر:

﴿7﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتَيْتُ وَفِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ. (صحيح مسلم، باب فضل موسى عليه السلام، ص 1044، رقم 6157/2375)

جاء في هذا الحديث أن النبي موسى عليه السلام كان يصلي في قبره، أي كان على قيد الحياة في قبره.

الأنبياء أحياء لأنهم أفضل من الشهداء

الشهداء أحياء فالأنبياء هم أيضاً أحياء لأنهم أفضل من الشهداء، كما قال الله تعالى في القرآن المجيد:

﴿1﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ [البقرة 2:154]

تذكر هذه الآية أن الشهداء أحياء، لكن لا يمكن لنا إدراك نوعية حياتهم، وهذا يعني أن هذه الحياة هي حياة برزخية خاصة. لا ينبغي أن نتعمق في مناقشة حقيقة حياتهم لأننا قد لا ندركها.

هناك آية أخرى:

﴿2﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران 3:169171]

تقول هذه الآية أن الشهداء أحياء و يُرزقون. فالأنبياء أفضل من الشهداء، لذلك يجب أن يكونوا أيضاً أحياء في قبورهم.

فقد جاء في الحديث:

﴿8﴾ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ. (صحيح مسلم، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة و أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ص 845، رقم 4885/1887)

إن الرسول ﷺ حي في قبره لأربعة وجوه

لقد تُوُفِّيَ النبي ﷺ وارتحل من هذا العالم ولكنه يتمتع بالحياة البرزخية الخاصة ويرزق فيها من ربه رزقاً خاصاً، ولكنه يعتبر على قيد الحياة وفقًا لهذا العالم أيضاً لأربعة وجوه:

(1) لا يمكن لزوجاته أن يتزوجن بعد وفاته.

(2) لن يتم توزيع ممتلكاته وإرثه بين ورثائه.

(3) الأرض لن تأكل جسده. إن هذه الميزات الثلاثة مشتركة بين جميع الأنبياء.

(4) ولكن النبي ﷺ له ميزة رابعة خاصة وهو أنه لن يأتي بعده نبي وهو خاتم الأنبياء.

يتمتع عامة الناس بنوع من الحياة في قبورهم

يتمتع عامة الناس أيضًا بنوع من الحياة البرزخية في القبر حيث أنهم يشعرون بالعقاب أو الثواب. لكن الفرق بين حياة عامة الناس والأنبياء وكذلك الشهداء هو أن جثث عامة الناس تتعفن وتأكلها الأرض، بينما تبقى جثث الأنبياء والشهداء سليمة كما هي وقت الدفن وحياتهم في القبر أعلى من حياتهم في الدنيا.

لكن لا ينبغي لنا أن نتعمق في هذا النقاش لأن الآية المذكورة أعلاه (2: 154) تشير إلى أننا لا نستطيع فهم حقيقة هذه الحياة؛ لذلك علينا أن نقتصر على الوصف الذي قدمه القرآن والحديث.

ومع ذلك، يتمتع عامة الناس أيضًا نوعًا من الحياة في القبر، كما جاء في الحديث:

﴿9﴾ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ "يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا". (صحيح البخاري، كتاب الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر، ص 220، رقم 1375)

يقول هذا الحديث أن اليهود قد عوقبوا في القبر، وهذا يعني أن لديهم نوعًا من الحياة البرزخية.

وجاء في حديث آخر:

﴿10﴾ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، قَالَ حَدَّثَتْنِي ابْنَةُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. (صحيح البخاري، كتاب الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر، ص 221، رقم 1376)

جاء في هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يستعيذ الله من عذاب القبر، فهذا يدل على وجود حياة برزخية في القبر.

يشعر الجسد والروح العذاب أو الثواب في القبر

فيما يلي بعض الأحاديث في هذا الصدد:

﴿11﴾ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ ... فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ ... فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. (مسند أحمد، حديث البراء بن عاذب، ج 5، ص 364، رقم 18063؛ أبو داؤد، باب المسألة في القبر و عذاب القبر، ص 672، رقم 4753)

في هذا الحديث أن روح كل ميت ترجع إلى جسده وتسأله الملائكة. يذكر الحديث أيضًا أن العذاب أو الثواب يتلقاها الجسد والروح في القبر، وليس الروح فقط وليس الجسد فقط.

وجاء في حديث آخر:

﴿12﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (صحيح البخاري، كتاب الجنائز ، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة و العشىء، ص 221، رقم 1379)

يذكر هذا الحديث أيضًا أن لكل ميت نوعًا من الحياة في القبر.

وجاء في حديث آخر:

﴿13﴾ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ـ رضى الله عنه ـ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي. وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا. يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَىْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ ". (صحيح البخاري، كتاب الجنائز ، باب كلام الميت على الجنازة، ص 221، رقم 1380)

يشير هذا الحديث إلى أن الرجل يُعطى الحياة في القبر ولديه نوع من الحياة البرزخية، مختلفةً من الحياة الدنيوية.

وجاء في حديث آخر:

﴿14﴾ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنْ الْأَمْوَاتِ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا بِهِ وَإِنْ

كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا. (مسند أحمد، مسند انس بن مالک، ج 3، ص 643، رقم 12272)

وفي هذا الحديث أن أعمالنا الصالحة تُعرض على الموتى الأقارب.

فقد ثبت بهاتين الآيتين من القرآن و 14 حديثًا أن النبي ﷺ حي في قبره وأن جسده سليم لم تأكله الأرض.

الحياة البرزخية أعلى من الحياة في الدنيا

فيما يلي بعض الآيات من القرآن الكريم:

﴿[3]﴾ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** [**المؤمنون** 23:99100]

تقول هذه الآية أن الموتى سيعيشون حياة برزخية وأن الظالمين سيطلبون العودة إلى هذا العالم، لكن طلباتهم لا تقبل.

وفي آيةٍ أخرى:

﴿[4]﴾ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** [**غافر** 40:46]

تقول هذه الآية أنهم سينالون هذه العقوبة في البرزخ.

وفي آيةٍ أخرى:

﴿5﴾ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ [الأنعام 6:93]

﴿6﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ [التوبة 9:101]

﴿7﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [إبراهيم 14:27]

﴿8﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الإنفطار 82:1314]

تشير هذه الآيات الستة من القرآن إلى أن الرجل يُعطى الحياة في القبر ثم يُعاقب أو يُكافأ وفق أعماله. وقد ثبت هذا بالأحاديث السابقة أيضاً.

قد تُوفِّي النبي صلى الله عليه وسلم وارتحل من هذه الدنيا

قد تُوفِّي النبي ﷺ وتلقاه الموت في هذه الدنيا، ولكنه حي في قبره بجسده، وحياته في القبر أعظم مما في الدنيا. وأما مماته وارتحاله من الدنيا، فيثبته هذه الآيات القرآنية والحديث:

﴿9﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر 39:30]

﴿10﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ [المؤمنون 23:15]

وقد جاء في الحديث:

﴿15﴾ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ

يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ اللَّهُ {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} (صحيح البخاري، باب الدخول على الميت بعد الموت اذا أدرج فى اكفانه، ص 199، رقم 1241؛ ابن ماجة، باب ذكر وفاته و دفنه ﷺ، ص 232، رقم الحديث 1627)

في هذا الحديث أن النبي ﷺ وافته مُنيته وأكده سيدنا أبو بكر رضي الله عنه.

وفي حديث آخر:

﴿16﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ جَاءَ أَبَا بَكْرٍ مَالٌ مِنْ قِبَلِ الْعَلاَءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ. (صحيح البخاري، كتاب الشهادات، ص 437، رقم 2683)

﴿17﴾ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي. (صحيح البخاري، كتاب المغازى ، باب مرض النبى ﷺ و وفاته، ص 755، رقم 4446)

تؤكد هذه الآيات والأحاديث أن النبي ﷺ قد توفي ولحقه الموت في الدنيا ولذلك دُفن. لو كانت له حياة دنيوية كيف يمكن دفنه؟

يرى بعض الناس أن أرواح المؤمنين تتجول في العالم

يرى بعض العلماء أن أرواح المؤمنين تتجول في العالم واستدلوا بأثر صحابي:

﴿18﴾ عن عبد الله بن عمرو (بن العاص) ﵁ قال: الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر، فاذا مات المومن يخلى به يسرح حيث شاء. (مصنف ابن أبي شيبة، باب كلام عبد الله بن عمرو، ج 7، ص 57، رقم 2675)

هذا الأثر يقول أن روح المؤمن تسرح وتتجول حيث تشاء، وهذا يعني أنها تستطيع الانتقال من مكان في الدنيا إلى مكان آخر. لكن هناك ثلاث نقاط الضعف:

(1) هذا قول صحابي وليس بحديث. لذلك قد لا تكون بمثابة دليل لإثبات العقيدة.

(2) في هذا الأثر: "الدنيا سجن للمؤمن"، فلما كان العالم سجنًا، فلماذا تعود الروح إلى العالم للتجول، فهو لا يعني التجول في هذا العالم، بل في الجنة، حيث لم يرد ذكر هذا العالم في قول الصحابي.

(3) وهناك حديث آخر يقول بوضوح عن سيدنا جعفر الطيار ﵁ أنه يطير في الجنة. لذلك القول المذكور أعلاه قد لا يكفي لإثبات أي مادة من مواد العقيدة.

هذا هو الحديث:

﴿19﴾ عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: رأيتُ جعفراً يطيرُ في الجنّة معَ الملائكة. (سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب جعفر بن طالب، ص 855، رقم 2763)

في هذا الحديث أن سيدنا جعفر ﵁ يتجول في الجنة حيث يشاء. لذلك يُفهم قول سيدنا عبد الله بن عمر ﵁ بمعنى أن روح المؤمن تسرح في الجنة، لا في الدنيا.

وهناك حديث آخر:

﴿20﴾ عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ، {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ " أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ ". (صحيح مسلم، كتاب الأمارة ، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة و أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ص 845، رقم 4885/1887)

يقول هذا الحديث أيضًا أن أرواح الشهداء تسرح في الجنة وأما التجول في الدنيا فلا يثبت.

أهل جهنم سوف يتمنون للعودة إلى الدنيا

وهناك آية في القرآن تقول أن الكفار سيطلبون بعد الموت أن يعودوا إلى الدنيا، لكن طلبهم لن يُقبل، فكيف نؤمن بعودة الأرواح إلى الدنيا، ها هي الآية:

﴿11﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ [المؤمنون 23:99100]

تقول هذه الآية أنه سيرغب الكفار بعد الموت في العودة إلى العالم، لكن لن يُسمح لهم بذلك. فكيف يمكن أن تتجول أرواحهم في الدنيا؟

لقد نقلنا 11 آية و 20 حديثًا بخصوص هذه العقيدة.

يعتقد غير المسلمين أن آلهتهم تتجول في العالم

يعتقد المشركون أن أرواح آلهتهم تتجول في العالم، فهي تدخل داخل الأصنام وتستمع إلى طلبات أتباعهم وتعينهم. يؤمن المشركون بالعديد من الآلهة التي تقطن المعابد والجبال المختلفة. لذلك يرغبون في زيارة تلك المعابد والأماكن ويقصدون إليها، يسجدون أمامها، ويعبدونها، ويرفعون حاجتهم إليها.

المبحث الثامن

النبي ﷺ ليس بحاضر ولا ناظر

ليس النبي ﷺ بحاضر ولا ناظر أي كلّي الوجود وكلّي المعرفة بأنه لا يحضر كل مكان ولا يعلم كل شيء كما يعتقد بعض الناس.

سنذكر 34 آية من القرآن و 13حديثاً بخصوص هذه العقيدة. والتفاصيل كما يلي:

الحضور على ثلاثة أنواع

(1) كان النبي ﷺ حاضرًا في أماكن كثيرة خلال حياته في هذا العالم.

(2) أنه سيكون حاضرا في أماكن كثيرة في الآخرة.

(3) ولكن النبي ﷺ لا يحضر في كل مكان بأن يرى كل شيء في كل وقت. على سبيل المثال، اليوم هو حاضر أمام زيد، ويراقب أحواله كلها، فهذه صفة من صفات الله لا للنبي ﷺ.

الوجود والعلم هما صفتان لله وحده

الله حاضر وموجود في كل مكان حسب علمه، وقد ثبت ذلك بعدة آيات:

﴿[1]﴾ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [الحديد 57:4]

﴿[2]﴾ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا [المجادلة 58:7]

﴿3﴾ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة 9:40]

﴿4﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ [محمد 47:38]

﴿5﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ [البقرة 2:186]

﴿6﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [ق 50:16]

هذه الآيات الستة من القرآن تخبرنا أن الله معنا في كل مكان، لذلك فهو الوحيد الذي يمتلك صِفة الوجود في كل مكان. ولكن كيف يكون حاضرًا في كل مكان، فهو أعلم بحقيقته.

الله يرى كل شيء

وهذه بعض الآيات القرآنية:

﴿7﴾ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران 3:15]

﴿8﴾ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران 3:20]

﴿9﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [البقرة 2:233]

﴿10﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [البقرة 2:237]

﴿11﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [البقرة 2:265]

﴿12﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [آل عمران 3:156]

﴿13﴾ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ [آل عمران 3:163]

﴿14﴾ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [الأنفال 8:39]

هذه الآيات الثمانية من القرآن تثبت أن الله كلي العلم أي أنه يرى كل شيء. لذلك، كونه كلي العلم هي صفته الخاصة. ولكن كيف يرى كل شيء، فهو أعلم بحقيقته.

الآيات تدل أن النبي ﷺ لم يكن حاضراً في هذه الأماكن

تقول الآيات التالية من القرآن أن النبي ﷺ لم يكن حاضراً في أماكن كذا وكذا، وفي الآخرة أيضاً سيقول إنه لم يكن حاضراً في موقع كذا. إذن، بالنظر إلى هذه الآيات، كيف يمكننا أن نقول إنه موجود في كل مكان؟

ها هي الآيات:

﴿15﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ [القصص 28:44]

﴿16﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا [القصص 28:46]

﴿17﴾ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ [آل عمران 3:44]

﴿18﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ [يوسف 12:102]

﴿19﴾ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [المائدة 5:117]

ملاحظة: هذه الآية الأخيرة مرتبطة بالنبي عيسى عليه السلام، ولكن في الحديث أن النبي ﷺ كرر هذه الكلمات أيضًا، فهي تتعلق به أيضًا، فسيتم ذكر الحديث في مبحث علم الغيب.

هذه الآيات الخمسة تقول بوضوح أن النبي ﷺ لم يكن حاضراً وموجوداً في هذه الأماكن. وعلاوة على ذلك، فإن النبي ﷺ سوف يعترف في الآخرة أنه بعد وفاته لم يكن مع أمته، فكيف يُدعى أنه موجود في كل مكان ويعلم كل شيء.

ملاحظة: هذا البحث متعلق بالإيمان؛ لذلك لأجل إثبات أن النبي حاضر في كل مكان وناظر لكل شيء، من الواجب تقديم آية واضحة أو حديث صحيح يثبت بوضوح أنه كان حاضر وناظر أو أنه موجود في كل مكان ويعرف كل شيء أثناء وجوده في القبر. لا يمكن إثبات العقيدة من الأحلام، أو المناقشات الفلسفية، أو من تصريحات الشيوخ، فهذه قاعدة ثابتة.

الأحاديث تدل أن النبي ﷺ لم يكن حاضراً في هذه الأماكن

تشير الأحاديث التالية أيضًا إلى أن النبي ﷺ لم يكن حاضرًا في أماكن كثيرة حتى خلال حياته. وفي الآخرة أيضاً يصرح بأنه بعد موته لم يكن موجودا بين أظهر أمته فلا يعلم أحوالهم. هذا يثبت أنه لم يكن كلّي الوجود وكلّي المعرفة. نعم، كان على علم تام بما تم إبلاغه به، وأعطاه الله تعالى العلم أكثر من علم الأولين والآخرين.

جاء في حديث معراج أن الله سبحانه وتعالى عُرض عليه المسجد الأقصى، فأجاب أسئلة أهل قريشٍ، هذا يثبت أيضًا أنه لم يكن كلّي الوجود وكلّي المعرفة. لو كان حاضرًا في كل مكان وعلم كل شيء، لم تكن هناك حاجة لعرض المسجد الأقصى أمامه. والحديث كما يلي:

﴿1﴾ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ " لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ". (صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، ص 652، رقم 3886)

لكن لما رمى المنافقون السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها زوجة الرسول ﷺ، إنه ما دام في قلق لمدة شهر تقريبًا، ثم أنزل الله (ﷻ) بعض آيات سورة النور وأكد براءتها، فشعر النبي ﷺ بالطمأنينة. لو كان النبي ﷺ كلي الوجود وكلي العلم، لم تكن هناك حاجة للشعور بالقلق لأنه كان من المعلوم عنده أنها برئية. والحديث كما يلي:

﴿2﴾ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ، ..... فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكُثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَىْءٌ ـ قَالَتْ ـ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ " يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ". فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ

مِنْهُ قَطْرَةً وَقُلْتُ لأَبِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لأُمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ. قَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ فَقُلْتُ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي " يَا عَائِشَةُ، احْمَدِي اللَّهَ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ ". فَقَالَتْ لِي أُمِّي قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لاَ وَاللَّهِ، لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللَّهَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ الآيَاتِ، [النور/11] (صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفک، ص 701، رقم 4141؛ صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفک و قبول التوبة، ص 1205، رقم 7020/2770)

وكذلك تقول الأحاديث التالية أيضًا أن تحية الناس تصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم. لو كان الكون أمام عينيه لما كانت هناك حاجة لنقل التحية إليه:

﴿3﴾ عَنْ زَاذَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ". (سنن النسائي، كتاب السهو، باب التسليم على النبى ﷺ، ص 179، رقم 1283)

﴿4﴾ عَنْ زَاذَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قال قال رسول الله ﷺ: حياتي خيرٌ لكم تحدثون و نحدث لكم، و وفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت خيراً حمدتُ الله وما رأيت من شرٍّ استغفرتُ الله لكم. (مسند البزار، باب زاذان عن عبد الله، ج 5، ص 308)

وهذه الأحاديث تؤكد ثلاث نقاط:

(1) النبي ﷺ حي في قبره.

(2) تُعرض عليه أعمال الأمة وأفعالها.

(3) إنَّ النبي ﷺ ليس كلّي الوجود ولا كلّي العلم، وكذلك الكون ليس أمام عينيه؛ وإلا فلا حاجة لعرض الأعمال.

وقد جاء في حديث آخر:

﴿5﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ". (أبو داؤد، كتاب المناسک، باب زيارة القبور، 296، رقم 2042)

في هذا الحديث أن الصلاة والسلام يُبلغ إلى النبي ﷺ، فلو كان كلّي الوجود وكلّي العلم لما كانت هناك حاجة بأن تبلغ الملائكة السلام إليه.

ويقول الحديث التالي أنه لن يكن كلّي الوجود و كلّي العلم في الآخرة أيضًا لأنه سيظن عن بعض الناس بأنهم من أصحابه:

﴿6﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ... وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ. فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي. فَيَقُولُ إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ} إِلَى قَوْلِهِ {الْحَكِيمُ} قَالَ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ". (صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، ص 791، رقم 4625؛ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، ص 1018، رقم 5996/2304)

لو كان النبي ﷺ حاضرًا في كل مكان وعليمًا لكل شيء لما دعاهم قائلاً: أُصَيْحَابِي.

فقد ثبت بهذه الأحاديث الستة أن النبي ﷺ ليس كلّي الوجود ولا كلّي العلم وليس الكون كله أمام عينيه حتى يتمكن من رؤية كل شيء. نعم، هو حي في قبره بجسده، وتبلغه الملائكة السلام من أمته.

إن قضية وجود الرسول في كل مكان ومعرفته كل شيء تتعلق بالمعتقدات؛ لذلك يجب أن تكون مبنية على آية أو حديث صحيح، ولا يمكن أن تكون مبنية على رؤيا أو أقوال بعض الشيوخ.

معنى "الشهيد" في الآيات القرآنية

سنذكر هنا ثلاث آيات من القرآن وتفسير عبد الله بن عباس ﵄ لكلمة "شهيد" أي أن النبي ﷺ سيشهد يوم القيامة أنه بلّغ الرسالة وأدى الأمانة. وكذلك جميع الأنبياء أيضًا سيشهدون يوم القيامة أنهم بلّغو الرسالة وأدوا واجباتهم. لذا، فإن كلمة "شهيد" هنا بمعنى الشاهد، وليست بمعنى الموجود في كل مكان والعالِم لكل شيء.

هنا يُطرح سؤال مفاده أن "الشهادة" تتطلب حضورًا – فلا يمكن لمن لم يكن حاضرًا في مشهد ما أن يكون شاهدًا – لذلك سيكون من الضروري الاعتقاد بأن النبي ﷺ كان يعرف كل ظروفهم.

هذه الحجة لا أساس لها. والواقع أن القرآن قد أكد أن الأنبياء جميعاً قد أدوا واجباتهم، فيشهد النبي ﷺ على هذه الحقيقة إيمانا بالقرآن. كما أن الرسول ﷺ أخبر أمته أن الأنبياء جميعًا أدوا واجباتهم تجاه قومهم، وبناءً على هذه المعلومات أيضًا يشهد المسلمون أن الأنبياء جميعًا قد أدوا واجباتهم تجاه قومهم. هذا لا يعني أن النبي ﷺ والأمة حاضرة في كل مكان ويعرف كل شيء.

وقد جاء في الحديث:

﴿7﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ "يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلاَنِ وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلاَثَةُ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ فَيُقَالُ لَهُ هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ فَيَقُولُ نَعَمْ . فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ لاَ . فَيُقَالُ مَنْ شَهِدَ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ . فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ فَيُقَالُ هَلْ بَلَّغَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَيَقُولُ وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ . قَالَ فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}. (سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ، ص 624، رقم 4284)

في هذا الحديث أن الأمة ستشهد بناء على شهادة النبي ﷺ. هذا لا يعني أنهم موجودون في كل مكان.

كما يلقي الحديث التالي أيضاً الضوء على نفس الموضوع:

﴿8﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ يَا رَبِّ. فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ مَنْ شُهُودُكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ". ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (صحيح البخاري، باب قول الله عز وجلّ: ولقد ارسلنا نوحا الى قومه 11:25، ص 555، رقم 3339)

إذا افترضنا أن كلمة "شهيد" تدل على معنى كلّي الوجود وكلّي المعرفة، فسيؤدي ذلك إلى الاعتقاد بأن الأمة أيضاً كلّية الوجود وكلية المعرفة؛ لأن الأمة أيضًا سميت بـ"الشهيد" في القرآن: لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ [2:143] في نفس المعنى. وكذلك، يجب أن يكون الأنبياء الأخرى أيضًا كلّي الوجود وكلّي المعرفة لأن الآية: جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ [4:41] أيضًا تسميهم بشهيد.

في الواقع، أكد القرآن أن الأنبياء السابقين بلغوا رسالة الله إلى قومهم، وبناءً على هذا ستشهد أمة النبي مُحَمَّد ﷺ يوم القيامة بأن جميع الأنبياء قد يلغوا رسالة الله إلى قومهم، وسيشهد النبي ﷺ نفسه أن جميع الأنبياء قد بلغوا رسالة الله.

وهذه بعض الآيات التي تقول إن الله ﷻ قد أرسل الرسل لتبليغ رسالته إلى الناس.

﴿20﴾ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** [**النور** 24:54]

﴿21﴾ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** [**العنكبوت** 29:18]

﴿22﴾ **قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ** [**الأنعام** 6:19]

وبناءً على هذه الآيات سيشهد النبي ﷺ وأمته يوم القيامة أن جميع الأنبياء قد بلغوا الرسالة إلى قومهم. وبالتالي، ثبت أن النبي ﷺ وأمته ليسوا حاضرين في كل مكان وناظرين لكل شيء.

الآيات التي قدمها البعض كدليل على حاضر وناظر

قدم بعض العلماء الآيات الثلاثة التالية لإثبات أن النبي حاضر في كل مكان وناظر لكل شيء واستنتجوا أن الشهادة قد أُدلي بها على أساس التواجد في المكان، وسيشهد النبي ﷺ على الأنبياء، فيدل على أنه حاضر وناظر. بعض الناس ترجموا كلمة "شاهداً" في الآية بـ"الحاضر".

﴿23﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُول [المزمل 73:15]

وهنا كلمة "شاهد" بمعنى الشهادة على إيصال رسالة الله كما جاء في تفسير ابن عباس: ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بالبلاغ (انظر: 73:15)؛ إذ أن الجزء الثاني من الآية يقارنها بإرسال موسى عليه السلام إلى فرعون.

﴿24﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا [الأحزاب 33:4546]

وهنا أيضاً "شاهد" بمعنى الشهادة على إبلاغ الرسالة، كما في تفسير ابن عباس: ﴿شَاهِدًا﴾ على أمتك بالبلاغ (انظر: 33:45)؛ لأن الآية التالية تقول: "دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ"، وهذا يؤكد المعنى المذكور أعلاه، لا معنى الحاضر والناظر.

﴿25﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا [الفتح 48:8]

وهنا أيضاً كلمة "شاهد" بالمعنى المذكور كما في تفسير ابن عباس: ﴿شَاهِدًا﴾ على أمتك بالبلاغ (انظر: 48:8). وهذا أيضاً يؤكد معنى الشهادة على إبلاغ رسالة الله، لا معنى الحاضر والناظر.

ستكون الأمة أيضاً شهيداً وهذا يلزم أن يسمى الأمة بالحاضر والناظر

لو سلّمنا أن كلمة "شاهد" أو "شهيد" تشير إلى أن النبي ﷺ حاضر وناظر (كلي الوجود وكلي العلم)، فعلينا أن نسلم أن أفراد الأمة أيضًا حاضرون وناظرون لأنهم أيضاً سيشهدون على أتباع الأنبياء الآخرين. لذلك لا يصح لبقول بأن النبي ﷺ حاضر وناظر وفق الآيات المذكورة.

وهذه بعض الآيات التي تذكر أن الأمة ستكون شهيداً على أتباع الأنبياء الآخرين يوم القيامة:

﴿26﴾ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** [البقرة 2:143]

﴿27﴾ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ** [النحل 16:89]

﴿28﴾ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** [النساء 4:41]

﴿29﴾ **لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** [الحج 22:78]

﴿30﴾ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا** [النحل 16:84]

﴿31﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ [القصص 28:75]

هذه الآيات الست تذكر أن الشهود سيكونون من كل أمة، فهل نصدق أن كل هؤلاء هم حاضرون وناظرون؟

كلمة "شهد" لها ثلاثة معانٍ

كلمة "شهد" لها ثلاثة معانٍ؛ لذلك يجب أن تُفهم هذه الكلمة بمعنى مناسب حسب السياق، حتى لا تتعارض مع الآيات الأخرى:

(1) شهد بمعنى إدلاء الشهادة

(2) شهد بمعنى الحضور والرؤية

(3) شهد بمعنى تأييد شهادة الشهود

المعنى الأول: إدلاء الشهادة:

﴿32﴾ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا [يوسف 12:26]

وهنا كلمة "شهد" بمعنى إدلاء الشهادة، إذ لم ير الطفل النبي يوسف عليه السلام في غرفة زليخا؛ فكلمة "شهد" هنا بمعنى الشهادة فقط.

المعنى الثاني: الحضور

﴿33﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ [القصص 28:44]

كلمة "شاهد" هنا بمعنى "الحاضر".

المعنى الثالث: إقرار حقيقة الشهود

﴿34﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء 4:41]

في تفسير ابن عباس: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ويقال لأمتك شهيداً مزكياً معدلاً مصدقاً لهم (انظر: 4:41)،

يعني أن النبي ﷺ يؤكد صحة ما شهدته الأمة.

لذلك، لما كان لهذه الكلمة ثلاثة معانٍ مختلفة، فيجب شرحه بكلمة مناسبة وفقًا للسياق، بحيث لا تتعارض مع الآيات الأخرى.

الأحاديث التي تثير شبهة الحاضر والناظر

﴿9﴾ عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا." (صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب هلاک هذه الأمة بعضهم ببعض، ص 1250، رقم 7278/2889)

هذا ذكر لإحدى معجزات الرسول ﷺ التي قُدّم فيها الشرق والغرب أمامه ورآهما بعينيه. كلمة "زوى" هي صيغة للفعل الماضي ويعني أنها وقعت مرة واحدة؛ وإلا فلو كان النبي ﷺ حاضرًا وناظرًا لما كانت هناك حاجة لتقديم الشرق والغرب أمامه. لذلك، لا يثبت هذا الحديث بأي حال بأنه صلى الله عليه وسلم حاضر وناظر. فإن هذا الحديث يذكر فقط إحدى معجزات النبي ﷺ.

النقطة الثانية في الحديث أن الأرض فقط هي التي قُدمت أمامه، وليس الكون كله.

وفي حديث آخر:

﴿10﴾ عن عبد الله بن عمرو (بن العاص) قال: الدنيا سجن المومن و جنة الكافر، فاذا مات المؤمن يخلى به يسرح حيث شاء. (مصنف ابن أبي شيبة، باب كلام عبد الله بن عمرو، ج 7، ص 57، رقم 2675/34722)

هذا قول الصحابي بأن المؤمن يتجول حيث يشاء بعد موته. بناءً على هذا البيان، استدل بعض الناس كما أن أرواح المؤمنين تتجول هنا وهناك، كذلك يتجول النبي ﷺ أيضًا في جميع أنحاء العالم. لكن هناك عدة نقاط ضعف في هذا الأثر:

(1) هذا أثر صحابي وليس بحديث. لذلك قد لا يكون بمثابة دليل لإثبات العقيدة.

(2) في هذا الأثر: "الدنيا سجن للمؤمن"، فلما كان العالم سجنًا، فلماذا تعود الروح إلى العالم للتجول؟ وعندما خرجت روح المؤمن من هذا السجن بعد الموت فلماذا تعود إلى السجن؟

(3) والحقيقة أن روح المؤمن تسرح في الجنة لا في الدنيا، كما جاء في الأحاديث الأخرى أن أرواح الشهداء تطير في الجنة حيثما شاءوا. والحديث كما يلي:

﴿11﴾ عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة. (سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب جعفر بن طالب، ص 855، رقم 2763)

جاء في هذا الحديث أن سيدنا جعفر رضي الله عنه يطير في الجنة حيث يشاء. لذلك فإن أثر الصحابي المذكور أيضاً يعني أن أرواح المؤمنين ستسرح في الجنة لا في هذا العالم.

كما يذكر الحديث التالي بوضوح أن أرواح الشهداء تسرح في الجنة حيث تشاء، لا في هذا العالم:

﴿12﴾ عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ هو ابن مسعود عَنْ هَذِهِ الآيَةِ، {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ "أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ." (صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة و أنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، ص 845، رقم 4885/1887)

وكذلك يُثبت الحديث التالي أيضًا أن روح المؤمن تسرح في الجنة:

﴿13﴾ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ قَالَ : " إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يُبْعَثُ ". (ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر القبر و

البلى، ص 622، رقم 4271؛ مسند أحمد، بقية حديث كعب بن مالك الانصاري، ج 25، ص 57، رقم 15777)

يذكر هذا الحديث بوضوح أن روح المؤمن تتجول في الجنة، لا في الدنيا. بل إنه من معتقدات المشركين أن أرواح الموتى تتجول في العالم.

فهذه 34 آية من القرآن و 13 حديثًا بصدد هذه العقيدة.

يعتقد الهندوس أن آلهتهم حاضرون وناظرون

يعتقد المشركون أن أسلافهم وكهنتهم وآلهتهم حاضرون (في كل مكان) وناظرون (لكل شيء)، حتى أن الآلهة موجودون داخل الأصنام ويستمعون إلى دعواتهم، ويرونهم ويقضي حاجاتهم. ولهذا قام المشركون بنصب تماثيلهم والاستعانة بهم. وإلا فهم يعرفون أن هذه الأصنام ليس لها أرواح، لكنهم يعتقدون أن آلهتهم موجودون داخل الأصنام ويستمعون إلى دعواتهم؛ لذلك يسجدون لهم ويرفعون حاجاتهم إليهم.

لذلك، صرح الله كل التصريح في الآيات الخمس المذكورة أعلاه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن موجودًا في تلك الأماكن، حتى لا يرفع الناس حاجاتهم إلى النبي ﷺ مؤمنين به على أنه حاضر في كل مكان وناظر لكل شيء. هذه نقطة مهمة للغاية للتأمل فيها.

المبحث التاسع

إن الله وحده كلي الاختيار

الله وحده كلي الاختيار. ومع ذلك، فقد أُعطي النبي ﷺ الكثير من الاختيارات وسيُعطى الكثير من الاختيارات في الآخرة والتي هي أكثر من الاختيارات التي تُمنح لأي شخص آخر من الأولين والآخرين. لكن هذه بعض الاختيارات، لا كلها، لأن كل الاختيارات هي بيد الله وحده.

سنذكر 36 آية و 9 أحاديث عن هذه العقيدة وتفاصيلها ما يلي:

الاختيارات على أربعة أنواع

(1) لله سلطان كامل على كل شيء إلى الأبد، وهذه لله وحده.

(2) قد أودع الله العديد من الاختيارات للنبي ﷺ في الدنيا.

(3) وإنه سيُعطي النبي ﷺ أربع اختيارات خاصة يوم القيامة.

(4) هل للنبي ﷺ سلطة إعطاء الشفاء أو الرزق أو إصابة الضرر أو النفع لأحد؟

(1) لله وحده سلطان كامل

وقد ثبت ذلك بعدة آيات:

﴿1﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ [الزمر 39:62]

﴿2﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ [غافر 40:62]

﴿3﴾ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد [هود 11:107]

﴿4﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۞ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ [البروج 85:1617]

﴿5﴾ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [الرعد 13:16]

تقول هذه الآيات بوضوح أن الله وحده له سلطان مطلق على كل شيء وأن مثل هذه السلطان لا يحصل لأحد غيره.

(2) لقد أُعطي النبي ﷺ اختيارات عديدة في الدنيا

أُعطي النبي ﷺ اختيارات ليعيش حياة طبيعية، وينشر رسالات الله، ومع ذلك حصلت له واجبات أربعة خاصة كما في هذه الآيات:

﴿6﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [الجمعة 62:2]

﴿7﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [البقرة 2:129]

وفقًا لهذه الآيات، تم تكليف النبي ﷺ بأربع واجبات:

(1) تلاوة القرآن

(2) تعليم القرآن

(3) تعليم الحكمة

(4) تزكية المؤمنين

وهناك آيات أخرى:

﴿8﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا [الأحزاب 33:46]

﴿9﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [المائدة 5:67]

﴿10﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل 16:44]

تشير هذه الآيات إلى أنه أُعطي واجبات خاصة لنشر الدين وإبلاغ الرسالة وتنفيذها في المجتمع.

(3) سيعطى النبي ﷺ أربع اختيارات خاصة يوم القيامة

سيُعطى النبي ﷺ العديد من الاختيارات الأخرى يوم القيامة وأربعة منها خاصة به:

1. الشفاعة الكبرى
2. الشفاعة الصغرى
3. اختيار خاص لتحميد الله
4. حوض الكوثر

1. الشفاعة الكبرى

الشفاعة الكبرى هي أن النبي ﷺ سيتضرع إلى الله يوم القيامة ليبدأ الحساب، فلن يكون غيره مستعدًا أن يشفع عند الله خوفًا منه. والحديث كما يلي:

﴿1﴾ عَنْ أَنَسٍ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا. فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ وَيَقُولُ ـ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ. فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ـ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلاً. فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ـ ائْتُوا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ـ ائْتُوا عِيسَى فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ ". (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ص 1136، رقم 6565)

وقد يشمل هذا الحديث ثلاث خصائص: (1) الشفاعة الكبرى. (2) والشفاعة الصغرى (3) الثناء على الله.

2. الشفاعة الصغرى

﴿2﴾ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ " لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لأُمَّتِهِ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبى دعوة الشفاعة لأمته، ص 106، رقم 494/200)

يذكر هذا الحديث الشفاعة الصغرى التي سيُعطى للنبي ﷺ.

ولا يشفع أحد إلا بإذن الله، كما يقول القرآن:

﴿11﴾ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة 2:255]

﴿12﴾ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ [يونس 10:3]

3. اختيار الثناء على الله

أن النبي ﷺ سيعطى اختيار خاص للثناء على الله ولتحميده يوم القيامة بطريقة لا يُعطى لأحد غيره، كما جاء في الحديث:

﴿3﴾ عَنْ أَنَسٍ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا...... ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي،". (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ص 1136، رقم 6565)

4. حوض الكوثر

هذه اختيار خاص سيعطى للنبي ﷺ يوم القيامة، كما جاء في الحديث:

﴿4﴾ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ ﷺ " حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا". (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب فى الحوض، ص 1138، رقم 6579)

(4) لا أحد يضر ولا ينفع إلا الله

ومن الاختيارات إعطاء النفع والضرر، الولد، والشفاء، والرزق، والموت، والحياة، والمطر وغير ذلك. لا أحد يملك هذه الاختيارات إلا الله، وحتى النبي ﷺ لم يكن له سلطان على هذه الأمور.

﴿13﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ [الأحقاف 46:9]

هذه الآية تقول صراحة أن النبي ﷺ لا يعلم ما يصنع الله به فكيف تثبت له السلطة الخاصة؛ لذلك سأله الله أن يعلن بكل صراحة:

﴿14﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا [الجن 72:2122]

إذن فالنبي ﷺ لم يحصل على هذه الاختيارات كما تنص هذه الآيات.

سئل النبي ﷺ أن يعلن أنه لا يقدر أن ينفع أو يضر

كما يقول القرآن:

﴿15﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [الأعراف 7:188]

﴿16﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [يونس 10:49]

﴿17﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا [الجن 72:20]

﴿18﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا [الجن 72:22]

﴿19﴾ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي [يونس 10:15]

﴿20﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ [الأحقاف 46:9]

في هذه الآيات الستة، سئل النبي ﷺ أن يعلن أنه ليس لديه قوة أو سلطة، ثم كيف يمكن القول بأنه كلّي الاختيار؟

الآيات تثبت أن النبي ﷺ لم يكن بيده كل شيء

هناك آيات في القرآن تثبت أن النبي ﷺ لم يكن له اختيارات كثيرة:

﴿21﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ [البقرة 2:272]

﴿22﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [القصص 28:56]

هذه الآيات تقول أن النبي ﷺ لا سلطان له أن يهدي أحداً، بل الله وحده يمتلك هذه القوة، فكيف يكون النبي ﷺ كلي الاختيار؟

وكذلك جاء في آياتٍ أخرى:

﴿23﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۝ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ [الكهف 18:2324]

﴿24﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ [آل عمران 3:128]

﴿25﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ [الإنفطار 82:19]

﴿26﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ [التوبة 9:113]

﴿27﴾ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ [الرعد 13:38]

تأمل في هذه الآيات السبع ولاحظ أن النبي ﷺ لم يكن له سلطة على كل هذه الأشياء، فكيف يمكن أن يطلق عليه بأنه كان كلي الاختيار.

لا سلطان للنبي ﷺ أن يحكم بغير مشيئة الله

وهناك بعض الآيات التي تصرح بأن النبي ﷺ لم يكن له أن يحكم في الأمور بدون إرادة الله:

﴿28﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ [الأنفال 8:67]

﴿29﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ [التحريم 66:1]

وكان النبي ﷺ قد قرر قبول فدية من أسرى غزوة بدر، ولكن هذا كان غير إرادة الله، فأخبر به الله تعالى في الآية الأولى. وأما في الآية الثانية، لم يُسمح للنبي ﷺ أن يحرّم ما أحلّ الله، فكيف يُدعى أنه كان كلي الاختيار؟

كل ما فعله النبي ﷺ كان بإذن الله

يقول القرآن:

﴿30﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ [النساء 4:64]

﴿31﴾ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ [الرعد 13:38]

﴿32﴾ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ [غافر 40:78]

﴿33﴾ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ [إبراهيم 14:1]

﴿34﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا [الأحزاب 33:46]

تصرح هذه الآيات الخمسة أن للنبي ﷺ اختيارات كثيرة، لكن بإذن الله.

إن قدرة الله لا تنتهي فكيف يحصل هذا للنبي ﷺ؟

إن الله واجب الوجود، لا حدود ولا نهاية لقوته وقدرته، والنبي صلى الله عليه وسلم ذاته غير واجب الوجود، فكيف يمكن أن يحصل على قوى لا حدود لها، لأن هذا مستحيل؛ لذلك لا يمكن أن يكون النبي ﷺ الاختيار المطلق، رغم أنه أُعطي من الله تعالى بعض الصلاحيات والسلطات في الدنيا والآخرة.

وهذه بعض الآيات التي تذكر أن الله يفعل ما يشاء:

﴿35﴾ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ [هود 11:107]

﴿36﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ [البروج 85:1516]

لا يملك النبي ﷺ مثل هذه القدرة المطلقة، والله وحده هو الذي يملك هذه القدرة والسلطة.

هذه الآيات الـ 36 تثبت أن النبي ﷺ قد مُنح العديد من القدرات في هذا العالم وسيُمنح العديد من القدرات في الآخرة، ولم تُمنح هذه القدرات لأي شخص في الماضي ولن تُمنح لأي شخص في المستقبل أيضًا. ولكن، على الرغم من ذلك، ليس النبي ﷺ بالمختار المطلق وليس له أي قدرة لإعطاء النفع أو الضرر.

تؤكد الأحاديث أن النبي ﷺ ليست له قدرة مطلقة

فيما يلي بعض الأحاديث التي تؤكد أن النبي ﷺ ليست له قدرة مطلقة:

﴿5﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ " يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ، لاَ أَمْلِكُ لَكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلاَنِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا". (صحيح البخاري، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، ص 594، رقم 3527)

والحديث الثاني:

﴿6﴾ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} ... وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ". (صحيح البخاري، باب هل يدخل النساء و الولد فى الاقارب، ص 455، رقم 2753)

في هذين الحديثين أن النبي ﷺ لا يغنى عن أحدٍ يوم القيامة من الله، نعم سيشفع للمؤمنين بإذن الله.

وفي حديث آخر:

﴿7﴾ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا ... ثُمَّ يُقَالُ لِي ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ. (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ص 1136، الرقم: 6565)

في هذا الحديث أن النبي ﷺ سيدعو الله والله يستجيبه. ولا يعطى حق الشفاعة كاملاً في المرة الأولي، بل يقع هذا أربع مرات، ويكمل الشفاعة على أربع مراحل بإذن متجدد. ومن النقاط الجديرة بالملاحظة هنا أنه لن يتمتع بالقدرة المطلقة يوم القيامة أيضًا.

والحديث الآتي ينهى عن القول: "ما شاء الله وشاء النبي ﷺ" بل أمر أن يُقال: "ما شاء الله ثم ما شاء النبي ﷺ":

﴿8﴾ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، أَنَّ رَجُلاً، مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ . وَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ . فَقَالَ " أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لأَعْرِفُهَا

لَكُمْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ". (ابن ماجة، كتاب الكفارات، باب النهى أن يقال ما شاء الله و شئت، ص 304، رقم 2118؛ مسند أحمد، حديث حذيفة بن يمان، ج 38، ص 364، رقم 23339)

وفي الطبراني الكبير أن يقول فقط: "ما شاء الله" دون ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم:

﴿9﴾ عن ربعى بن خراش عن أخ لعائشة زوج النبى ﷺ ...إنما كان يمنعني أن أنهاكم من ذلک الحياء، فإذا قلتم فقولوا ما شاء الله وحده. (الطبراني الكبير، طفيل بن سخير الدوسى أخ عائشة، ج 8، ص 325، رقم 8215)

فقد ثبت بهذه الأحاديث الخمسة أن النبي ﷺ ليس بالمختار المطلق. وعندما لا يكون النبي ﷺ المختار المطلق، فكيف يمكن لأي صحابي أو ولي أن يكون كذا ويشغل هذا المنصب.

يعتقد غير المسلمين أن آلهتهم تملك سلطان مطلق

يعتقد المشركون أن آلهتهم وحتى الأصنام لديهم القدرة على إعطاء النفع والضرر؛ إنهم يعتقدون أن بعض الآلهة لهم قدرة خاصة للنفع، والبعض الآخرون لهم قدرة خاصة للضرر والبعض لديهم قدرة خاصة للمطر وغير ذلك من الأمور. فإنهم يعبدون هذه الآلهة، ويدعونهم لقضاء حاجاتهم ويسجدون أمام تماثيلهم.

هذه أعمال شركية لذلك نهى القرآن عنه وطلب من النبي ﷺ بالإعلان بأنه لا سلطان له في النفع والضرر. هذه نقطة مهمة تدعو إلى التفكير.

المبحث العاشر

علم الغيب لله وحده

سنذكر 55 آية من القرآن و 17 حديثاً للنبي ﷺ في هذا الصدد، والتفاصيل كما يلي:

إن الله وحده الذي عنده علم الغيب، نعم لقد أُعطي النبي ﷺ أيضًا كثيراً من علم الغيب من خلال الوحي، وأثناء الإسراء والمعراج بأن الله عرض الجنة والنار أمامه؛ وبالتالي فإن معرفته أكثر من معرفة أي شخص آخر في الكون. لذلك يمكننا القول إن عالم الغيب هو الله وحده، والنبي ﷺ قد أطلع على كثير من الغيب بسبع طرق، وهو أعلم من الأولين والآخرين، ولكن لا يجوز القول بأنه عالم الغيب كما يدعي بعض الطوائف والفرق.

علم الغيب على ثلاثة أنواع

(1) علم الغيب الذاتي المطلق الشامل، من الأزل إلى الأبد، بلا حدود ولا نهاية؛ هذا النوع من علم الغيب لا يملكه إلا الله. هذه نقطة متفقة عليها على الإطلاق.

هذا النوع من علم الغيب لله وحده ولا نهاية له، بينما علم الغيب الحاصل للنبي ﷺ له نهاية، فكيف يقال أنه عالم الغيب!

(2) علم الغيب الذي أخبر الله ﷻ به نبيه ﷺ. أولاً: هذا العلم من عطاء الله. ثانيًا: هذ العلم جزئي وليس بكامل، كما يخاطب الله النبيَّ ﷺ في القرآن: "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ" [3:44].

(3) علم أحوال الناس، على سبيل المثال: علم طعام شخص ما، وشربه، ومرضه، وعلاجه، وأطفاله، وموته، وحياته، ونفعه، وضرره. وهل يحصل هذا النوع من علم الغيب للنبي ﷺ؟ هنا سنستشهد بأربعين آية وخمسة أحاديث تثبت أن الله وحده هو من يعلم هذه الأمور.

لله وحده عنده علم الغيب الذاتي الشامل

(1) علم الغيب الذاتي لله وحده، كما يقول القرآن:

﴿1﴾ **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** [**النمل** 27:65]

﴿2﴾ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا** [**الأنعام** 6:59]

﴿3﴾ **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** [**هود** 11:123]

﴿4﴾ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** [**المائدة** 5:116]

ملاحظة: هناك عدة طرق استعملت للحصر وفقًا لقواعد اللغة العربية؛ "إنك أنت" للحصر يفيد بأن لا يعلم الغيب أحد غيرك، وكذلك "العلام" للمبالغة، أي أن الله سبحانه وتعالى هو أعلم، ثم لفظ "الغيوب" أيضا للمبالغة لأن واحده "الغيب" يشمل كل شيء ولكن استعمل جمعه ليفيد المبالغة؛ فالآية

تثبت بشكل قاطع أن الله وحده لديه علم الغيب ولا يمتلك أحد غيره هذه الصفة.

وهناك آيات أخرى تؤكد أن علم الغيب هو لله وحده:

﴿5﴾ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [الكهف 18:26]

﴿6﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ [الملك 67:26]

﴿7﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ [النمل 27:65]

﴿8﴾ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ [المائدة 5:109]

﴿9﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحجرات 49:18]

﴿10﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [فاطر 35:38]

﴿11﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ [التوبة 9:78]

﴿12﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ [الحشر 59:22]

﴿13﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [التغابن 64:18]

﴿14﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى [الزخرف 43:80]

﴿15﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ [الأنعام 6:73]

﴿16﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [المؤمنون 23:92]

﴿17﴾ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ [الزمر 39:46]

﴿18﴾ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [الجمعة 62:8]

﴿19﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا [الجن 72:26]

﴿20﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [النحل 16:77]

﴿21﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ [هود 11:49]

ملاحظة: في هذه الآية، يخاطب الله ﷻ النبي ﷺ قائلاً إنه وقومه لا يعرفون أخبار الغيب؛ لو كان النبي ﷺ عالماً بالغيب، لما كانت هناك حاجة لتنزيل القرآن عليه على مدى 23 عامًا، كما يقول القرآن:

﴿22﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا [الإنسان 76:23]

﴿23﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا [الإسراء 17:106]

نزلت آيات القرآن على النبي ﷺ شيئا فشيئا.

فكل هذه الآيات الثلاثة والعشرون تثبت أن الله وحده يعلم الغيب، ولا يحصل علم الغيب لأحد غيره، ثم كيف يجوز أن نقول أن النبي ﷺ عالم الغيب.

أُمِر النبي ﷺ أن يعلن أنه لا يعلم الغيب

هذه عدة آيات سُئل النبي ﷺ فيها أن يعلن أنه لا يعلم الغيب:

﴿24﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [النمل 27:65]

﴿25﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ [الأنعام 6:50]

﴿26﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ [الأحقاف 46:9]

﴿27﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ [هود 11:31]

﴿28﴾ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ [يونس 10:20]

﴿29﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ [الأعراف 7:187]

﴿30﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ [الأحزاب 33:63]

﴿31﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأعراف 7:188]

في هذه الآيات الثمانية سُئل النبي ﷺ أن يصرح بأنه ليس لديه علم الغيب، ولا يعلمه إلا الله، فكيف نقول أن النبي ﷺ هو عالم الغيب.

سئل النبي ﷺ أن يعلن أن ما لديه من علم هو من خلال الوحي

وتصرح الآيات الست التالية بشكل قاطع أن ما عند النبي ﷺ من علم فهو من خلال الوحي من الله.

﴿32﴾ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي [الأعراف 7:203]

﴿33﴾ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ [الأنعام 6:50]

﴿34﴾ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ [يونس 10:15]

﴿35﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ [الأحقاف 46:9]

﴿36﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ [يونس 10:109]

﴿37﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [النجم 53:34]

في هذه الآيات الستة أن النبي ﷺ لا يتبع شيئًا إلا ما نُزّل عليه من الله تعالى؛ لذلك لا أساس لادعاء أن النبي ﷺ يعلم الغيب. يجب على من يدعي ذلك أن يأتي بآية واحدة تقول بوضوح أن النبي ﷺ أعطي جميع علم الغيب.

لا يعلم هذه الأشياء الخمسة إلا الله

تقول الآية التالية أن هذه الأشياء الخمسة لا يعرفها إلا الله:

﴿38﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [لقمان 31:34]

سئل النبي ﷺ أن يعلن أنه لو يعلم الغيب لما مسه السوء

كما جاء في القرآن:

﴿39﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأعراف 7:188]

في هذه الآية، سئل النبي ﷺ أن يعلن بأن لو كان لديه علم الغيب، لكان قد اكتسب الكثير من الخيرات، ولن يمسه أي شر.

إن الله عنده مفاتح الغيب

إن الله عنده مفتاح الغيب وهو وحده يعرف الغيب، كما جاء في القرآن:

﴿[40]﴾ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ [الأنعام 6:59]

القارئ الكريم! وفق هذه الآيات الأربعين المذكورة أعلاه أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لا يملك علم الغيب، فكيف يجوز لأحد أن يقول أنه عالم الغيب؟ يجب أن تكون هناك آية واحدة على الأقل تذكر بوضوح أن النبي ﷺ أعطي جميع علم الغيب، ولكنه لم يثبت؛ فكيف يمكن أن يقال بأنه عالم الغيب.

أما الآيتان اللتان قُدمتا لإثبات علم الغيب للنبي ﷺ فالمراد بهما علم بعض الغيب من خلال الوحي.

الأحاديث أيضاً تثبت أن النبي ﷺ لم يكن عنده علم الغيب

هناك 5 أحاديث التي تثبت أن النبي ﷺ لم يكن عنده علم الغيب:

رمى المنافقون زوجة الرسول ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها، وبسببه بقى رسول الله ﷺ في قلق عظيم لأكثر من شهر. ثم أنزل الله (جل جلاله) آيات من سورة النور في براءة السيدة عائشة رضي الله عنها، فزال عنه الهم وشعر النبي ﷺ بالطمأنينة. لو كان

النبي ﷺ عالم الغيب، لما شعر بالقلق لمدة شهر لأنه كان يعلم أن السيدة عائشة ﵂ بريئة. هذا هو الحديث:

﴿1﴾ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ، ..... فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكُثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَىْءٌ ـ قَالَتْ ـ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ " يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ". فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً وَقُلْتُ لأَبِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لأُمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ. قَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ فَقُلْتُ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ

يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي " يَا عَائِشَةُ، احْمَدِي اللَّهَ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ ". فَقَالَتْ لِي أُمِّي قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لاَ وَاللَّهِ، لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللَّهَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ الآيَاتِ، [النور/11] (صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفک، ص 701، رقم 4141؛ صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفک و قبول التوبة، ص 1205، رقم 7020/2770)

انظر في هذا الحديث، بقي النبي ﷺ حزيناً لمدة شهر بسبب اتهام بعض الناس لزوجته. لو كان يعرف علم الغيب لما بقي على تلك الحالة.

وكذلك في حديث آخر أن النبي ﷺ نسي في الصلاة فطلب من الصحابة تذكيره في مثل هذه الأحوال. فلو كان عالم الغيب لما نسي ولما طلب من الآخرين التذكير؟ لذلك، عُرف أنه لم يحصل له علم الغيب. هذا هو الحديث:

﴿2﴾ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ ...... قَالَ "إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي". (صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ص 70، رقم 401؛ صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له، ص 232، رقم 1285/572)

وكذلك في حديث آخر، أن في بعض الحوادث كان النبي ﷺ يحكم بين الناس، وفي بعض الأحيان يعتبر الشخص الكاذب صادقاً ويحكم في حقه، فلا يحدث هذا إلا بسبب عدم علم الغيب، وإلا فكيف يمكن أن يعتبر الكاذبَ صادقًا؟ هذا هو الحديث:

﴿3﴾ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّهَا أُمَّ سَلَمَةَ ـ رضى الله عنها ـ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ... فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ، فَأَقْضِيَ لَهُ بِذَلِكَ". (صحيح البخاري، كتاب المظالم ،باب إثم من خاصم فى باطل و هو يعلمه، ص 396، رقم 2458)

يتضح من هذا الحديث أنه في بعض الأحيان يعتبر الشخص الزائف صادقاً بسبب بلاغته وطلاقة لسانه، فكيف يمكننا أن نقول أن عنده علم الغيب؟

وكذلك جاء في حديث آخر أن النبي ﷺ لن يكون له علم الغيب في الآخرة أيضًا، لأنه سيدعو الناس إليه ظنا بأنهم مؤمنون بينما لم يبقوا مؤمنين بعده:

﴿4﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ... وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ. فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي. فَيَقُولُ إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ} إِلَى قَوْلِهِ {الْحَكِيمُ} قَالَ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ". (صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، ص 791، رقم 4625؛ صحيح مسلم، كتاب

الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، ص 1018، رقم 5996/2304)

وكذلك جاء في حديث آخر أنه يحمد الله قبيل الشفاعة الكبرى بحمد يلقنه الله حينذك:

﴿5﴾ عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله ﷺ يجمع الله الناس يوم القيامة ...... فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنى. (صحيح مسلم، كتاب الإيمان،باب أدنى اهل الجنة منزلة فيها، ص 101، رقم 475/193؛ صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي، ص 1275، رقم 7410)

فقد جاء في الحديث أن الله سيلقنه كلمات الحمد. هذا يدل على أن النبي ﷺ لن يكون على علم بهذه الكلمات قبل ذلك اليوم، فهذا يعني أنه لم يكن عنده علم الغيب.

تثبت هذه الأحاديث الخمسة أن النبي ﷺ لم يكن له علم الغيب. نعم، لقد أُعْطي علم بعض الغيب، وكانت معرفته ببعض الغيب أكثر من أي شخص آخر.

الاعتقاد بعلم الغيب لغير الله كفرٌ

هناك كتاب مشهور للإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى يسمى بـ"الفقه الأكبر"، وشرحه الشيخ الملا علي القاري باسم "شرح الفقه الأكبر". فقد جاء في هذا

الكتاب أن من آمن بغير الله بأنه عالم الغيب يكفر. وهذه هي عبارة شرح الفقه الأكبر:

"ثم اعلم أن الأنبياء ﷺ لم يعلموا المغيبات من الأشياء إلا ما علّمهم الله تعالى أحيانا. وذكر الحنفية تصريحا بالتكفير باعتقاد أن النبي ﷺ يعلم الغيب لمعارضة قوله تعالى ،﴿قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ الْغَيْبِ اِلَّا اللّٰهُ. 27:65﴾ كذا في المسامرة." (شرح الفقه الأكبر، مسئلة في أن تصديق الكاهن بما يخبر به من الغيب كفر، ص 253)

هذه العبارة من شرح الفقه الأكبر تصرح بأن الإيمان بالنبي ﷺ بأنه يعلم الغيب كفر.

أُعطي النبي ﷺ معرفة كثير من الأشياء المغيبة

إن الله سبحانه وتعالى قد أعطى علم كثير من المغيبات للنبي ﷺ، وقد ثبت علم هذه الأشياء المغيبة للنبي ﷺ. فهذا العلم أولاً من عطاء الله إياه، وثانيًا هذا علم بعض الغيب لا الكل. ومع ذلك، فإن هذا العلم لبعض الغيب أكثر وأعظم من العلوم التي أعطيت لجميع الأولين والآخرين.

أُعطي النبي ﷺ علم الغيب بسبع طرق

(1) من خلال الوحي: أُعطي علم المغيبات من خلال الوحي.

(2) أنباء الغيب: أخبر بعلم الغيب من الله.

(3) إظهار علم الغيب له: وبحسب تفسير ابن عباس فهو جزء من علم الغيب، لا كله.

(4) الاطلاع على الغيب: وبحسب تفسير ابن عباس فهو جزء من علم الغيب، لا كله.

(5) تم عرض العديد من أشياء الغيب أمام النبي ﷺ، كما شاهد في المعراج أشياء كثيرة من الغيب.

(6) في بعض الأحيان، عُرضت الجنة والنار أمامه أثناء الصلاة.

(7) وأحيانًا عُرضت الأرض أمامه فرأى من الشرق إلى الغرب. هذا أيضًا جزء من علم الغيب، لا كله، فإنه لله (ﷻ) وحده.

(1) الغيب من خلال الوحي

فقد جاء في القرآن:

﴿41﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ [**الأحقاف** 46:9]

﴿42﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [**النجم** 53:34]

(2) أنباء الغيب

تذكر الآيات الثلاث التالية أنه أوحي بعض أنباء الغيب إليه صلى الله عليه وسلم:

﴿43﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ [**آل عمران** 3:44]

﴿44﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ [يوسف 12:102]

﴿45﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ [هود 11:49]

(3) إظهار علم الغيب للنبي ﷺ

﴿46﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا [الجن 72:2628]

وبحسب تفسير ابن عباس، فهو جزء من علم الغيب، لا كله.

(4) الإطلاع على الغيب

يقول القرآن:

﴿47﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران 3:179]

وبحسب تفسير ابن عباس، فهو جزء من علم الغيب، لا كله.

(5) عرض الغيب أمام النبي ﷺ

كما جاء في القرآن:

﴿48﴾ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا [الإسراء 17:1]

الآيات الواردة في الآية تعني الغيب.

(6) عرض الجنة والنار على النبي ﷺ

وكذلك عُرض الجنة والنار على النبي ﷺ ورأى منها أشياء كثيرة:

﴿6﴾ عَنْ أَنَسٍ . رضى الله عنه سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ الْمَسْأَلَةَ فَغَضِبَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ " لاَ تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ شَىْءٍ إِلاَّ بَيَّنْتُهُ لَكُمْ "...... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَا رَأَيْتُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَالْيَوْمِ قَطُّ، إِنَّهُ صُوِّرَتْ لِي الْجَنَّةُ وَالنَّارُ حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَاءَ الْحَائِطِ". (صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن، 1222، رقم 7089)

في هذا الحديث أن الجنة والنار قُدِّما على النبي ﷺ وقد رآهما عن كثب.

(7) عرض على النبي ﷺ من أمور الدنيا والآخرة

عُرض على النبي ﷺ بعض أشياء الدنيا والآخرة ورآها بعينيه، كما في الحديث:

﴿7﴾ عَنْ حُذَيْفَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَلَّى الْغَدَاةَ ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ الضُّحَى ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ مَكَانَهُ حَتَّى صَلَّى الْأُولَى وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ كُلُّ ذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ثُمَّ قَامَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ النَّاسُ لِأَبِي بَكْرٍ أَلَا تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَأْنُهُ صَنَعَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ يَصْنَعْهُ قَطُّ قَالَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ نَعَمْ عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَمْرِ الْآخِرَةِ. (مسند أحمد، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج 1، ص 10، رقم 16)

في هذا الحديث أن الأحداث الكبرى في الدنيا والآخرة عرضت على النبي ﷺ، فحصل له علم بعض الأشياء من المغيبات، لكن كان هذا جزءاً من الغيب، لا كله، وقد لا يمكن هذا، لأن علم الله لا نهاية له، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم له نهاية.

الآيات التي تثير الشك في علم الغيب الكلي للنبي ﷺ

يطرح بعض الناس آيات وأحاديث لإثبات أن النبي ﷺ عالم الغيب واستدلوا بكلمات "تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ" في الآية على أن النبي ﷺ قد أعطي كل علم الغيب:

﴿49﴾ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ [النحل 16:89]

ولكن جاء في تفسير ابن عباس رضي الله عنه: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ "من الحلال والحرام والأمر والنهي." ولم يفسرها على أنها "علم الغيب كله". لذلك فإن تقديم هذه الآية كدليل على إثبات "كل علم الغيب" مطرود.

وهناك آية أخرى:

﴿50﴾ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [يوسف 12:111]

هذه الآية تقول أن القرآن الذي نُزّل على النبي ﷺ فيه "تفصيل كل شيء" ولذلك يرى بعض الناس أن هذا دليل على معرفته علم الغيب كله.

لكن حسب تفسير ابن عباس، فإن "تفصيل كل شيء" يعني الحلال والحرام، وليس كل علم الغيب، لأن كل علم الغيب لا يمكن حصره في كتاب فقط. هذه هي عبارة تفسير ابن عباس: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ "تبيان كل شيء من الحلال والحرام." (انظر: 12:111).

وهناك آية أخرى:

﴿[51]﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا [الجن 72:2628]

وقد قدم بعض الناس هذه الآية دليلاً على أن الله يعطي علم الغيب لرسول يختاره، وأعطى الله الغيب للنبي ﷺ فكان عالم الغيب.

لكن هذا المعنى غير صحيح، حيث أن الجزء من الآية التالية "لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ" يناقضها، لذا هذه الآية تعني علم الغيب المتعلق بالنبوة وليس الغيب كله. وهذا واضح لو تأملتم في الآية.

وقد جاء في تفسير ابن عباس أن الآية تعني جزء من الغيب: ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ فلا يطلع ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ إلا من اختار من الرسل فإنه يطلعه على بعض الغيب". (تفسير ابن عباس ص 620، 72:25-26).

وهناك آية أخرى:

﴿[52]﴾ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ** [**آل عمران** 3:179]

الآية تخاطب كفار مكة قائلة: إن الله لا يخبركم الغيب، بل يختار من يشاء من رسله ويعلمه بعض الغيب.

وفي تفسير ابن عباس أن هذا بعض الغيب:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ ... ﴿مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعنى مُحَمَّداً فيطلعه على بعض ذلك بالوحي". (تفسير ابن عباس، ص 80، 3:179)

وهناك آية أخرى:

﴿[53]﴾ **وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** [**الأنعام** 6:59]

ويرى بعض الناس أن كلمة "كِتَابٍ مُبِينٍ" في الآية تشير إلى القرآن الكريم وقد نُزّل على النبي ﷺ فيعني أنه حصل على الغيب كله.

لكن هذا التفسير غير صحيح، فالكتاب في الآية يشير إلى "اللوح المحفوظ" الذي لم يعط للنبي ﷺ، بل هو عند الله وحده، وكل شيء مكتوب فيه.

وفي تفسير ابن عباس: ﴿كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ "كل ذلك في اللوح المحفوظ مبين مقدارها ووقتها." (انظر 6:59)

واللوح المحفوظ لم يعط للنبي ﷺ فلا يلزم أنه يعلم الغيب كله.

الأحاديث التي تقدَّم لإثبات علم الغيب للنبي ﷺ

وهناك أربعة أحاديث تذكر أن النبي ﷺ حضل له "علم ما كان وما يكون" وذكر في محضر من الصحابة ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل. هذا يعني أن النبي ﷺ كان على علم بالأمور من بداية الخلق إلى دخولهم إلى الجنة أو النار. وهكذا يدعي بعض الطوائف أن النبي ﷺ حصل له علم "ما كان وما يكون".

يقدم هؤلاء الناس هذه الأحاديث كدليل على علم الغيب المطلق للنبي صلى الله عليه وسلم، لكن إذا تأملت في هذه الأحاديث، فستعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم أُعطي علم أحداث وآيات كبيرة ستقع في المستقبل وذكره النبي ﷺ بين يدي الصحابة؛ لأن علم الغيب لا حدود له ولا يمكن بيانه في وقت محدد. وهناك حديث آخر، يذكر بوضوح أن النبي ﷺ أبلغ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بجميع الأحداث والفتن التي تحدث إلى قيام الساعة.

ومع ذلك، إذا افترضنا أن المراد بهذا الحديث علم الغيب كله للنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه يتعارض مع الآيات الأربعين من القرآن التي تصرح على أنه لم يكن لديه معرفة مطلقة بعلم الغيب.

الأحاديث كما يلي:

﴿8﴾ عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ

قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاَءِ. (صحيح مسلم، كتاب الفتن ، باب أخبار النبى ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، ص 1251، رقم 7263/2891)

جاء في هذا الحديث أن النبي ﷺ ذكر جميع الأحداث التي ستقع إلى قيام الساعة. وقد بين العلماء أنه ذكر الفتن والوقائع العظيمة لا الغيب كله؛ حيث أن نفس الأحاديث رُوِيَت مع أسنادٍ أخرى وهي تصرح علامات الساعة الكبرى. والأحاديث كما يلي:

﴿9﴾ قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ. (صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب أخبار النبى صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة، ص 1251، رقم 7263/2891)

إذن فهذه ليست علوم الغيب كلها، إنما تذكر هذه الأحاديث الفتن العظيمة التي ستحدث بين يدي الساعة.

﴿10﴾ عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ قَالَ أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فَمَا مِنْهُ شَىْءٌ إِلاَّ قَدْ سَأَلْتُهُ. (صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب أخبار النبى ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، ص 1251، رقم 7263/2891)

﴿11﴾ حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ، - يَعْنِي عَمْرَو بْنَ أَخْطَبَ - قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا. (صحيح

مسلم، كتاب الفتن، باب أخبار النبى ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، ص 1251، رقم 7263/2891)

في هذا الحديث أن النبى ﷺ أخبر ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل، لكن من الواضح أنه قد لا يمكن أن يخبر بكل علم الغيب في يوم واحد، بل يجب أن يكون قد أخبر فقط الأحداث والفتن الكبيرة. لذلك فقد أتى الإمام مسلم هذا الحديث في كتاب الفتن وفي نفس الباب ذكر حديث حذيفة ﵁ الذي سبق نقله (انظر الحديث 10) الذي جاء فيه صراحة أن النبي ﷺ ذكر الفتن والوقائع العظيمة قبل القيامة، لا الغيب كله.

﴿12﴾ سَمِعْتُ عُمَرَ . رضى الله عنه . يَقُولُ قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ. (صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وهو الذى يبدء الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه: 30:27﴾ ص 532، رقم 3192)

هذا الحديث أيضًا يقول أن النبي ﷺ ذكر الأحداث والفتن العظيمة، لا الغيب كله، لأن الإخبار عن الغيب كله غير ممكن في يوم واحد.

﴿13﴾ عَنْ أَنَسٍ . رضى الله عنه سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ الْمَسْأَلَةَ فَغَضِبَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ " لاَ تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ شَىْءٍ إِلاَّ بَيَّنْتُهُ لَكُمْ "...... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَا رَأَيْتُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَالْيَوْمِ قَطُّ، إِنَّهُ صُوِّرَتْ لِي الْجَنَّةُ وَالنَّارُ حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَاءَ الْحَائِطِ ". قَالَ قَتَادَةُ يُذْكَرُ هَذَا

الْحَدِيثُ عِنْدَ هَذِهِ الآيَةِ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ [المائدة/101]} (صحيح البخاري، كتاب الفتن ، باب التعوذ من الفتن، 1222، رقم 7089)

وقد قدم بعض الناس هذا الحديث دليلاً على أن النبي ﷺ كان له علم الغيب؛ لذلك قال لأصحابه أنه سيخبرهم بما يطلبونه.

وعارضه العلماء بأن الحديث نفسه يقول أن الله قدم الجنة وجهنم أمام النبي ﷺ فأخذ يجيب عن ما سُئل، فهذا ليس بعلم الغيب، بل اطلع النبي صلى الله عليه وسلم عليه بواسطة الوحي الذي أوحي إليه؛ لذلك قيل: وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ. فمعناه أن النبي ﷺ اطلع عليه بالوحي.

﴿14﴾ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ...فَقَالَ نَعَمْ عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَمْرِ الْآخِرَةِ فَجُمِعَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِصَعِيدٍ وَاحِدٍ فَفَظِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ حَتَّى انْطَلَقُوا إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام ... وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. (مسند أحمد ، مسند أبي بكر، ج 1، ص 10، رقم 16)

قدم بعض الناس هذا الحديث كدليل على أن الرسول ﷺ كان على علم بالغيب، إذ عُرض عليه كل ما هو كائن في الدنيا والآخرة، فكان على معرفة تامة لكل أمور الغيب.

وعارضه العلماء بأن الحديث يدل على أن الأحداث الكبرى قد عُرض على النبي ﷺ ولا سيما كيف سيتعامل الناس مع النبي آدم والأنبياء الآخرين عليهم السلام وكيف سيشفع النبي ﷺ عند الله. لذا، فإن علم الغيب كله لا يقصد به على الإطلاق.

﴿15﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَ أَحْسَبُهُ قَالَ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى قَالَ قُلْتُ لاَ. قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَىَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَىَّ أَوْ قَالَ فِي نَحْرِي فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ قَالَ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ فِي الْكَفَّارَاتِ. وَالْكَفَّارَاتُ الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ. (سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة صٓ، ص 734، رقم 3233/3234/3235)

هناك ثلاثة أحاديث:

يقول الحديث رقم 3233: "فعلمت ما في السماوات والأرض".

يقول الحديث رقم 3234: "فعلمت ما بين المشرق والمغرب".

يقول الحديث رقم 3235: "فتجلى لي كل شيء وعرفت".

لذلك، يقدم بعض الناس هذه الأحاديث كدليل على أن النبي ﷺ كان على علم بجميع الغيب.

بينما يشرح العلماء الآخرون هذه الأحاديث بأربع طرق:

1. يتعارض هذا الحديث مع الآيات السبع والثلاثين المذكورة أعلاه من القرآن، التي سُئل فيها النبي ﷺ أن يعلن بوضوح أنه ليس لديه علم الغيب.
2. وفي الحديث نفسه سئل النبي ﷺ عن الملائكة فقال: لا أدري.
3. لم يُعط كل علم الغيب، لكن تم الكشف عن بعض الأسرار عن الملاء الأعلى، لكي يمكن للنبي ﷺ أن يخبر أمته عن تلك الأعمال الفاضلة التي يتسابق فيه أهل الملأ الأعلى.
4. هذا الحديث يتعلق بالرؤيا.

لذلك، لا يجوز للمرء أن يثبت علم الغيب المطلق للنبي ﷺ بهذا الحديث.

﴿16﴾ عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا. (صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ص 1250، رقم (7278/2889

هذا الحديث أيضاً يقدَّم كدليل على علم الغيب للنبي ﷺ.

في الواقع، إنها كانت معجزةً بأن الأرض من الشرق إلى الغرب قُدِّمت أمامه ورآها بعينيه. لكن رؤية أشياء المشرق والمغرب فقط لا تشمل كل علم الغيب، بل هي جزء من الغيب.

ثانيًا، في الحديث كلمة "زوى" هي صيغة الفعل الماضي، وهذا يشير إلى أنها وقعت مرة واحدة، وإلا فلو حصل له علم الغيب كله فما كانت هناك حاجة

لتقديم الأرض أمامه؟ لذلك لم يثبت الحديث مطلق علم الغيب للنبي صلى الله عليه وسلم، بل ثبت أنه اطلع على بعضه.

﴿17﴾ عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ. (سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في قول النبى صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ص 530، رقم 2312)

وقد قدم بعض الناس هذا الحديث أيضاً كدليل على علم الغيب للنبي صلى الله عليه وسلم، لكنه لا يثبت علم الغيب كله، بل فقط بعضًا من الغيب الذي أنزل الله عليه.

فهذه 10 آيات وأحاديث تقدم لإثبات علم الغيب للنبي ﷺ، ولكن قد تم شرح هذا المفهوم مرارًا وتكرارًا بأنه يتعارض مع 40 آية من القرآن و 8 أحاديث المذكورة أولاً.

هل أحد يعلم كل أحوالنا سوى الله؟

النوع الثالث من الغيب هو أحوال الفرد مثل حياة زيد وموته ورزقه ومرضه وشفائه، وضرره ونفعه في هذا اليوم، فالقرآن في ذلك واضح جدا إذ يطلب من النبي ﷺ أن يعلن:

﴿54﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ [الأحقاف 46:9]

في هذه الآية أعلن النبي ﷺ أنه لا يعلم ما سيحدث له وللآخرين، فكيف يمكن للمرء أن يقول إن النبي ﷺ عرف أحوال كل فرد؟

﴿[55]﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ [هود 11:49]

في هذه الآية، يقول الله ﷻ أن النبي ﷺ كان لا يعلهما ولا قومُه، فكيف يمكن للنبي ﷺ أن يعرف أحوال كل فرد.

فهذه 55 آية و 17 حديثاً بخصوص هذه العقيدة مع التفاصيل.

يعتقد الهندوس أن آلهتهم تعرف الغيب

يعتقد المشركون أن آلهتهم وموتاهم يعرفون الغيب ويأتون لعونهم إذا احتاجوا. هذا هو السبب في أنهم يعبدون آلهتهم ويطلبون العون منهم.

وكذلك تعتقد العديد من الطوائف الدينية الأخرى أن القديسين والزعماء الروحانيين يعرفون علم الغيب ويقضون حاجاتهم؛ فيعبدون هذه الآلهة والأوثان ويدعونهم في حاجاتهم. لذلك قال الله ﷻ بشكل قاطع في القرآن أنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله ولا أحد يستحق العبادة والاستعانة إلا هو ﷻ.

المبحث الحادي عشر

الاستعانة بالله وحده

سنذكر 38 آية من القرآن الكريم و 4 أحاديث للنبي ﷺ في هذا الصدد. والتفاصيل كما يلي:

الاستعانة نوعان

(1) إذا حضر أحد عندك فيمكنك الاستعانة به، فهذا ليس بحرام، بل جائز. على سبيل المثال، طلب الصحابة من النبي ﷺ الدعاء لهم، أو يجيء الناس إليه يوم القيامة ويطلبون منه الشفاعة عند الله (ﷻ)، أو عندما نذهب إلى الطبيب نسأله للعلاج، أو كما نطلب من أمهاتنا الطعام.

بناءً على الطلبات التي وجهت للنبي ﷺ في حياته، جادل البعض بأن الاستعانة به جائز حتى بعد الموت، ولكن الحقيقة بأن الحالة بعد الموت مختلفة تمامًا والاستعانة بالنبي ﷺ بعد وفاته يحتاج إلى الإثبات بآية من القرآن أو الحديث.

(2) لا يجوز الاعتقاد في شخص مات ولم يكن حاضراً أمامك أنه يستمع إليك ويمكنه إعانتك في شؤونك؛ لأن هذه الإعانة غير ثابت لأحدٍ إلا الله.

هناك أربعة أسئلة لمن يستعين بالموتى

(1) السؤال الأول: هل يسمع الأموات أصواتنا عندما نناديهم أم لا؟

هذه المسألة ستناقش في بحث سماع الموتى، هذه قضية خلافية؛ جماعة تقول أن الميت لا يسمع، كما قال القرآن:

وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ
[**فاطر** 35:22]

هذه الآية تقول بوضوح أنه لا يمكن لك أن تُسمِع الموتى.

والجماعة الثانية تقول: لا يمكننا أن نُسمِعَ الموتى، ولكن الله يُسمِع من يشاء، كما خاطب النبي ﷺ جثث أبي جهل وغيره يوم بدر وسألهم هل وجدتم ما وعد الله به، كما في الحديث:

أَنَّ ابْنَ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ أَخْبَرَهُ قَالَ اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْقَلِيبِ فَقَالَ " وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ". فَقِيلَ لَهُ تَدْعُو أَمْوَاتًا فَقَالَ " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لاَ يُجِيبُونَ ". (صحيح البخاري، باب ما جاء في عذاب القبر، ص 220، رقم 1370)

فهذا الحديث يدل على أن الموتى يسمعون.

الآن، هنا خلاف حول ما إذا كان الموتى يسمعون أم لا، فكيف يمكن للمرء أن يدعو ميتًا لشيء ما؟

(2) والسؤال الثاني: إذا طلبنا من الموتى شيئًا فهل يستطيعون مساعدتنا؟ وفي الحديث: "إذا مات الإنسان انقطع عمله." (سنن الترمذي، رقم الحديث 1376) الآن هو لا يقدر على أي عمل دنيوي، وهذا يعني أنه لا يملك القوة لمساعدتنا.

(3) والسؤال الثالث: هل أذن الله أو النبي ﷺ للاستعانة بالميت أم منعنا من ذلك؟

سنذكر 30 آية و 3 أحاديث بخصوص هذا السؤال. كل هذه الآيات والأحاديث تأمرنا بعدم الاستعانة بغير الله.

(4) السؤال الرابع هو أن المشركين يؤمنون أيضًا بإله واحدٍ وفي نفس الوقت يطلبون العون من آلهة أخرى. إذا كنت تستعين بالأنبياء والصالحين من غير الله، فما الفرق بينك وبين المشركين؟

الدعاء من الله وحده

يقول القرآن:

﴿1﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة 1:5]

تصرح هذه الآية بشكل قاطع على أن المؤمن لا يعبد إلا الله ولا يستعين إلا به. هناك سبع عشرة ركعة في خمس صلوات مكتوبة يصرح فيها المؤمن سبع عشرة مرة على الأقل في اليوم والليلة أنه يعبد الله وحده ويستعين به وحده؛ لأنه لا يجوز عبادة أحد سوى الله والاستعانة بغير الله.

هناك آيات أخرى:

﴿2﴾ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ [الأنعام 6:4041]

﴿3﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا [الجن 72:18]

﴿4﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [الأعراف 7:194]

﴿5﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ [فاطر 35:13]

﴿6﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا [الجن 72:20]

﴿7﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا [الجن 72:18]

﴿8﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ [الأنعام 6:17]

﴿9﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ [يونس 10:107]

تأمر هذه الآيات التسعة بكامل الحصر والتاكيد المؤمنين أن يعبدوا الله وحده وأن يستعينوا به وحده. فكيف تجوز دعوة غير الله؟

الاستعانة من الله وحده

﴿10﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [آل عمران 3:126]

﴿11﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال 8:10]

﴿12﴾ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ [البقرة 2:107]

﴿13﴾ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ [العنكبوت 29:22]

❮14❯ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ [الشورى 42:31]

❮15❯ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِير [البقرة 2:120]

تنص هذه الآيات الستة على أنه ليس هناك ولي أو نصير غير الله يعيننا ويحفظنا؛ لذلك لا يجوز الاستعانة من أحد سواه.

أُمر النبي ﷺ أن يعلن أنه لا يملك النفع والضرر

في الآيات التالية، أُمر النبي ﷺ أن يصرح بأنه لا يملك ضرا أو نفعا لنفسه، لكي لا يطلب الناس العون بالنبي ﷺ. فحين مُنع المسلمون من سؤال النبي ﷺ فكيف يجوز سؤال الآخرين من غيره؟

فقد جاء في القرآن:

❮16❯ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [الأعراف 7:188]

❮17❯ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [يونس 10:49]

❮18❯ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا [الجن 72:21]

في هذه الآيات الثلاثة، أُمر النبي ﷺ أن يعلن أنه لا يملك القوة للضرر أو المنفعة؛ لأن الأقوام السابقة فد بدأت تؤمن عن آلهتها أنهم يملكون النفع والضرر، فبدأوا في عبادة الآلهة من دون الله وجعلوهم شركاء لله وحده.

تنص الآيات على أن النبي ﷺ لم يكن له سلطان مطلق

يقول القرآن:

﴿19﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ [آل عمران 3:128]

﴿20﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [الكهف 18:2324]

﴿21﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [القصص 28:56]

تقول هذه الآيات الثلاثة أنه لا يمكنك أن تهدي لمن تشاء إلا أن يشاء الله. إذا كان النبي ﷺ – الذي بعثه الله لدعوة الناس – لا يملك الهداية، فكيف يكون قادرًا على إعطاء أشياء أخرى، وكيف يجوز لنا أن ندعوه لحاجاتنا؟

كيف يمكن الإعانة من الذين لا يستطيعون نصر أنفسهم

يقول القرآن الكريم:

﴿22﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ [الأعراف 7:197]

﴿23﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ [الأعراف 7:192]

﴿24﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ [الرعد 13:14]

﴿25﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [الحج 22:62]

﴿26﴾ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [الفتح 48:11]

﴿27﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا [الإسراء 17:56]

﴿28﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ [النحل 14:53]

﴿29﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ [يونس 10:12]

﴿30﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ [البقرة 2:185]

﴿31﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [ق 50:16]

﴿32﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ [غافر 40:60]

﴿33﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ [غافر 40:65]

﴿34﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [آل عمران 3:160]

﴿35﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ [آل عمران 3:150]

تؤكد هذه الآيات الخمسة والثلاثين بشكل قاطع أن الاستعانة يجب أن تكون بالله وحده ولا يجوز الاستعانة بأي شخص آخر غير الله (ﷻ).

تؤكد الأحاديث على الاستعانة بالله وحده

تؤكد الأحاديث أيضاً على أن الاستعانة لا يجوز أن يكون إلا بالله وحده:

﴿1﴾ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ حَتَّى يَسْأَلَهُ الْمِلْحَ وَحَتَّى يَسْأَلَهُ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ". (سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ليسأل ربه حاجته كلها، ص 822، رقم 3604)

جاء في هذا الحديث أن على المرء أن يدعو الله وحده في كل حاجاته.

وفي حديث آخر يدعو النبي ﷺ الله للشفاء من المرض قائلا بأن لا شفاء إلا شفاؤه:

﴿2﴾ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا عَادَ مَرِيضًا يَقُولُ: "أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا". (صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، ص 972، رقم 5707/2191)

سيدعو النبي ﷺ الله يوم القيامة فيُعطى

فقد جاء في الحديث:

﴿3﴾ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا ... ثُمَّ يُقَالُ لِي ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ. (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ص 1136، الرقم: 6565)

في هذا الحديث أن الله سيطلب من النبي ﷺ يوم القيامة أن يسأل فيعطيه، وهذا يعني أنه لا سلطان له يوم القيامة، بل يسأل الله فيعطيه ويشفع عند الله ويقبل منه.

يجب أن نستعين بالله وحده

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه قواعد العقائد:

"فالله وحده هو الذي يتقرب إليه المسلم بعبادته وبخضوعه. ومن الله وحده يستمد المسلم العون ويطلب الهداية. هذا هو المعنى الذي يعينه، أو الذي يجب أن يعنيه المسلم كلما قرأ قول الله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾" (قواعد العقائد للإمام الغزالي، تقديم، ص 9)

فهذه الآية والعبارة تقول أنه يجب على المرء أن يعبد الله وحده ويستعين به فقط. هذا هو معنى التوحيد.

الآيات والأحاديث التي تشير بأن الدعاء من النبي ﷺ جائز

هل تعني هذه الآيات والأحاديث حقًا أنه يجوز لنا الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فلنعلم أن الآيات الخمسة والثلاثون المذكورة تؤكد أن على المرء أن يدعو الله فقط، ولكن هناك بعض الآيات التي سئل فيها النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء ما، ولكن في الواقع كان هذا في حياة النبي ﷺ، أو يحدث ذلك يوم القيامة عندما يكون النبي ﷺ موجوداً أمامهم، فيطلب منه المسلم أن يشفع أو يسأله شراب من حوض الكوثر، فهذا جائز.

لكن السؤال الحقيقي هو: هل يجوز أن نسأل النبي ﷺ بعد حياته في الدنيا أو هل يجوز لنا أن نسأل أي صحابي أو ولي من أولياء الله؟ لم أجد آية أو حديثًا يجوّز هذا الأمر، فكل الآيات أو الأحاديث التي تشير بأن الدعاء من النبي

ﷺ جائز متعلقة بحياته أو متعلقة بيوم القيامة عندما يكون السائل حاضرًا أمامه. والآيات كما يلي:

﴿1﴾ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** [النساء 4:64]

هذه الآية تدل أن المسلمين كانوا ياتون النبي ﷺ يسألونه أن يستغفر لهم، ولكن هذا الأمر متعلق بحياته، لا بعد وفاته.

﴿2﴾ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** [المائدة 5:55]

يجادل بعض الناس بهذه الآية بأن النبي ﷺ ولي وناصر، وكذلك الذين يقيمون الصلاة هم أيضاً أولياء فيجوز لنا أن ندعوهم للعون.

لكن في كتب التفسير أن هذه الآية نزلت عندما أسلم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه، فقطع ذووهم وأصدقاؤهم علاقتهم بهم، ثم نزلت هذه الآية تسليةً لهم بأن الله ورسوله والمؤمنون أولياء لهم. وكان هذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لذلك الاستعانة به بعد الموت لا يثبت.

﴿3﴾ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ** [التوبة 9:71]

يجادل بعض الناس بهذه الآية بأن المؤمنين والمؤمنات يعين بعضهم لبعض؛ لذلك يجوز أن يُسألوا حتى بعد الموت، لذلك يمكن للمرء أن يسأل الولي أيضًا بعد موته.

ولكن هذه الآية لا يتعلق بالسؤال بعد الموت، بل يتعلق بسؤالهم إذا كانوا أحياء، ولهذا تذكر الآية أن المؤمنين يأمرون بعضهم بعضاً بالمعروف وينهون عن المنكر. لذلك فإن الاستعانة من الأولياء لن تثبت بهذه الآية، لأن هذا المعنى يتعارض مع الآيات الخمسة والثلاثين المذكورة أعلاه.

﴿4﴾ قَالَ قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي." (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ص 17، رقم 71)

يقول البعض أن النبي ﷺ هو قاسم فلذلك يجوز للمرء أن يسأله. ولكن الحديث يبين أن التفقه من الله لذلك يجب أن يطلبه منه تعالى، ولكن علم القرآن والحديث والعلوم التي أعطاني الله سأشرح لكم إياه وأوزعه بينكم. ولهذا عنون عليه الإمام البخاري: " مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ". ثانياً: كان هذا في حياته، لم يذكر الحديث أنه لا يزال يقسم بعد وفاته.

يعتقد المشركون أن آلتهم تعينهم

يعتقد المشركون أن أرواح قديسيهم الأموات تتجول في الخلاء وتأتي لإعانتهم لأنهم مجازون من الله لإعانة المحتاجين. فإنهم من ناحية يؤمنون بإله واحد، ولكن من ناحية أخرى يؤمنون بالآلهة لطلب مساعدتهم، ويقومون بتنصيب تماثيلهم وعبادتها والاستعانة بها.

صرح الله (ﷻ) في 35 آية أنه لن يقدر أحد دونه أن يساعد أحدا، إن الله وحده يملك هذا الأمر؛ لذلك فإن الاستعانة بالله واجب لطلب الرزق والشفاء والأولاد والزواج و لكل الأمور. وقد بُعث النبي ﷺ لإمحاء هذه الأنواع من الشرك، لذلك فلنتأمل هذه الآيات مرة أخرى بدقة. وهناك آيات كثيرة بخصوص هذه العقيدة، لكني لم أذكر كلها مخافة الطوالة.

يجب أن تكون هناك آية واضحة أو حديث صحيح يثبت أن الله أذن لشخص ما بعد وفاته أن يقضي حاجات الناس، ولكن لا يمكن تقديم مثل هذا الدليل من القرآن والحديث.

فهذه 35 آية و 4 أحاديث تم عرض تفاصيلها أمامك.

المبحث الثاني عشر

الوسيلة والتوسل

الوسيلة أو التوسل موضوع جدل كبير، وهناك جماعات مختلفة وكل تقدم دلائلها. والتفاصيل على النحو التالي:

سنقدم 4 آيات و 10 أحاديث بخصوص هذه العقيدة.

الوسيلة على خمسة أنواع

(1) الدعاء بالله وحده ولكن بالوسيلة مثلا: اللهم تقبل دعوتي بوسيلة النبي ﷺ، فهذا جائز ، ولكن لا ينبغي لأحد أن يجعله عادة؛ لأن جواز الوسيلة مذكور في بعض الأحاديث فقط، ولكن سائر الأدعية في القرآن والحديث لم يذكر أي وسيلة.

(2) القيام بأي عمل صالح وجعله وسيلة لعلو الدرجات وغيرها. هذا مطلوب وقد حث القرآن الكريم عليه.

(3) أن يطلب من أي شخص حي أن يدعو له في حاجته. هذا لا بأس به، وفي كثير من الأحاديث طلب الصحابة من النبي ﷺ الدعاء لهم.

(4) أن يسأل ميتاً، نبيًا كان أو وليًا، للدعاء له. لم يثبت هذا بأي آية أو حديث. بل جاء في الحديث أن كل أعمال الإنسان تنتهي بالموت، والدعاء أيضاً عمل من الأعمال؛ لذلك لا يجوز السؤال منهم للدعاء بعد الموت.

والنكتة الأخرى هي أنه مختلف فيه بين العلماء الكبار هل الموتى يسمعون أم لا؛ فكيف يُطلب منهم الدعاء؟ لذلك هذا غير جائز.

(5) الدعاء من غير الله مثلا: يا أيها النبي تقبل دعاءنا فهذا لا يجوز؛ لأن هذا نداء لغير الله وهو حرام.

سيتم تقديم الدلائل لهذه النكات الخمسة في السطور التالية.

دعاء الله بوسيلة

يجوز دعاء الله بالوسيلة، ولكن بما أن الأحاديث التي تذكر الوسيلة قليلة وهناك مئات الآيات والأحاديث التي لم تذكر الوسيلة؛ لذلك من الأفضل الدعاء بأدعية القرآن والحديث.

(1) أول طريقة للوسيلة مثلا: اللهم تقبل دعائي بوسيلة النبي ﷺ، فهذا جائز، ولكن لا يحسن أن يجعله عادة.

الأحاديث المتعلقة بهذا النوع من الوسيلة هي كالتالي:

﴿1﴾ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ رَجُلاً، ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ..... قَالَ فَادْعُهُ . قَالَ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي

حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِي اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ ". (سنن الترمذي، كتاب الدعوات، ص 816، رقم 3578؛ ابن ماجة، باب ما جاء في صلوة الحاجة، ص 197، رقم 1385)

في هذا الحديث، دعا الله تعالى ولكن بوسيلة النبي ﷺ، فهذا جائز.

﴿2﴾ عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ: لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق مُحَمَّد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت مُحَمَّدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا مُحَمَّد ما خلقتك. (المستدرک للحاکم، کتاب توارخ المتقدمين من الانبياء و المرسليين، باب ومن كتاب آيات رسول الله ﷺ التى هي دلائل النبوة، ج 2، ص 672، رقم 4228)

﴿3﴾ عن عباس كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسئلک بحق مُحَمَّد النبي الأمي الذي و عدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم. قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان." (المستدرک للحاکم، باب بسم اللہ الرحمن الرحيم من سورة ، ج 2، ص 289، رقم 3042)

بل ثبت أيضا أن الصحابة دعوا بوسيلة صحابي كما جاء في الحديث:

﴿4﴾ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ـ رضى الله عنه ـ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ فَيُسْقَوْنَ. (صحيح البخاري، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ص 162، رقم 1010)

وهذا الأثر يؤكد أنهم كانوا يدعون الله بوسيلة الرسول ﷺ وبعده يدعون بوسيلة عمه سيدنا عباس رضي الله عنه.

والجدير بالذكر أن الصحابة قد دعو بوسيلة سيدنا عباس رضي الله عنه في حياته وما دعو بوسيلة النبي ﷺ لأنه قد تُوفِّي.

﴿5﴾ عن أوس بن عبد الله قال: "قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب." (سنن الدارمي، باب ما أكرم الله نبيه بعد موته، ج 1، ص 227، رقم 93)

وهذا الأثر يذكر أنه أمطرت عند فتح الكوة في قبر النبي ﷺ، وهذا دليل على جواز الوسيلة.

﴿7﴾ عن مالك الدار – وكان خازن عمر على الطعام – قال "أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام و أخبره أنكم مسقيون. (مصنف ابن أابي شيبة، باب ما ذكر فى فضل عمر بن الخطاب، ج 6، ص 359، رقم 31993/32002)

في هذا الأثر أيضاً أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يستسقي لهم.

الحديث الثاني والرابع يثبتان أن دعاء الله بوسيلة شخص ما جائز كما تؤيده الأحاديث. ولكن بما أن معظم الدعاء في القرآن والحديث لا تذكر أي وسيلة، لذلك يفضل دعاء الله مباشرة، لكن الدعاء بالوسيلة مباح أحيانًا لأن الأحاديث المذكورة تؤيد الوسيلة أحياناً.

الوسيلة بالعمل الصالح

النوع الثاني: القيام بأي عمل صالح وجعله وسيلة لرفع الدرجات. هذا مطلوب وقد شجع عليه القرآن كما في الآيتان التاليتين:

﴿1﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ [المائدة 5:35]

الوسيلة هنا تعني كل عمل صالح يرضي الله. تطلب هذه الآية من المؤمنين أن يعملوا الصالحات لإرضاء الله ويجعلوها وسيلة للقرب منه.

حاول البعض إثبات أن هذه الآية تدعو إلى طلب وسيلة الصالحين. وبدلا من ذلك، بدأ البعض بدعاء الأولياء.

وقد فُسّرت هذه الآية في تفسير ابن عباس رضي الله عنه بالكلمات التالية:

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ "الدرجة الرفيعة ويقال اطلبوا إليه القرب في الدرجات بالأعمال الصالحة" كما أن التفاسير الأخرى للقرآن تذكر أشياء مماثلة. لذلك، لا يمكن أبدًا إثبات طلب المساعدة من الأولياء. نعم، يسمح الحديثان السابقان فقط دعاء الله من خلال وسيلة شخص ما بهذه الطريقة: اللهم تقبل

دعائي بوسيلة فلان وفلان. ويلزم أن يكون الدعاء من الله وحده وإن كان هناك التوسل بنبي أو ولي.

وفي آية أخرى:

﴿2﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ [الإسراء 17:57]

وفي هذه الآية حذر الله (ﷻ) المشركين بمكة من عبادتهم للملائكة والجن اعتقادا منهم بأنهم سينجونهم أو سيعينونهم، وهذا خطأ فادح؛ لأن الملائكة والجن يحتاجون الله ويعملون الصالحات ويتقربون بها من الله؛ لذلك حث القرآن مشركي مكة أن يؤمنوا بالله ويدعوه وحده.

وقد فُسّرت هذه الآية في تفسير ابن عباس ﵁ بالكلمات التالية:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ "يطلبون بذلك إلى ربهم القربة والفضيلة" أي الملائكة والجن الذين يعبدونهم هم أيضاً يسعون إلى التقرب من ربهم فكيف يعطون الآخرين؟

لذلك، هذه الآية أيضًا لا تثبت دعوى الاستعانة بالأولياء، ولو حاول أحدهم إثبات ذلك بالمعاني البعيدة فذلك جهل مطلق.

يجوز طلب الدعاء من الحي

(3) والنوع الثالث: أن يطلب من حي أن يدعو له، أو يطلب منه سد حاجة، أو أن يدعو بوسيلته فهذا جائز، كما يقول القرآن:

﴿3﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا [النساء 4:64]

وهذه الآية تبين أن طلب الدعاء من الحي جائز.

وفي آية أخرى:

﴿4﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ [الأنفال 8:33]

هذه الآية تدل على أن وجود الإنسان الصالح له بعض الفوائد، فيجوز أن يطلب من حي أن يدعو الله، كما جاء في الأحاديث:

﴿7﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ". (صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل ما يقول المؤذن، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، ص 163، رقم 384، رقم 849)

﴿8﴾ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ، أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ فَقَالَ: "أَىْ أُخَىَّ أَشْرِكْنَا فِي دُعَائِكَ وَلاَ تَنْسَنَا". (الترمذى، كتاب الدعوات، ص 812، رقم 3562)

وفي هذين الحديثين طلب النبي ﷺ من أحد أصحابه أن يدعو له؟ فهذا جائز.

﴿9﴾ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَذْكُرُ أَنَّ رَجُلاً، دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ باب كَانَ وُجَاهَ الْمِنْبَرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا. قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ. (صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، ص 162، رقم 1013)

في هذا الحديث، سُئل النبي ﷺ في حياته أن يدعو.

وكذلك التوسل بإنسان حي ثابت بعمل الصحابة رضي الله عنهم:

﴿10﴾ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ـ رضى الله عنه ـ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ فَيُسْقَوْنَ. (صحيح البخاري، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ص 162، رقم 1010)

جاء في هذا الحديث أن الصحابة كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته الدنيوية، وبعد وفاته توسلوا بعمه سيدنا عباس رضي الله عنه. فثبت أن الصحابة طلبوا وسيلة للإنسان الحي ودعوا الله بوسيلته.

فجميع الأحاديث السالفة وأفعال الصحابة توضح صراحة أن الدعاء وُجهت إلى الله وحده ودعوا الله مباشرة بوسيلة شخص حي.

لذلك، يحرم الدعاء لأي ميت لسد حاجة، أو لشفاء مريض، أو إعطاء ولد، أو إرسال المطر.

فظائع مجاوري القبور

فهذه الأحاديث تثبت جواز الدعاء أحياناً بوسيلة أي شخص. لكن من المؤسف أن مجاوري القبور والضرائح يُضلون الناس لمجرد كسب الخبز وجلب المال وطلب الاسم والشهرة. فإنهم يسيئون استخدام هذا الجواز ويتفاخرون بكرامات الأولياء ويحصلون على مبلغ ضخم من المال تحت غطاء تلبية احتياجات الناس. إنهم يختلقون الفضائل والمزايا لكي يزورهم الناس مرارًا وتكرارًا. فإنهم في بعض الأحيان يجعلون الناس عالقين في الخرافات، وخاصة النساء يقعن فريسة لهم؛ لذلك يحتاج هذا الأمر إلى مزيد من الحذر.

قدمنا 4 آيات و 10 أحاديث بخصوص هذه العقيدة مع تفاصيلها.

المبحث الثالث عشر

خمس عقائد مهمة

أمر الله تعالى النبي ﷺ أن يعلن أنه لا يملك هذه الأمور الخمسة.

سنقدم 25 آية من القرآن بما يتعلق بهذه العقيدة. والتفاصيل كما يلي:

العقائد الخمسة هي:

(1) إن النبي ﷺ بشرٌ.

(2) ليس للنبي ﷺ سلطان على النفع والضرر.

(3) إن النبي ﷺ ليس عنده علم الغيب.

(4) يجب على المرء ألا يشرك بالله (ﷻ) أحداً.

(5) يجب أن نطيع النبي ﷺ لنحصل على النجاة.

١. أُمِر النبي ﷺ أن يعلن أنه بشرٌ

يقول القرآن:

﴿1﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ [الكهف 18:110]

﴿2﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ [فصلت 41:6]

﴿3﴾ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا [الإسراء 17:93]

﴿4﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ [إبراهيم 14:11]

في هذه الآيات الأربعة، سئل النبي ﷺ أن يعلن أنه ليس إلا بشراً.

2. أُمِر النبي ﷺ أن يعلن أنه ليس عنده علم الغيب

هناك 8 آيات تتعلق بهذه العقيدة:

﴿1﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [النمل 27:65]

﴿2﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ [الأنعام 6:50]

﴿3﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ [هود 11:31]

﴿4﴾ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ [يونس 10:20]

﴿5﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [الأعراف 7:187]

﴿6﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ [الأحزاب33:63]

كل علم أُعطي للنبي ﷺ كان بالوحي كما يقول القرآن:

﴿7﴾ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي [الأعراف 7:203]

﴿8﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ [الأحقاف 46:9]

في هذه الآيات الثمانية، سئل النبي ﷺ أن يعلن أنه ليس لديه علم الغيب.

3. أُمِر النبي ﷺ أن يعلن أنه لا يملك النفع والضرر

وهناك آيات تتعلق بهذه العقيدة وهي كالتالي:

﴿1﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [الأعراف 7:188]

﴿2﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [يونس 10:49]

﴿3﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا [الجن 72:21]

﴿4﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا [الجن 72:22]

﴿5﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ [الأحقاف 46:9]

﴿6﴾ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [الفتح 48:11]

﴿7﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا [الجن 72:21]

﴿8﴾ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي [يونس 10:15]

في هذه الآيات الثمانية، أُمِر النبي ﷺ أن يعلن أنه لا سلطان له على الإضرار والنفع.

4. أُمِر النبي ﷺ أن يعلن أنه لا يشرك بالله

وهذه آيات تتعلق بهذه العقيدة:

﴿1﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا [الجن 72:20]

﴿2﴾ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ [الرعد 13:36]

في هاتين الآيتين، أُمِر النبي ﷺ أن يصرح بأنه لا يشرك بالله.

5. أُمِر النبي ﷺ أن يعلن أن إطاعته لازمة للنجاة

وهذه آيات تتعلق بهذه العقيدة:

﴿1﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ [آل عمران 3:32]

﴿2﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا [النور 24:54]

﴿3﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [آل عمران 3:31]

في هذه الآيات الثلاثة، أُمِر النبي ﷺ أن يعلن للناس: إن كنتم تريدون النجاة في الآخرة فعليكم أن تطيعوني.

المبحث الرابع عشر

الشفاعة

سنذكر 4 آيات و 8 أحاديث بخصوص هذه العقيدة.

الشفاعة نوعان يوم القيامة:

(1) الشفاعة الكبرى: وهي خاصة بالنبي ﷺ.

(2) الشفاعة الصغرى: وهي تعطى للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأتقياء.

لا تكون الشفاعة إلا بإذن الله، فلا سلطان لأحد إلا بإذنه، كما يقول القرآن:

﴿1﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة 2:255]

﴿2﴾ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ [يونس 10:3]

﴿3﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ [سبأ 34:23]

﴿4﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا [الزمر 39:44]

هناك ثماني طرق للشفاعة يوم القيامة

(1) الشفاعة الكبرى: وهي تعطى للنبي ﷺ فقط.

(2) يُحكم على مؤمن بدخول النار بسبب خطاياه، ولكن سيُشفع له فيُرسل إلى الجنة. هذا النوع من الشفاعة يُمنح للنبي ﷺ وكذلك لغيره من الأنبياء والأتقياء.

(3) يدخل بعض المؤمنين الجنة بغير حساب بشفاعة الرسول ﷺ.

(4) يشفع الرسول ﷺ فيخفف العذاب، كما ورد في الحديث أنه يشفع فيخفف عذاب عمه أبي طالب.

(5) يدخل جميع المؤمنين الجنة بشفاعته.

(6) بعض الذين ارتكبوا الكبائر وحُكم عليهم بالنار فيشفع لهم فيدخلون الجنة.

(7) هناك سيكون بعض المؤمنين ذنوبهم وحسناتهم سواء فيُشفعون ثم يدخلون الجنة. هذه الشفاعة تمنح للنبي ﷺ وكذلك للأنبياء والأتقياء الآخرين.

(8) هناك نوع من الشفاعة لأهل الجنة، بأن يُشفعون فيرفع درجاتهم في الجنة. هذه النوع من الشفاعة سيمنح للنبي ﷺ وكذلك لغيره من الأنبياء والأتقياء.

فهذه 8 أنواع من الشفاعة.

الشفاعة الكبرى

النوع الأول: في يوم الحشر سيشق على الناس الانتظار الطويل حتى يتم الحساب ويرغبون في تقليل الحساب؛ فيقتربون من الأنبياء ليشفعوا عند الله، لكنهم لن يكونوا مستعدين لذلك فيعتذرون. وأخيرًا يجيء الناس إلى رسول الله ﷺ فيشفع عند الله ويُقبل شفاعته. وهذا يسمى الشفاعة الكبرى.

الشفاعة الكبرى خاصة بالرسول الله ﷺ كما ورد في الحديث:

﴿1﴾ عَنْ أَنَسٍ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا. فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ وَيَقُولُ ـ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ. فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ـ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلاً. فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ـ ائْتُوا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ـ ائْتُوا عِيسَى فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ ". (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ص 1136، رقم 6565)

شفاعات أخرى

النوع الثاني: يُحكم على المؤمن أن يدخل جهنم بسبب خطاياه، فيُشفع له فيرسل إلى الجنة. وهذا النوع من الشفاعة يمنح للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والأتقياء كما جاء في الحديث:

﴿2﴾ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاسْتَظْهَرَهُ فَأَحَلَّ حَلاَلَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ". (سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل قارئ القرآن، ص 653، رقم 2905)

يقول هذا الحديث أنه يمكن هذا النوع من الشفاعة للذين أرسلوا إلى جهنم ويمكن أيضًا لعامة المؤمنين أن يقدموا هذا النوع من الشفاعة.

النوع الثالث: يدخل بعض المؤمنين الجنة بغير حساب بشفاعة الرسول كما جاء في الحديث:

﴿3﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ " يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ " . فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ . قَالَ " اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، ص 111، رقم 520/216)

النوع الرابع: يشفع الرسول ﷺ فيخفف عقوبة أهل النار كما جاء في الحديث:

﴿4﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ " لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ ". (صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، ص 652، رقم 3885)

في هذا الحديث أن شفاعة النبي ﷺ سينفع ويخفف العقاب.

النوع الخامس: يدخل جميع المؤمنين الجنة بشفاعة النبي ﷺ كما جاء في الأحاديث:

﴿5﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة، ص 105، رقم 483/196)

﴿6﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ فَيُؤْتَاهَا وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي دعوة الشفاعة لأمته، ص 106، 494/200)

وهذان الحديثان يدلان على دخول الأمة إلى الجنة بدعاء النبي ﷺ.

النوع السادس: يُشفع لبعض من ارتكبوا الكبائر وحُكم عليهم بالنار، كما جاء في الحديث:

﴿7﴾ حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ . رضى الله عنهما . عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ ". (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة و النار، ص 1136، رقم 6566)

﴿8﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي". (أبو داؤد، كتاب السنة، باب في الشفاعة، ص 670، رقم 4739)

النوع السابع: سيكون هناك بعض المؤمنين ذنوبهم وحسناتهم متساوية فيُشفع لهم ثم يدخلون الجنة. سيمنح مثل هذه الشفاعة للنبي ﷺ وكذلك للأنبياء الآخرين والأتقياء.

النوع الثامن: سيشفع لأهل الجنة فترفع درجاتهم. هذا النوع من الشفاعة سيعطى للنبي ﷺ وكذلك للأنبياء الآخرين والأتقياء.

فهذه 4 آيات و 8 أحاديث، تم عرض تفاصيلها أمامكم.

المبحث الخامس عشر

الإيمان بالأنبياء عليهم السلام

سنذكر 17 آية وحديثين بخصوص هذه العقيدة.

لقد بعث الله ﷻ أنبياء إلى هذا العالم، وفقًا لبعض الروايات فقد تم إرسال حوالي مائة وأربعة وعشرين ألف نبيا إلى الدنيا ووردت أسماء بعض هؤلاء الأنبياء في القرآن بينما لم يرد أسماء معظمهم.

يجب على المسلمين أن يؤمنوا بجميع الأنبياء بأن كانوا على الحق وأن شريعتهم كانت حقة، ولكن بعد بعثة النبي ﷺ، نُسخت شرائعهم. والآن من اللازم الإيمان بشريعة مُحمَّد ﷺ واتباعها، وأن النجاة الأخروية منحصرة في اتباعها.

وكانت هناك ست معتقدات رئيسية مشتركة بين جميع الأنبياء وهي أساسية في الإسلام أيضًا: (1) الإيمان بالله (2) الإيمان بالنبي (3) الإيمان بكتاب الله (4) الإيمان بالملائكة (5) الإيمان بيوم القيامة (6) الإيمان بالقدر.

أما أحكامهم وشرائعهم فكانت مختلفة في بعض الأمور. لذلك يجب على المسلم أن يؤمن بالأنبياء بأنهم كانوا على الحق وأن شريعتهم كانت واجبة الاتباع في عصورهم.

الإيمان بجميع الأنبياء

إنه من مميزات الإسلام التي تتطلب من أتباعه الإيمان بجميع الأنبياء واحترامهم.

والإيمان بجميع الأنبياء يعني أنهم كانوا أنبياء و مرسلين من الله وأن شرائعهم كانت صحيحة وملزمة لأقوام أرسلوا إليها، ولكن تلك قد صارت منسوخة بعد بعثة النبي ﷺ. وكذلك الكتب والصحائف المقدسة التي أنزلت عليهم كانت منزّلة من الله وكانت ملزمة بوقتها، ومن اللازم الإيمان بأن تلك الكتب كانت كتبا حقة، لكنها لن تُتّبع بعد نزول القرآن، فالآن العمل على القرآن ضروري لازم.

وهذه آيات تتعلق بها:

﴿1﴾ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [آل عمران 3:84]

تطلب الآية الإيمان بجميع الأنبياء وعدم التفريق بينهم:

﴿2﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [البقرة 2:285]

﴿3﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [البقرة 2:136]

تطلب هذه الآيات من المسلمين الإيمان بجميع الأنبياء؛ وإلا لن يكتمل إيمانهم.

لم يذكر القرآن بالاسم إلا بعض الأنبياء

ورد في الحديث أن الله تعالى أنزل حوالي مئة وأربعة وعشرين ألف نبياً، منهم حوالي ثلاث مئة وخمسة عشر رسولاً. ولم يذكر القرآن إلا بعض هؤلاء الأنبياء والمرسلين بأسمائهم، كما جاء في الآية:

﴿4﴾ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** [**غافر** 40:78]

وقد ورد عدد مجموع الأنبياء في الحديث التالي:

عن أبي أمامة قال كان رسول الله ﷺ في المسجد جالسا ... قال قلت يا رسول الله كم وفى عدة الانبياء؟ قال: مئة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاث مئة وخمس عشر جما غفيرا. (مسند أحمد، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي، ج 7، ص 356، رقم 22288/21785؛ الطبراني الكبير، مسند معان بن رفاعة السلامي، عن علي، ج 8، ص 217، رقم 7871)

جاء في هذا الحديث أن الله تعالى أنزل مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نبياً منهم ثلاث مئة وخمسة عشر رسولاً.

وكان من أبرزهم أربعة أعطوا كتبا مقدسة:

(1) موسى عليه السلام

(2) عيسى عليه السلام

(3) داؤد عليه السلام

(4) مُحَمَّد ﷺ

الإيمان بالتوحيد

دعا جميع الأنبياء الناس إلى الإيمان بالله، والإيمان بالأنبياء، والإيمان بكتب الله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالقيامة والإيمان بالقدر. لكن الأحكام الأخرى كانت مختلفة إلى حد ما؛ على سبيل المثال: اختلفت طريقة الصلاة وأيام الصوم، كما يقول القرآن الكريم:

﴿1﴾ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا [المائدة5:48]

﴿2﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [البقرة2:285]

هذه الآية تؤكد بأن الإيمان بالله والملائكة والكتب السماوية كان لازمة عند جميع الأنبياء.

﴿1﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ. (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى إذ

قالت الملائكة يمريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم (3:45) ص 580، رقم 3443)

تؤكد الآية والأحاديث أن أصول الدين التي جاء بها الأنبياء واحدة، وإن اختلفت الأحكام والشرائع.

الإيمان بالنبي محمد ﷺ

إنه لا بد من الإيمان بالنبي مُحَمَّد ﷺ بعد بعثته والنجاة تعتمد على إيمانه، كما يقول القرآن:

﴿6﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ [آل عمران 3:19]

﴿7﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ [آل عمران 3:85]

﴿8﴾ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة 5:3]

﴿9﴾ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ [آل عمران 3:81]

هذه الآيات تؤكد أن قبول الإسلام والإيمان بالنبي مُحَمَّد ﷺ لازم.

وقد جاء في الحديث:

﴿1﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب

وجوب الإيمان برسالة نبينا مُحَمَّد إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، ص 76، رقم 386/153)

تفضيل نبي على نبي أمر غير سديد

لا يجوز تفضيل نبي على غيره بما يخل بالاحترام، كما جاء في الحديث:

﴿2﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ ـ رضى الله عنه ـ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ " لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ". (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى "واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها" 16:19، ص 580، رقم 3445)

فالحديث تمنع من المبالغة في النبي ﷺ كما أن النصارى بالغوا في النبي عيسى عليه السلام.

أربعة كتب رئيسية مذكورة في القرآن

أنزل الله ﷻ أربعة كتب كبيرة على أربعة أنبياء كبار: التوراة على موسى عليه السلام، وإنجيل على عيسى عليه السلام، والزبور على داؤد عليه السلام، والقرآن على النبي مُحَمَّد ﷺ.

والقرآن أنزل على النبي مُحَمَّد ﷺ كما في الآية:

﴿10﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ [طه 20:2]

والتوراة على النبي موسى عليه السلام كما في الآية:

﴿11﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ [المائدة 5:44]

وإنجيل على النبي عيسى عليه السلام كما في الآية:

﴿12﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ [المائدة 5:46]

والزبور على النبي داؤد عليه السلام كما في الآية:

﴿13﴾ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا [الإسراء 17:55]

﴿14﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا [النساء 4:163]

الكتب الأخرى والصحائف

تذكر الآيات التالية بعض الكتب التي أنزلها الله إلى الأنبياء الآخرين:

﴿15﴾ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [آل عمران 3:84]

﴿16﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ [المائدة 5:48]

﴿17﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى [الأعلى 87:1819]

فتذكر هذه الآيات بعض الكتب المقدسة والصحف التي أنزلها الله على الأنبياء.

فهذه 17 آية و حديثان عن هذه العقيدة.

المبحث السادس عشر

إهانة النبي ﷺ

سنقدم 3 آيات وحديثين بخصوص هذه العقيدة، والتفاصيل كما يلي:

الإساءة على أربعة أنواع:

(1) الإساءة إلى النبي ﷺ علانية وتكرارها حتى بعد الإفهام.

(2) يتجنب الإساءة العلنية، ولكن يستخدم لغة تؤدي إلى إهانته.

(3) رجل مسلم يستخدم كلمة غامضة إلى حد ما، والتي يعتبرها بعض المسلمين من مذاهب أخرى ويحكمون عليه بالكفر.

(4) بعض غير المسلمين من بلاد الكفر يقوم بعمل أو قول تسيئ إلى النبي ﷺ؟

والتفاصيل كما يلي:

الإساءة إلى النبي ﷺ فعل يدعو لعنة

الإساءة إلى النبي ﷺ فعل يدعو لعنة عظيمة، بل إن الإساءة إلى أي نبي فعل يجلب لعنة الله، فإنه يسبب الكفر. وقد أكد القرآن على احترام الأنبياء وإطاعتهم فيقول:

﴿1﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا [الأحزاب 33:57]

﴿2﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ [الحجرات 49:2]

﴿3﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الفتح 48:9]

تؤكد هذه الآيات على وجوب تجنب الازدراء البسيط في حقه ﷺ ولزوم إعطائه كل الاحترام. دع من عدم احترام النبي ﷺ، حتى عدم احترام الصحابي حرام وذنب كبير.

إهانة النبي ﷺ علانية ومتكررة

لو أهان المسلم النبيَّ ﷺ علانية ولم يتوقف حتى بعد التفهيم فإنه يصير كافرا ومرتدا؛ لأن الإيمان بالنبي ﷺ جزء عظيم من أجزاء الإيمان، وبالإساءة إليه قد فقد هذا الجزء العظيم، ونتيجة لذلك يُحكم عليه بالارتداد والإعدام.

لماذا استخدمت كلمة "علانية"؟

لقد استخدمت كلمة "علانية" حيث رأيت بعض الكتب حيث اقتبس أتباع مذهب من نصوص مذهب آخر وقاموا بإثبات أن الفريق الثاني ارتكب الإهانة، وقد نشروها لدرجة أنها أصبحت شائعة ووصفوا أتباع المذهب الآخر بالكفر وحتى أعلنوا كفر من يشكك في كفرهم.

ولكن لما استفسرت عن الفريق المستهدف ودرست كتبهم، توصلت إلى نتيجة أنهم لن يسيئوا للرسول ﷺ، بل إنهم لا يؤمنون بادعاءات المذهب الآخر لأنها

غير مدعمة بالقرآن والحديث، لذلك رسمه خصمه بألوان خاطئة ووصفوه بالكفر، بل أعلنوا كفر من يشكك في كفرهم. الآن يمكنك أن ترى بنفسك مدى اختلاف الأمرين. إن فتاوى الكفر هذه قد قسّمت جماعة أكبر من الأمة إلى طوائف.

لذلك، أشترطها بالإساءة العلنية والمحاولات المتكررة حتى بعد التفهيم عندئذٍ فقط سيُطلق على مثل هذا الشخص حكم الارتداد ولا يمكن وصف المرء بالكفر بتحريف كلماته.

والمثال الثاني، ورد في الصحف والتلفزيون أن طالبًا جامعيًا تفوه ببعض الكلمات دون نية التجديف أو الإهانة للنبي ﷺ، لكن زملاءه فسروا كلمته على أنها كفر مع أن الطالب نفى الادعاء وأوضح أن نيته لم تكن إهانة النبي ﷺ، لكن أصدقاءه لم يقتنعوا وضربوه حتى الموت. فانتشر النبأ عبر وسائل الإعلام و تسبب هذا الحادث في صبغ المسلمين بلون سيء وترددت صداه في أوروبا لعدة أشهر.

لذلك، ما لم يثبت بوضوح أن شخصًا معينًا قد أهان النبي ﷺ أو أساء إليه عمدًا، فلا ينبغي أن يطلق عليه بالكفر. كما أن التسرع في الحكم يسبب الاضطراب ويقسم المسلمين إلى مجموعات.

والمثال الثالث، يحترم أتباع مذهب خاص لأهل البيت (آل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم) كل الاحترام الواجب، ويعتبر حبهم جزءًا من الإيمان ولا يسمح بأي ازدراء في حقهم، ولكن أتباع المذهب الآخرين يفكرون فيهم أنهم

لا يحترمون أهل البيت أو أنه لا يحبونهم بالطريقة التي يحترمون ويحبون؛ لذلك يرمونهم بالكفر وعداوة أهل البيت ولا يصلون وراءهم.

لذلك فإن الكثير من الاتهامات قد لا يجعل المرء مرتدا وعرضة للعقاب؛ بل من الضروري إثبات أنه أهان النبي ﷺ أو سبه عمدًا وقصدًا، فيُدعى مرتدًا.

قتل الساب المعتدي

هناك أحاديث في هذا الصدد:

﴿1﴾ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، أَنَّ أَعْمَى، كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ فَيَنْهَاهَا فَلاَ تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ - قَالَ - فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَتَشْتِمُهُ فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ " أَلاَ اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ ". (أبو داؤد، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبى ﷺ، ص 613، رقم 4361)

يذكر الحديث: " فَيَنْهَاهَا فَلاَ تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ"، وهذا يعني أنه من كرر الإهانة بعد الإفهام، فإنه يُعلن عنه بأنه كافر ومرتد، ولكن الكلمة الغامضة قد لا تجعله مرتداً.

هناك حديث آخر:

﴿2﴾ عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ يَهُودِيَّةً، كَانَتْ تَشْتِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ فَأَبْطَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَمَهَا. (أبو داؤد، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبى ﷺ، ص 613، رقم 4362)

ويتضح من هذين الحديثين أن النبي ﷺ هدر دم الشاتمة.

إهانة النبي ﷺ علانية تجعل المرء كافرا

يكفر المرء بشتم النبي ﷺ، لكن هناك رأيان في أن تُقبل توبته أم لا؟

(1) لا تقبل توبته ويقتل حتما. وهذا رأي أغلب العلماء.

(2) والرأي الآخر بأنه سيُعطى ثلاثة أيام للتوبة، فإن تاب يقبل منه ولا يقتل، مثل المرتد الذي يُمنح ثلاثة أيام للتوبة.

الرأي الأول: من قال إن التوبة لن تقبل استدل بهذه العبارة:

"وكل مسلم ارتد فتوبته مقبولة، إلا الكافر بسب نبي من الأنبياء فانه يقتل حدا و لا تقبل توبته مطلقا ... ومن شك في عذابه و كفره كفر." (الدر المختار، كتاب الجهاد، باب المرتد، مطلب مهم: في حكم ساب الأنبياء، ج 6، ص 356)

فقال جماعة من العلماء أن توبته لن تقبل.

ملاحظة: في الصفحات التالية سنناقش أن الحكم سيصدر من قبل حكومة إسلامية بعد إجراءات قضائية عادية. لا حق للناس أن يعاقبوا المتهمين بأنفسهم لأن هذا سيؤدي إلى الفوضى وسيسمح لوسائل الإعلام بالسخرية من المسلمين.

الرأي الثاني: أن من أهان النبي ﷺ يكفر، ولكن إن تاب فتقبل توبته، ولا يُحدّ، ويحذر من الإعادة في المستقبل، كما في الدر المختار:

"ومن سب الرسول ﷺ فإنه مرتد و حكمه حكم المرتد و يفعل به ما فعل بالمرتد و هو ظاهر في قبول توبته كما مر عن الشفاء." (الدر المختار، كتاب الجهاد، باب المرتد، مطلب مهم: في حكم ساب الأنبياء، ج 6، ص 360)

النص الثاني من الدر المختار:

"ولكن صرح في آخر الشفاء بأن حكمه كالمرتد، و مفاده قبول التوبة كما لا يخفى." (الدر المختار، كتاب الجهاد، باب المرتد، مطلب مهم: في حكم ساب الأنبياء، ج 6، ص 359-357)

النص الثالث من الدر المختار:

قالوا ويستتاب منها فإن تاب نكل، و إن أبى قتل، فحكموا له بحكم المرتد مطلقا، و الوجه الأول أشهر و أظهره. (الدر المختار، كتاب الجهاد، باب المرتد، مطلب مهم: في حكم ساب الأنبياء، ج 6، ص 358)

هذه الاقتباسات الثلاثة تقول أنه إذا تاب المسيء للنبي ﷺ فإنه تُقبل توبته.

وفقًا للرأي الثاني، يُمنح المسيء ثلاثة أيام للتوبة

وفقًا للعلماء الذين يقولون إن توبة المسيئ للنبي ﷺ تُقبل، فيُمنح ثلاثة أيام للتوبة مثل غيره من المرتدين. كان سيدنا عمر ﷺ يؤكد على ترخيص ثلاثة أيام للتوبة، كما في الحديث:

﴿1﴾ "لما قدم على عمر فتح تستر- وتستر من أرض البصرة - سألهم هل من مغربة؟ قالوا رجل من المسلمين لحق بالمشركين فاخذناه، قال ما صنعتم به؟

قالوا قتلناه ،قال: قال أفلا أدخلتموه بيتا وأغلقتم عليه بابا و أطعمتموه كل يوم رغيفا ثم استبتموه ثلاثا - فإن تاب وإلا قتلتموه ثم قال اللهم لم أشهد ولم آمر ولم أرض إذا بلغني." (مصنف ابن أبي شيبة، ماقالوا في المرتد كم يُستتاب،ج 6، ص 444، رقم 32744؛ سنن للبيهقي، باب من قال يُحبس ثلاثة أيام، ج 8، ص 359، رقم 16887)

﴿2﴾ عن علي قال: "يُستتاب المرتد ثلاثا." (مصنف ابن أبي شيبة، ماقالوا في المرتد كم يستتاب،ج 6، ص 444، رقم 32747؛ سنن للبيهقي، باب من قال يحبس ثلاثة أيام، ج 8، ص 359، رقم 16887)

وفي هذا التصريح المذكور عن الصحابي أن سيدنا عمر رضي الله عنه قال حينما سمع عن قتل المرتد بأنه لم يشهد الحادث ولم يأمر به ولا يرضى عنه. هذا يعني أن الترخيص لثلاثة أيام أمر ضروري. وأما إذا أصر على كلامه، فيُحكم عليه بالإعدام.

استعمال كلمات تؤمي إلى الإهانة

النوع الثاني هو أن الشخص لا يهين علانية؛ بل يستخدم كلمات تؤدي إلى ازدراء غير مباشر. إذن، كونها كلمات غير واضحة، والتي قد تعني بطريقة ما عدم الاحترام وقد لا تعني بطريقة ما، أو أنه لا ينوي الإهانة ولكنه نطق الكلمات بدون قصد، فالآن يُطلب منه المراد والنية. فإن تبين أنه نوى الإهانة، فيكفر، وأما إذا نفى الإهانة، أو قال إنه لم يكن يعلم أن ذلك

سيؤدي إلى الإهانة، فيُعفى عنه ويخلى سبيله، ولكن سيتم تحذيره من استخدام مثل هذه الكلمات التي قد تؤدي بشكل غير مباشر إلى عدم الاحترام.

إنما التزمت تقديم هذه التفاصيل، لأننا أحيانًا نرى المتهم بالتجديف ينفي مزاعم الإهانة ويوضح أنه لم يرتكب الإهانة ولم يقصدها، ثم يأخذ عامة الناس القانون بأيديهم ومثل هذه الحوادث تسبب ردود فعل سلبية من وسائل الأعلام.

وأيضا من المؤسف أن بعض الناس يتاجرون في الاتهامات ويحاولون رؤية كل كلمة ببصريات التجديف واتهام خصمهم بالكفر.

استخدام الكلمات التي يدعي الخصم إهانة

النوع الثالث: أن يستخدم المسلم بعض الكلمات غير الواضحة التي يعتبرها خصمه (من أتباع المذهب الآخر) تجديفًا أو ازدراءًا بالنبي ﷺ.

لذلك، في هذه الحالة عندما يكون الشخص مسلمًا، فمن الأرجح أنه لم يقصد الإهانة؛ لأن الإسلام علّمه بعدم ازدراء النبي ﷺ، أو الأنبياء الآخرين، أو أهل بيت النبي ﷺ أو الأولياء. وأيضا يمكن أن تم استخدام مثل هذه الكلمات إما عن جهل أو عن غير قصد أو الكلمات غير مسيئة على الإطلاق أو حرّفت كلماته عن معانيها؛ لذلك ينبغي طلب التوضيح من هذا الشخص. لو جاء بوضاحة تامة أنه سيعتبر بريئًا أو يحذر إذا كانت كلماته تؤدي بطريقة ما إلى عدم الاحترام.

اتخاذ هذا الموقف في القضايا الطائفية سوف يقضي على العديد من المشكلات في مجتمعنا ويقلل من التوترات بين الجماعات الإسلامية.

إهانة النبي ﷺ في الدول غير الإسلامية

والنوع الرابع: أن بعض الكفار يجدف في دول غير مسلمة، فماذا يُعمل؟

سنذكر بالتفصيل أن المرتد سيحكم عليه بثلاثة شروط:

(1) يحق للدولة المسلمة إصدار حكم، وفي غياب سلطة إسلامية لا يمكن لأحد إصدار الحكم.

(2) ويلزم أن يكون هناك قاضي شرعي يحكم في قضيته.

(3) وينفذ الحكم تحت إشراف القاضي.

ولن يُسلَّم الجاني إلى عامة الناس لتنفيذ الحكم. في الأماكن التي لا تكون فيها الحكومة الإسلامية، لا يجوز تنفيذ الحكم. نعم، إذا ارتكب شخص ما التجديف في مثل هذا المكان، فيجب مطالبة حكومة الدولة بالطريقة الأنسب لمعاقبة المذنب.

إذا قام شخص غير مسلم مقيم في دولة غير مسلمة بإهانة النبي ﷺ، فيجب إدانته والاحتجاج عليه في إطار قانون البلاد. علاوة على ذلك، يجب أن يُطلب من الحكومة اتخاذ الإجراءات اللازمة ضد المذنبين حتى لا يجرؤ أحد على ارتكاب هذه الجريمة مرة أخرى.

فليس من الصواب أن نطالب بقبض الرجل لتنفيذ الحكم. لأن هذا سيبب الفوضى والاضطراب ومثل هذه الفوضى قد تلحق الضرر بالمجتمع المسلم. علاوة على ذلك، في رد الفعل المبالغ فيه على الحادث، قد تصرخ وسائل الإعلام وتشوه صورة المسلمين. لذلك فإن أفضل طريقة هي الاحتجاج على مثل هذه الأعمال في إطار قانون الدولة والمطالبة بالعقوبة.

الإهانة المزعومة للنبي ﷺ قضية خطيرة

الإهانة المزعومة للنبي ﷺ قضية خطيرة في هذا الزمان، وهذا يسبب الاضطراب والنزاع. نرى أن أتباع مذهب يؤمنون بالنبي ﷺ ويكرمونه، لكنهم يعتقدون أن النبي ﷺ لم يُعط إلا بعض علم الغيب، ولا يؤمنون بعلم الغيب المطلق للنبي ﷺ، وبالمثل لا يعتقدون أن النبي ﷺ يملك النفع والضرر لأن هذه صفة ثابتة لله فقط كما بيّنها القرآن، والآن يصر معارضوهم على أنهم لا يحترمون الرسول ﷺ ويعتبرونهم كافرين. فإن مثل هذه النزاعات قد قسمت المجتمع الإسلامي إلى مجموعات وطوائف. وهذا ظلم محض بأن يعتبرون أولئك الذين يفهمون آيات القرآن فهما صحيحاً مسيئين ومرتدين.

وهذا من الظلم الشنيع أن نطلق على جماعة من المسلمين بأنهم كفار لمجرد أنهم لا يتبعون رأينا، ومن أبشع الأمر أن نكفّر من يشكك في كفرهم.

لإثبات نسبة الإهانة إلى شخص ما أو إثبات ارتداده، من الضروري إثبات أنه أهان إلى النبي ﷺ صريحًا وأنكر التوبة حتى بعد الإفهام والتفهيم، فيمكن عندئذٍ إعلانه كافرًا ومرتدًا. لا يمكن اعتبار المرء كافراً لمجرد أن له رأي مضاد.

وقد خالف البعض هذا الطريق المعتدل وأشعلوا نار الكراهية والتفرقة بين المسلمين. ونتيجة لذلك إنهم ينفقون قدراتهم في الخلافات المتبادلة ويقاتلون مع إخوانهم في العديد من البلدان الإسلامية ويفسدون في الأرض.

لذلك ينبغي على المرء أن يفكر مائة مرة قبل إعلان الكفر لأي مسلم.

لقد قدمنا 3 آيات وحديثين بخصوص هذه العقيدة.

المبحث السابع عشر

احترام الصحابة ﷺ

سنقدم 10 آيات و 7 أحاديث بخصوص هذه العقيدة، والتفاصيل كما يلي:

الصحابي من رأى النبي ﷺ مع الإيمان ومات عليه. إن احترام جميع الصحابة أمر ضروري لأنهم قد رأوا الرسول ﷺ بأعينهم وصاحبوه ومدوا يد النصرة إليه وضحوا في إيصال رسالة الإسلام إلينا.

إن احترام كل صحابي أمر لازم

يجب احترام جميع الصحابة لأنهم صحبوا النبي ﷺ وساعدوه في تبليغ رسالة الإسلام. لا ينبغي أن نذكر أيا منهم بكلمات سيئة، وينبغي اعتبار الخلاف بينهم من باب الاجتهاد، ولا ينبغي تكرار نزاعاتهم ومشاجراتهم.

وهناك عدد من الصحابة الذين لهم قرابة من النبي ﷺ. سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما أبا زوجتيه، كما أن سيدنا عثمان وسيدنا علي رضي الله عنهما من أصهاره. فكما أن إهانة سيدنا علي رضي الله عنه لا تجوز، الإساءة لسيدنا عثمان غني رضي الله عنه أيضاً لا تحل. أما سيدنا عمر رضي الله عنه فله فضيلة أخرى وهي أنه صهر سيدنا علي رضي الله عنه والسيدة فاطمة رضي الله عنها لأنه تزوج ابنتهما السيدة أم كلثوم رضي الله عنها. فمَن أبشع ممن يسيء إليه وهو صهر السيدة فاطمة رضي الله عنها.

وأن السيدة عائشة ﵂ و السيدة سودة ﵂ من زوجات النبي ﷺ وأمهات المؤمنين. السيدة عائشة ﵂ كانت أحب الزوجات إلى النبي ﷺ وأنه لفظ أنفاسه الأخيرة في حجرها؛ كما أن السيدة خديجة ﵂ هي زوجة النبي ﷺ وأم المؤمنين ولا تحل أي ازدراء في حقها، بنفس الطريقة لا تحل في حق السيدة عائشة والسيدة سودة رضي الله عنهما لأنهما أيضاً من زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأمهات المؤمنين.

إذا أساء شخص ما لزوجتك فإنه يؤذيك، لذلك إذا أساء أحد لأي زوجة النبي ﷺ فإنه يؤذي النبي ﷺ؛ لذلك يجب التجنب عن أي كلمة سيئة عنهن.

حب الصحابة ﷺ جزءٌ من العقيدة

فيما يلي اقتباسان من كتاب العقيدة الطحاوية:

"وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 93، ص 20)

"وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ فَقَدَ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 96، ص 21)

لهذا يجب أن نحترم الصحابة والصحابيات وأن نحبهم جميعًا وأن لا نذكرهم إلا بخير.

ماذا يقول القرآن عن الصحابة رضي الله عنهم؟

هناك آيات كثيرة في القرآن عن الصحابة رضي الله عنهم نذكر بعضاً منها:

﴿1﴾ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة 9:100]

﴿2﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا [الفتح 48:18]

﴿3﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [البقرة 2:218]

﴿4﴾ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الحجرات 49:89]

في هذه الآية أن قلوبهم امتلأت بالإيمان؛ لذلك من أبشع شيء رمي أحد منهم بالكفر أو بالذنب.

قال الله تعالى:

﴿5﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ [آل عمران 3:155]

في هذه الآية أن الله ﷻ غفر خطأهم الذي وقعت في الحرب؛ لذلك لا يجوز إبراز أخطائهم والإساءة لهم.

﴿[6]﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ [الفتح 48:29]

هذه الآية تذكر كل الصحابة بالخير؛ لذلك لا ينبغي الإساءة لأحد منهم.

﴿[7]﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [التوبة 9:117]

﴿[8]﴾ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [الحديد 57:10]

في هذه الآية: إن الذين أنفقوا قبل فتح مكة هم أفضل وأعظم درجة من الذين أنفقوا فيما بعد. إن سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان ﷺ هم من السابقين الأولين الذين بذلوا كل جهدهم وأنفقوا أموالهم قبل فتح مكة، لذلك هم أكبر درجة ويجب احترامهم.

تذكر هذه الآيات الثمانية مزايا وفضائل الصحابة العظيمة. وهذه الآيات تنطبق على جميع الصحابة. لذلك لا ينبغي أن يساء معاملة أي منهم أو يذكر أحد منهم بكلمات بذيئة؛ هذا قد يعرض الإيمان للخطر. مثل هذا الموقف من الصحابة سيقضي على عظمة الصحابة من القلوب، وبالتالي يصبح المرء كسولًا للعمل وفقًا لتعاليم الإسلام التي نقلوها إلينا؛ لذلك لا بد أن تتشرب عظمة الصحابة في القلوب.

هذه الأحاديث تحرم سب الصحابة ﷺ

وقد حذّر النبي ﷺ بشدة من سب الصحابة ﷺ. لذلك يجب على المرء ألا يسب أي صحابي ولا يناديه بكلمات بذيئة، كما جاء في الأحاديث:

﴿1﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ . رضى الله عنه . قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ". (صحيح البخاري، كتاب فضائل النبى ﷺ، ص 617، رقم 3673؛ صحيح مسلم، باب تحريم سب الصحابة، ص 1113، رقم 6487/2540)

﴿2﴾ عن عطا قال قال رسول الله ﷺ: من سب أصحابي فعليه لعنة الله. (مصنف بن أبي شيبة، باب ذكر الكف عن أصحاب النبي ﷺ، ج 6، ص 405، رقم 32419)

وفي هذا الحديث المرسل أنه من يسيء إلى الصحابة يستحق لعنة الله.

﴿3﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ ." (مسند الإمام أحمد، باب حديث عبد الله بن مغفل المزني، ج 6، ص 42، رقم 20026)

أمر النبي ﷺ أتباعه بعدم الإساءة لأصحابه ﷺ.

﴿4﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ .... وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي". (الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، ص 600، رقم 2641؛ أبو داؤد، كتاب السنة، باب شرح السنة، ص 650، رقم 4597)

في هذا الحديث أن الأمة المسلمة ستتفرق إلى ثلاث وسبعين طائفة وكلهم سيذهبون إلى جهنم إلا الذي ستتبع خطى النبي ﷺ والصحابة ﷺ.

﴿5﴾ سمعت عمران بن حصين يقول قال رسول الله ﷺ خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم. (صحيح البخاري، باب فضائل أصحاب النبي و من صحب النبي أو رأه من المسلمين فهو من أصحابه، ص 612، رقم 3650)

في هذا الحديث أن الصحابة كانوا أفضل الأمة كلها، لذلك يجب عدم الإساءة لهم.

﴿6﴾ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لاَ تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِمًا رَآنِي أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي". (الترمذي، باب ما جاء في فضل من رآى النبي ﷺ و صحبه، ص 872، رقم 3858)

يجب تأويل مشاجرات الصحابة ﭫ بشكل أوفق

لا ينبغي إبراز مشاجرات الصحابة ﭫ، بل يجب شرحها بطريقة تقلل من حدتها وتظهر من تضامنهم ووحدتهم، كما جاء في الآيات التالية:

﴿9﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا [**الحجرات** 49:9]

﴿10﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [**الحجرات** 49:10]

تطلب هذه الآيات التوفيق والإصلاح بين اثنين إذا نشب النزاع؛ لذلك يجب النظر إلى مشاجرات الصحابة ﭫ على أنها خطأ اجتهادي ويجب أن نشرحها بطريقة تقلل من حدة الخلاف.

نصيحة الرسول ﷺ في مشاجرات الصحابة ﭫ

أُخبر النبي ﷺ من خلال الوحي بوقوع خلاف بين الصحابة ﭫ وأعطى بعض هذه المعلومات إلى سيدنا حذيفة ﭬ حافظ سر رسول الله ﷺ. أمر النبي ﷺ بشيئين في حالة الاختلاف بين الصحابة ﭫ:

الأول: التزام الخلفاء الراشدين

الثاني: التزام الصمت وعدم حمل السيف على أي منهم

وقد حث الحديث التالي على الالتزام بسنة الخلفاء الراشدين:

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ... فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ". (الترمذي، كتاب العلم، باب ماجاء في الأخذ بالسنة و اجتناب البدعة، ص 607، رقم 2676؛ ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ص 6، رقم 42)

يحدد هذا الحديث ثلاث نقاط مهمة:

(1) خاطب النبي ﷺ الصحابة عاطفياً جداً ووعظهم موعظة وداع، وعهد إليهم عهداً مهماً جداً.

(2) أخبر أنه ستكثر الخلافات بعده، وفي هذه الأحوال يجب التزام إلى الخلفاء الراشدين.

(3) وأخبر أن الخلفاء الراشدين سيكونون على الصراط المستقيم. فالذين يقبلون سيدنا علي ﷺ فقط ويتركون الخلفاء الثلاثة الآخرين فإنهم على خطأ واضح. وبالمثل، فإن جميع الخلفاء الأربعة مهتدون بالحق، لذا فإن الذين يعتبرون الخلفاء الثلاثة على الباطل يرتكبون خطاء فادحا.

يطلب الحديث التالي أختيار الصمت في حالة الخلاف بين الصحابة ﷺ:

"قال لي أهبان بن صيفي: قال لي رسول الله: يا أهبان، أما إنک إن بقيت بعدي فسترى في أصحابي اختلافا، فإن بقيت ألى ذلک اليوم فاجعل سيفک من عراجين، قال فجعلت سيفي من عراجين." (الطبرانی الكبير، مسند أهبان بن صيفي الغفاري،ج 1، ص 295، رقم 868)

لا ينبغي أن نناقش مشاجرات الصحابة ﷺ

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

"تلک دماء طهر الله أيدينا منها فلا نلوث ألسنتنا بها." (شرح الفقه الأكبر، بحث في أن المعاصي تضر مرتكبها خلافا لبعض الطوائف، ص 117)

ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

"وسئل أحمد عن أمر علي و عائشة رضي الله تعالى عنهما فقال: "تلک أمة قد خلت لها ما كسبت و لكم ما كسبتم و لا تسئلون عما كانوا يعملون." (شرح الفقه الأكبر، بحث في أن المعاصي تضر مرتكبها خلافا لبعض الطوائف، ص 117)

قال الإمامان إن الخلاف بين الصحابة ﷺ كان بسبب أخطاء اجتهادية؛ لذلك لا ينبغي أن ندخل أنوفنا فيها. فاتبعا كلا الإمامين الأحاديث المذكورة أعلاه وعلينا أن نفعل الشيء نفسه.

الصحابة العشرة رضي الله عنهم الذين بُشّروا بالجنة

هناك عشرة من الصحابة رضي الله عنهم الذين بشروا بالجنة في هذا العالم. والغريب أن بعض الناس يسيئون إلى سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وغيرهم رضي الله عنهم بالرغم من هذه الأحاديث:

﴿7﴾ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ." (الترمذي، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ص 851، رقم 3747)

هؤلاء هم العشرة من الصحابة رضي الله عنهم الذين بشروا بالجنة في هذا العالم نفسه. جعلنا الله أصحابا لهم في الجنة!

فهذه 10 آيات و 7 أحاديث بخصوص هذه العقيدة.

المبحث الثامن عشر

حب أهل البيت من الإيمان

سنقدم 7 آيات و 43 حديثاً بخصوص هذه العقيدة، والتفاصيل كما يلي:

يشمل أهل البيت جميع زوجاته ﷺ، والسيدة فاطمة، وسيدنا علي، وسيدنا حسن، وسيدنا حسين (رضي الله عنهم أجمعين)، وكلهم من أهل البيت.

ولكنه من الخطأ الإساءة لأي صحابي تحت غطاء حب أهل البيت، ولا سيما الإساءة للسيدة عائشة وسيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان (رضي الله عنهم أجمعين) لا يجوز بأي حال من الأحوال.

ثم إن الخلاف بينهم كان بسبب أخطاء اجتهادية، يغفر الله لهم.

وسيدنا علي رضي الله عنه وسيدنا حسين رضي الله عنه لهما مزايا وفضائل عظيمة، لكن لا يجوز تسميتهما بـ"مشكل كُشا" (محلل المشاكل)، لأنه لا يجوز الاستعانة بغير الله.

أراد النبي ﷺ ألا يعين لنفسه خليفة، بل ترك الأمر على الصحابة أن يعينوا الخليفة باختيارهم. لكن النبي ﷺ أحب أن يكون أبو بكر رضي الله عنه خليفة له، كما سترى بالتفصيل.

من هم من أهل البيت؟

يشمل أهل البيت جميع زوجات الرسول ﷺ، أحقهن السيدة خديجة ﵂ لأنها أم السيدة فاطمة ﵂. وبالمثل، فإن الزوجات الأخريات مثل السيدة عائشة ﵂ والسيدة حفصة ﵂ وغيرهن من الزوجات يدخلن في أهل البيت. كلهن يشملن نفس مستوى الطهارة المذكورة في آية القرآن: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

وفي وقت لاحق، ضم النبي ﷺ السيدة فاطمة ﵂ وسيدنا علي وسيدنا حسن وسيدنا حسين (﵃ أجمعين) من بين أهل البيت. وهكذا، فقد حققوا الفضيلة المذكورة في الآية 33:33.

قد أخرج بعض الناس السيدة عائشة والسيدة حفصة (رضي الله عنهما) ظلماً من أهل البيت وجوّزوا الإساءة لهما، واعتبروا بعض أهل البيت مثل سيدنا علي ﵁ أعلى مرتبة حتى من الأنبياء.

فالموقف الصحيح أن أهل البيت يشمل جميع زوجات الرسول ﷺ، والسيدة فاطمة، وسيدنا علي، وسيدنا حسن، وسيدنا حسين (﵃ أجمعين) وهم متساوون في كونهم عضواً من أهل البيت.

أهل البيت يشمل الزوجات كما يقول القرآن الكريم:

﴿1﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۞ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۞ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا [الأحزاب 33:3234]

تفكر في الآية إنها أولاً خاطبت زوجات الرسول ﷺ بهذه الكلمات: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾، ثم ذكرت فضل طهارة أهل البيت، ثم خاطبت زوجاته مرة أخرى في آخر الآية التالية، فتبين أن الزوجات من أهل البيت. ثم ضم النبي ﷺ إلى أهل البيت السيدة فاطمة رضي الله عنها وسيدنا علي رضي الله عنه.

نكتة: جاء صيغة جمع مذكر في الآية: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ لأن النبي ﷺ على رأس أهل البيت؛ لذلك ذكر صيغة جمع مذكر لعظمته وتغليباً له.

فقد جاء في الحديث أن زوجات الرسول (ﷺ) يدخلن في أهل البيت:

﴿1﴾ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "أنزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (33:33) ... قلت وأنا معكم يا رسول الله؟ قال وأنت معنا." (الطبراني الكبير، مسند أم حبيبة بنت كيسان عن أم سلمة، ج 23 ، ص 357، رقم 839)

في هذا الحديث يصرح بأن السيدة أم سلمة رضي الله عنها سألت النبي ﷺ هل تدخل الزوجات في أهل البيت، فأجاب النبي ﷺ بالإثبات.

وفي حديث آخر:

﴿2﴾ عَنْ أَنَسٍ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ ... فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَقَالَ: "السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ". فَقَالَتْ وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ. (صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام (53) ص 843، رقم 4793)

هذا الحديث يسمي جميع الزوجات بأهل البيت، ويوضح أن الزوجات يدخلن في أهل البيت، وطبعاً السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما تدخلان في أهل البيت.

وفي حديث آخر:

﴿3﴾ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ، قَالَ انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ ... إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ... ثُمَّ قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ... ثُمَّ قَالَ " وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي " . فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ ." (صحيح مسلم، باب فضل علي بن طالب، ص 1061، رقم 6225/2408)

وتتضح من هذه الأحاديث أن زوجات النبي (ﷺ) من أهل البيت، ولذلك ثبت لهن فضل الطهارة المذكورة في الآية.

كلمة "الأهل" تعني "الزوجة" كما في القرآن عن النبي موسى عليه السلام:

﴿2﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا [طه 20:10]

كلمة الأهل تعني السيدة صفورة زوجة النبي موسى عليه السلام. وهكذا فإن أهل البيت سيشمل جميع زوجات الرسول ﷺ.

أدخل النبي ﷺ آل السيدة فاطمة في أهل البيت

يشير سياق الآية إلى أن الزوجات المطهرات قد دخلن بالفعل في أهل البيت، ثم ضم النبي ﷺ السيدة فاطمة وسيدنا علي وسيدنا حسن وسيدنا حسين (رضي الله عنهم جميعًا) بين أهل البيت وهكذا أصبحوا جزءًا من أهل البيت بشكل دائم، كما جا في الحديث:

﴿4﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (33:33) (صحيح مسلم، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، ص 1067، رقم 6261/2424؛ الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أهل البيت، ص 859، رقم 3787)

تعني كلمة "أهل البيت" الزوجات بشكل عام، وعادة لا تشمل الابنة المتزوجة وزوجها وأولادها، خاصة عندما يعيشون منفصلين في منزل آخر. لذلك غطاهم الرسول ﷺ تحت ملاءته وضمهم إلى أهل البيت مع الزوجات. لذلك، فكما أن الزوجات المطهرات يشملن فضيلة الطهارة المذكورة في الآية،

إن آل فاطمة ﵃ أيضًا يشترك في نفس الفضيلة. فليس من الصواب تقليصها إلى درجة أقل، وليس من الصواب زيادة أي شخص آخر إليها.

فمثلاً لم تكن المدينة المنورة تحمل فضل الحرم مثل مكة، فحرمها النبي ﷺ وأعطاها هذه الفضيلة. وبنفس الطريقة السيدة فاطمة وسيدنا علي وسيدنا حسن وسيدنا حسين ﵃ جميعًا لم يدخلوا في أهل البيت ولكن النبي ﷺ ضمهم إلى أهل البيت بأمر الله وجعلهم يتمتعون بفضيلة الطهارة حسب الآية 33:33.

والحديث الذي جعل النبي ﷺ المدينة المنورة حرماً كما يلي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ "حُرِّمَ مَا بَيْنَ لاَبَتَىِ الْمَدِينَةِ عَلَى لِسَانِي". (البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، ص 301، رقم 1869؛ أبو داؤد، كتاب المناسک، باب في تحريم المدينة، ص 295، رقم 2037)

جاء في هذا الحديث أن الرسول ﷺ جعل المدينة المنورة حرماً، وكذلك ضم السيدة فاطمة وسيدنا علي وسيدنا حسن وسيدنا حسين (﵃ جميعًا) إلى أهل البيت، إذ لم يكونوا مدرجين في السابق وقد فعل النبي ﷺ ذلك بأمر الله تعالى.

حب أهل البيت من الإيمان

يمكننا أن نفهم أهمية أهل البيت في أن نصلي الصلوات المكتوبة خمس مرات في اليوم ونقرأ فيها الصلاة على النبي ﷺ وكذلك على آله. وهذا يبلور المكانة

الرفيعة لأهل البيت. وبالمثل، كلما قرأنا الصلاة على النبي ﷺ، نصلي على آله، وسيستمر هذا حتى القيامة.

صيغة الصلاة والسلام التي نقرأ في الصلاة على النحو التالي:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ

إن النبي ﷺ، أثناء عودته من حج الوداع، في مقام غدير خم حذّر ثلاث مرات عن أهل بيته وحث على احترامهم.

ولكن من المؤسف أن الخوارج أساءوا إلى سيدنا علي رضي الله عنه، بينما استشهد الآخرون سيدنا حسين رضي الله عنه، وأساء البعض إلى السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما. ولما كان قد علم النبي ﷺ بهذه الأمور التي ستحدث في المستقبل، فقد شدد على احترام أهل البيت ثلاث مرات، كما جاء في الحديث:

﴿5﴾ يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ قَالَ انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ... قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي

أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ. (مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن طالب، ص 1061، رقم 6225/2408)

في هذا الحديث، سأل النبي ﷺ المسلمين أن يعاملوا أهل بيته باحترام ومحبة.

وجاء في حديث آخر:

﴿6﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَخْطُبُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي". (الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أهل البيت، ص 859، رقم 3786؛ مسند أحمد،حديث زيد بن ثابت، ج 6، ص 232، رقم 21068)

ويثني أن المسلمين لن يضلوا إذا استمروا في التمسك بالقرآن وأهل البيت.

وفي حديث آخر:

﴿7﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي". (الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أهل البيت، ص 859، رقم 3789)

يؤكد هذا الحديث أيضاً على حب أهل البيت.

فضائل السيدة فاطمة رضي الله عنها

إن السيدة فاطمة ﵂ هي ابنة الرسول ﷺ الحبيبة وسيدة نساء أهل الجنة. إن أهل السنة والجماعة يحبونها ويحترمونها. إنهم يعتبرون حبها جزءًا من الإيمان، ولكنهم لا يتجاوزون الحدود. إليك بعض فضائلها:

﴿8﴾ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ـ رضى الله عنهما ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي". (البخاري، باب منقبة فاطمة عليها السلام، ص 626، رقم 3714)

﴿9﴾ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً ... فَقَالَ "يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَىْ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ". قَالَتْ فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ". (صحيح مسلم، باب فضائل فاطمة ﵂، ص 1078، رقم 6313/2450)

وهذه الأحاديث تؤكد أن السيدة فاطمة ﵂ هي سيدة النساء في الجنة، و كانت أحب الناس إلى النبي ﷺ.

لماذا لم يُعطَ الإرث للسيدة فاطمة رضي الله عنها؟

لم يعط سيدنا أبو بكر ﵁ تركة النبي ﷺ بعد وفاته للسيدة فاطمة ﵂؛ لأن مال النبي لا يوزع على ورثته، حتى أن سيدنا علي ﵁ وافق أن تركة النبي لا توزع؛ وإلا لورثت السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما أيضاً

لكونهن زوجات النبي ﷺ؛ لذلك لا مجال لاتهام سيدنا أبي بكر رضي الله عنه في هذا الأمر. وهذه بعض الأحاديث:

﴿10﴾ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ فَاطِمَةَ ـ عَلَيْهَا السَّلاَمُ ـ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكٍ وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهْوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ ـ يَعْنِي مَالَ اللَّهِ ـ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكَلِ ". وَإِنِّي وَاللَّهِ لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ، ثُمَّ قَالَ إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ. وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَقَّهُمْ. فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي. (صحيح البخاري، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام ، ص 626، رقم 3711)

في هذا الحديث أن تركة النبي ﷺ لم تقسم، كما أكدها سيدنا علي رضي الله عنه. ومن الورثة السيدة فاطمة رضي الله عنها ابنته والسيدة عائشة رضي الله عنها زوجته، لكن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه لم يقسم بينهم ولا أعطى لأحد منه حتى ابنته عائشة رضي الله عنها.

إن الذين يعترضون على هذا لا يثيرون إلا مسألة السيدة فاطمة رضي الله عنها، ولكنهم لا يثيرون مسألة السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما.

﴿11﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " لاَ يَقْتَسِمْ وَرَثَتِي دِينَارًا، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَئُونَةِ عَامِلِي فَهْوَ صَدَقَةٌ ". (صحيح

البخاري، كتاب الوصاية، باب نفقة القيم للوقف، ص 459، رقم 2776؛ صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، ص 717، رقم 4227/1634)

فقد جاء في هذا الحديث أن كل ما تركه النبي ﷺ لا يقسم على الورثة، بل يصرف كل شيء صدقة للأمة. لذلك وصف هذه القضية بالظلم مع السيدة فاطمة رضي الله عنها خطأ فادح.

﴿12﴾ عن قَيْسِ بْنِ كَثِيرٍ... إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ (الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ص 609، رقم 2682؛ ابن ماجة، مقدمة، باب فضل العلماء و الحث على طلب العلم، ص 34، رقم 223)

جاء في هذا الحديث أن ما تركه الرسول ﷺ بعد وفاته لا يقسم؛ لذلك لم يقسمها سيدنا أبو بكر رضي الله عنه على الورثة.

عهد سيدنا أبو بكر رضي الله عنه بإعطاء الهبات لأهل البيت

رغم أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه لم يوزع الميراث على ورثة الرسول ﷺ لأنه لا يمكن توزيعها حسب الحديث، لكنه وعد بأن يعطي آل بيت النبي ﷺ أكثر من عائلته؛ لذلك قال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه:

﴿13﴾ عن أبي بكر رضي الله عنه موقوفًا عليه أنه قال: "ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته." (البخاري، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام، ص 626، رقم 3713)

قال سيدنا أبو بكر ﷺ أنه سيقدم كل الرعاية اللازمة لآل النبي ﷺ وسأل الناس أن يهتموا بهم أيضًا.

سيدنا علي ﷺ وسيدنا أبو بكر ﷺ في أمر الخلافة

يبالغ الناس في بيان الاختلاف بين سيدنا أبي بكر وسيدنا علي رضي الله عنهما ويستمرون في إثارة الشقاق بين المسلمين، في حين أن سيدنا علي رضي الله عنه بايع على يد سيدنا أبي بكر ﷺ وعانقا وهذا قد تسبب في ارتياح كبير وسعادة للمسلمين، كما في الحديث:

﴿14﴾ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ ... "اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ وُجُوهَ النَّاسِ، فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ يُبَايِعُ تِلْكَ الأَشْهُرَ ... فَقَالَ عَلِيٌّ لأَبِي بَكْرٍ مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةُ لِلْبَيْعَةِ. فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الظُّهْرَ رَقِيَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَتَشَهَّدَ وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ، وَتَخَلُّفَهُ عَنِ الْبَيْعَةِ، وَعُذْرَهُ بِالَّذِي اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ، وَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ، وَحَدَّثَ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلاَ إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ، وَلَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيبًا، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا، فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا أَصَبْتَ. وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا، حِينَ رَاجَعَ الأَمْرَ الْمَعْرُوفَ." (البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ص 719، رقم 4240)

وفي هذا الحديث أن سيدنا علي ﷺ وصف عظمة سيدنا أبي بكر ﷺ وفضائله وبايع على يده. ولكن من المؤسف أن بعض الناس أثاروا هذا الأمر لاحقًا وقسموا المسلمين إلى جماعتين.

يصرح كتب جميع المذاهب أن سيدنا عليا ﵁ لم يطرح أي مطالبة بالخلافة في عهد الخلفاء الثلاثة ولم يعبر عن رغبته، بل كان يتعاون مع جميع الخلفاء بإخلاص كامل، ومازال يقدم لهم المشورة من أجل الحفاظ على اتحاد وتضامن المسلمين.

يا ليتنا كنا متحدين أيضًا على خطى سيدنا علي ﵁، لكن للأسف انقسمنا إلى مجموعات وفقدنا وحدتنا.

فضائل أمير المؤمنين علي ﵁

إن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب ﵁ هو خليفة المسملمين الرابع. وهو من أهل بيت النبي ﷺ. وكان يمتلك الكثير من الفضائل، وكان تقياً وشجاعًا جدًا، وكان رأس العلم والعلماء. قد رافق النبي ﷺ طوال حياته. لقد آذته طائفة الخوارج، واستشهد أخيرًا على يد أحدهم.

وقد وردت فضائله ومناقبه في عدة أحاديث نذكر بعضها هنا:

﴿15﴾ قَالَ النَّبِيَّ ﷺ لِعَلِيّ "أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ". (صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن طالب، ص 624، رقم 3701)

﴿16﴾ عَنْ سَعْدٍ، قَالَ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ: "أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى". (البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب مناقب علي بن طالب، ص 625، رقم 3706)

﴿17﴾ عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: أنامدينة العلم و علي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب. (المستدرک للحاكم، باب و أما قصة اعتزال محمد بن مسلمة، ج 3 ، ص 137، رقم 4637؛ الطبرانی الكبير، باب مجاهد عن ابن عباس، ج 11، ص 65، رقم 11061)

في هذه الأحاديث أن سيدنا علي رضي الله عنه كان على أعلى درجة العلم.

المبالغة في سيدنا علي رضي الله عنه خطيرة

قال سيدنا علي رضي الله عنه أنه يهلك في نفسي نوعان من الناس؛ واحد بسبب حبي المفرط أنهم سيعطونني الأفضلية على النبي والثاني بسبب العداوة المفرطة وهؤلاء هم الخوارج.

وروي عن سيدنا علي رضي الله عنه:

﴿18﴾ عن أبي حبوة قال سمعت عليا يقول: "يهلک في رجلان: مفرط في حبي، و مفرط في بغضي." (مصنف ابن أبي شيبة، ج 6 ،كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب، ص 377، رقم 32134/32125)

﴿19﴾ عن أبي سوار العدوي قال: قال على: "ليحبني قوم حتى يدخل النار في حبي، و ليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي." (مصنف ابن أبي شيبة، ج 6 ،كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب، ص 377، رقم 32133/32124)

وهذه حقيقة شاخصة أن بعض الناس تجاوزوا الحد في حب سيدنا علي ﷺ، وبعضهم تجاوزوا الحد في بغضه. وأهل السنة والجماعة يسلكون الطريق الوسط، إنهم يحبون سيدنا عليا ﷺ من صميم قلوبهم، لكنهم لا يتجاوزون الحدود ولا يفضِّلونه على الأنبياء، وليس لديهم ذرة من الكراهية والبغض تجاهه كرّم الله وجهه.

سيدنا علي ﷺ ولي المؤمنين

وقد حاول بعض الناس أن يثبتوا من الحديث التالي أن سيدنا علي ﷺ ولي و"مشكل كشا" (مزيل المشاكل)، ولكن الجزء التالي من الحديث (اللهم عاد من عاداه) ينفى هذا الادعاء، لأن كلمة الولي هنا تعني "الصديق" و "الحبيب"، وليست بمعنى "مشكل كشا" (مزيل المشاكل). لمزيد من التفاصيل انظر المبحث في هذا الكتاب تحت عنوان: الاستعانة بغير الله.

وكذلك حاول بعض الناس أن يثبتوا من الحديث التالي أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلن بخلافة علي ﷺ بعده، لكن هذا أيضًا غير صحيح؛ لأن الولي يعني الصديق والحبيب يعني أن سيدنا علي ﷺ حبيب لكل مؤمن.

والحديث هو هذا:

﴿20﴾ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي حَجَّتِهِ الَّتِي حَجَّ فَنَزَلَ فِي الطَّرِيقِ فَأَمَرَ الصَّلاَةَ جَامِعَةً فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ " أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ " . قَالُوا بَلَى . قَالَ " أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ " . قَالُوا بَلَى . قَالَ " فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلاَهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ اللَّهُمَّ

عَادِ مَنْ عَادَاهُ ". (ابن ماجة، فضل علي بن طالب ﵁، ص 19، رقم 116)

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة "ولي" تعني "ناصر" أيضًا، ولكنها هنا تعني "الصديق". فالولي لا يعني "المعين" ولا "الخليفة الأول" كما يتضح من كلام النبي ﷺ.

إليكم آية قرآنية استخدمت فيها كلمة "مولى" بمعنى "الصديق المقرب":

﴿3﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ [الدخان 44:41]

في ضوء هذه الآية من الصحيح تماما أن كلمة الولي هي "قريب" و "الحبيب".

فضائل أمير المؤمنين سيدنا حسن ﵁ وسيدنا حسين ﵁

إن سيدنا حسن وسيدنا حسين رضي الله عنهما من أهل البيت وهما سيدا شباب أهل الجنة وأميرا المؤمنين، لكنهما استشهدا على يد الشاميين، وقد تسبب هذا الحادث في خلافات شرسة بين المسلمين. يا ليت أن تتصالح المجموعات المختلفة وأن تتحد وتنجو الدول العربية من الخلافات.

وتجدر الإشارة إلى أن أهل السنة والجماعة لهم موقف مشابه لموقف أهل المدينة. لم يشاركوا في استشهاد سيدنا حسين ﵁ وسيدنا علي ﵁ ولم يكونوا متواجدين في كربلا، ولم يوافقوا على ذلك، بل يندون على هذا الظلم العظيم عليهما؛ لذلك ليس من العدل ملامة واتهام أهل السنة في هذا الأمر.

فقد ورد ذكر فضائلهما في عدة أحاديث:

﴿21﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ: "مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي." (ابن ماجة، باب فضل الحسن و الحسين ابني علي بن أبي طالب ﵁ ، ص 22، رقم 143)

﴿22﴾ عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه و الحسن و يقول اللهم إني أحبهما فاحبهما. (البخاري، باب مناقب الحسن و الحسين رضي الله عنهما، ص 631، رقم 3747؛ صحيح مسلم، باب من فضائل الحسن و الحسين رضي الله عنهما، ص 107، رقم 6256/2421)

﴿23﴾ عَنْ أَبِي مُوسَى ... رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهْوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ " إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ". (البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبى ﷺ للحسن بن على ﵁، ص 442، رقم 2704)

فصالح سيدنا حسن ﵁ بين جماعتين متحاربتين.

﴿24﴾ عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: "الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة و أبوهما خير منهما." (ابن ماجة، باب فضل علي بن طالب، ص 19، رقم 118)

﴿25﴾ عن زيد بن الأرقم قال: قال رسول الله ﷺ لعلي و فاطمة و الحسن و الحسين: "أنا سلم من سالمتم و حرب لمن حاربتم." (ابن ماجة، باب فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب قضي الله عنهم، ص 22، رقم 145)

من الواضح أن أهل السنة والجماعة لن يعادون سيدنا علي والسيدة فاطمة وسيدنا حسن وسيدنا حسين ﷺ أجمعين، بل يحبونهم ويحترمونهم احتراماً بالغاً.

فضائل السيدة خديجة رضي الله عنها

لو كانت السيدة خديجة أم المؤمنين على قيد الحياة لكانت من أهل البيت، وحصلت على فضل التطهير المذكور في الآية، لأنها كانت زوجة الرسول (ﷺ). نزلت آية التطهير بعد وفاتها:

﴿3﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا [الأحزاب 33:33]

ولو كانت على قيد الحياة عند نزول هذه الآية، لكانت هي أيضا من أهل البيت. ومع ذلك، فهي أم المؤمنين. فقد جاء في الحديث:

﴿26﴾ سمعت علي بن طالب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: "خير نسائها خديجة بنت خويلد، و خير نسائها مريم بنت عمران." (الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل خديجة قضي الله عنها، ص 875، رقم 3877)

السيدة خديجة ﷺ قدمت دعمها للنبي ﷺ في الأيام الأولى للإسلام وكانت مصدر عزاء وتسلية له. جزاها الله خير أجرها، آمين يا رب العالمين!

فضائل السيدة عائشة رضي الله عنها

إن السيدة عائشة ﵂ هي أيضا من أهل البيت وهي أيضا تستحق الاحترام مثل غيرها من أعضاء أهل البيت. ثم إنها زوجة الرسول (ﷺ) الحبيبة وأم المؤمنين. لذلك لا يجوز أدنى إساءة إليها بأي حال من الأحوال.

هل يتسامح أي شخص مع إهانة زوجته؟ هل يجوز الإساءة إلى زوجة النبي (ﷺ) في حب ابنته وصهره. لو كان النبي ﷺ حيا هل سمح بهذه الإهانة؟

وأما الخلاف بين السيدة عائشة ﵂ وسيدنا علي ﵁، فكان خطأ اجتهاديًا، ويجب تجاهله من أجل توحيد الأمة.

نزلت هذه الآيات عن السيدة عائشة ﵂:

﴿4﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ [النور24:11]

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [النور24:23]

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [النور24:26]

بقيت السيدة عائشة ﵂ خلف القافلة في غزوة بني المصطلق، وانضمت إلى القافلة باسترشاد سيدنا صفوان بن معطل ﵁. وبسبب ذلك اتهمه عبد الله بن أبي بن سلول. ثم أنزل الله ﷻ الآيات السابقة التي أكد فيها براءة السيدة عائشة ﵂. لذلك، اتهامها بمثل هذا العمل البغيض ظلم كبير ومناقضة الآية القرآنية.

وجاء في الحديث:

﴿27﴾ عَنْ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ " أَيْنَ أَنَا غَدًا أَيْنَ أَنَا غَدًا ". يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا. قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللَّهُ، وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي. (البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي و وفاته، ص 756 ، رقم 4450)

كانت السيدة عائشة ﵂ أحب الزوجات إلى النبي ﷺ لدرجة أنه كان ينتظر نوبتها ليقضي معها الليل. قضى النبي ﷺ آخر لمحاته في بيتها وأخذ أنفاسه الأخيرة في حجرها.

و في حديث آخر:

﴿28﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ". (البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة ﵂، ص 633، رقم 3770)

تصف هذه الأحاديث فضائل السيدة عائشة ﵂ ومناقبها.

فضائل سيدنا أبو بكر رضي الله عنه

إن أمير المؤمنين سيدنا أبو بكر ﵁ صاحَبَ النبيَّ ﷺ طوال حياته وقدم له كل دعمه ونصرته. وقدم خدمات جليلة للإسلام. وبسبب حكمته

وشجاعته، نجت الأمة من الانقسام بعد وفاة النبي ﷺ؛ وإلا أن المسلمين قد واجهوا وضعاً مشابهاً لما حدث في الفترة الأخيرة من عهد سيدنا علي رضي الله عنه.

فضائل سيدنا أبو بكر رضي الله عنه هي كما يلي:

﴿5﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة 9:40]

نزلت هذه الآية عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه وهو يصاحب النبي ﷺ في غار ثور.

كما ورد في الحديث:

﴿29﴾ عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ ـ رضى الله عنه ـ مِنْ عَازِبٍ رَحْلاً بِثَلاَثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ مُرِ الْبَرَاءَ فَلْيَحْمِلْ إِلَىَّ رَحْلِي. فَقَالَ عَازِبٌ لاَ حَتَّى تُحَدِّثَنَا كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ قَالَ ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا أَوْ سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلٍّ فَآوِيَ إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بَقِيَّةَ ظِلٍّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي، هَلْ أَرَى مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلاَمُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُ فَعَرَفْتُهُ. فَقُلْتُ هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ قَالَ نَعَمْ. قُلْتُ فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَبَنًا قَالَ نَعَمْ. فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ هَكَذَا ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالأُخْرَى فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ،

فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ ثُمَّ قُلْتُ قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ " بَلَى ". فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ. فَقُلْتُ هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ " لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا". (البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب مناقب المهاجرين و فضلهم، ص 613، رقم 3653/3652)

لقد وثق النبي ﷺ أبا بكر فاختاره رفيقًا له خلال رحلته الحرجة للهجرة إلى المدينة المنورة. وقد أنجز أبو بكر هذه المهمة على أكمل وجه ووصلا إلى المدينة المنورة بأمان وسلام.

هناك آية أخرى:

﴿6﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم

[**النور**24:22]

وكان سيدنا مسطح بن أثاثة ﷺ ابن عم سيدنا أبي بكر ﷺ، كان سيدنا أبو بكر ﷺ يساعده بالمال. ولكنه لما خاض في اتهام السيدة عائشة ﷺ عن غير قصد، فحلف أبو بكر ﷺ بالله أنه لن يساعده في المستقبل. وعلى هذا نزلت الآية المذكورة. ثم حنث سيدنا أبو بكر ﷺ وواصل مساعدته المالية. وهذه من فضائل سيدنا أبي بكر ﷺ التي نزلت فيه هذه الآيات.

﴿30﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضى الله عنهما ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ، أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي". (صحيح البخاري، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا، 614، رقم 3656)

﴿31﴾ عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: "اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر و عمر." (سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر و عمر، ص 834، رقم 3662)

﴿32﴾ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ قُلْتُ لأَبِي أَىُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو بَكْرٍ . قَالَ قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ عُمَرُ . قَالَ ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ أَقُولَ ثُمَّ مَنْ فَيَقُولَ عُثْمَانُ فَقُلْتُ ثُمَّ أَنْتَ يَا أَبَةِ قَالَ مَا أَنَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. (صحيح البخاري، فضائل أصحاب النبي ﷺ، ص 616، رقم 3671؛ أبو داؤد، باب التفضيل، ص 654، رقم 4629)

وفي هذه الرواية أكد سيدنا علي ﷺ بفضائل سيدنا أبي بكر ﷺ، ثم كيف ينكرها الآخرون؟

﴿33﴾ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ: "كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضى الله عنهم." (صحيح البخاري، فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، ص 614، رقم 3655)

﴿34﴾ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ كُنَّا نَقُولُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ تَفَاضُلَ بَيْنَهُمْ .

(صحيح البخاري، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمر القرشي، ص 622 ، رقم 3698؛ أبو داؤد، باب التفضيل، ص 654، رقم 4628)

هذه الأحاديث تقول أن سيدنا أبا بكر ﵁ وسيدنا عمر ﵁ وسيدنا عثمان ﵁ وسيدنا علي ﵁ كانوا يعتبرون محترمين على التوالي، واختارتهم الأمة خلفاء النبي ﷺ بذلك الترتيب، فلم يرتكبوا أي خطأ ولم يتعدوا على حقوق أحد.

سيدنا أبو بكر ﵁ كان أفضل الصحابة

﴿35﴾ فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ... فَقَالَ عُمَرُ بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ." (صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، ص 616، رقم 3668)

وفي هذا الأثر قال سيدنا عمر ﵁: سيدنا أبي بكر ﵁ أفضل منا وأقرب إلى النبي ﷺ. لذلك اختاروه خليفة له بعد وفاته ﷺ.

سيدنا أبو بكر ﵁ صلّى جنازة السيدة فاطمة رضي الله عنها

وقد ورد في حديث ضعيف السند أن سيدنا عليّاً ﵁ طلب من سيدنا أبي بكر ﵁ أن يؤم صلاة جنازة السيدة فاطمة ﵂. وهذا يثبت فضل سيدنا أبو بكر ﵁ أن سيدنا علي ﵁ طلب منه أن يؤم صلاة جنازة السيدة فاطمة ﵂. كما ورد في رواية البيهقي:

﴿36﴾ عن الشعبي أن فاطمة لما ماتت دفنها على ليلا و أخذ بضبعي أبي بكر الصديق فقدمه يعني في الصلاة عليها. (البيهقي،كتاب الجنائز، باب من قال الوالي أحق بالصلاة على الميت من الولى، ج 4، ص 46، رقم 6896)

سيدنا أبو بكر ﷺ وسيدنا عمر ﷺ والدا زوجتي النبي ﷺ

لقد كان سيدنا أبو بكر ﷺ وسيدنا عمر ﷺ والدا زوجتي النبي ﷺ حيث تزوجا بنتهما من النبي ﷺ؛ لذلك لا يجوز لأحد أن يسيء إليهم، فمن سيتسامح مع رجل يسيء إلى والد زوجته؟

لقد أمن المسلمون الانقسام والفوضى بسبب قيادتهم الحكيمة ولو كان حكمهم خاليا من الحكمة والسلطة لحدثت الاضطرابات في عهد سيدنا أبي بكر ﷺ مثل ما حدثت في أواخر عهد سيدنا علي ﷺ.

فضائل أمير المؤمنين سيدنا عمر ﷺ

أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ له مناقب وفضائل في الحديث، منها:

﴿37﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ ".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ

". (البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ص 620، رقم 3689)

وهناك بعض الفضائل التي وردت في الأحاديث المذكورة تحت عنوان "فضائل سيدنا أبي بكر رضي الله عنه".

سيدنا عمر رضي الله عنه هو صهر سيدنا علي رضي الله عنه

ومن فضائل سيدنا عمر رضي الله عنه أنه تزوج السيدة أم كلثوم رضي الله عنها بنت سيدنا علي رضي الله عنه والسيدة فاطمة رضي الله عنها في 17 من الهجرة. لذلك لا مساغ للإساءة إليه لأن علياً رضي الله عنه اختاره صهرًا له.

فقد جاء في الحديث:

﴿38﴾ قَالَ ثَعْلَبَةُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ـ رضى الله عنه ـ قَسَمَ مُرُوطًا بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ الْمَدِينَةِ، فَبَقِيَ مِرْطٌ جَيِّدٌ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْطِ هَذَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي عِنْدَكَ. يُرِيدُونَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عَلِيٍّ. فَقَالَ عُمَرُ أُمُّ سَلِيطٍ أَحَقُّ. (صحيح البخاري، كتاب الجهاد و السير، باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو، ص 476، رقم 2881)

في هذا الحديث أن السيدة أم كلثوم رضي الله عنها كانت زوجته.

وفي حديث آخر:

﴿39﴾ قَالَ أَنْبَأَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ سَمِعْتُ نَافِعًا ... وَوُضِعَتْ جَنَازَةُ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عَلِيٍّ امْرَأَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَابْنٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ وُضِعَا جَمِيعًا وَالإِمَامُ

يَوْمَئِذٍ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ. (سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب اجتماع جنائز الرجال و النساء، ص 278، رقم 1980)

فقد ورد في هذا الرواية أن السيدة أم كلثوم ﵂ كانت زوجة سيدنا عمر ﵁.

عندما اختار سيدنا علي ﵁ سيّدَنا عمر ﵁ صهرًا له، فلا داعي لأن نصرخ ونبكي، وبالتالي لا ينبغي أن نتشاجر مع بعضنا ونفرق بين المسلمين.

فضائل أمير المؤمنين سيدنا عثمان ﵁

أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان ﵁ له مناقب وفضائل في الحديث، منها:

﴿40﴾ أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ ... ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ " أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ ". (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، ص 1056، رقم 6209/2401)

﴿41﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ قَالَ " لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَرَفِيقِي فِيهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ". (ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب فضل عثمان ﵁، ص 17، رقم 109)

﴿42﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ لَقِيَ عُثْمَانَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ "يَا عُثْمَانُ هَذَا جِبْرِيلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ قَدْ زَوَّجَكَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِمِثْلِ صَدَاقِ رُقَيَّةَ عَلَى مِثْلِ صُحْبَتِهَا ". (ابن ماجة، كتاب المقدمة، ﵁، ص 18، رقم 110)

تزوج النبي ﷺ ابنتيه من سيدنا عثمان رضي الله عنه

كان النبي ﷺ يحب سيدنا عثمان رضي الله عنه حتى تزوج منه ابنتيه واحدة تلو الأخرى، كما جاء في الحديث:

﴿43﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرِ ابْنَتِهِ الثَّانِيَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ، فَقَالَ: أَلَا أَبَا أَيِّمٍ أَلا أَخَا أَيِّمٍ تَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ، فَلَوْ كُنَّ عَشْرًا لَزَوَّجْتُهُنَّ عُثْمَانَ وَمَا زَوَّجْتُهُ إِلا بِوَحْيٍ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ عُثْمَانَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ:يَا عُثْمَانُ، هَذَا جِبْرِيلُ يُخْبِرُنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ زَوَّجَكَ أُمَّ كُلْثُومٍ عَلَى مِثْلِ صَدَاقِ رُقْيَةَ وَعَلَى مِثْلِ صُحْبَتِهَا. (المعجم الكبير للطبراني مسند أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، ج 22، ص 436،رقم 1063)

يذكر هذا الحديث ثلاث نقاط رئيسية:

(1) نكاح السيدة أم كلثوم رضي الله عنها من سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(2) مدى قرب سيدنا عثمان رضي الله عنه من النبي ﷺ حيث أنه قال: لو كان لي عشر بنات، أحببت أن أتزوجهن واحدة تلو الأخرى بعثمان.

(3) سيدنا عثمان رضي الله عنه كان حسن السلوك مع زوجته السيدة رقية رضي الله عنها، لذلك قال النبي ﷺ أنه تزوج معه السيدة أم كلثوم رضي الله عنها على أمل أن يعامل معها مثل السيدة رقية رضي الله عنها.

أذكر هذه النقطة مع التركيز بشكل خاص؛ لأن البعض يتهم سيدنا عثمان بإساءة معاملة بنات الرسول (ﷺ). لا سمح الله لو كان الأمر كذلك، فلماذا يزوج النبي ﷺ ابنته الثانية معه، ولماذا قال: "فَلَوْ كُنَّ عَشْرًا لَزَوَّجْتُهُنَّ عُثْمَانَ". فهذه لوم واتهام لا أساس له ولا بد من اجتنابها.

يجب أن نحب جميع أقرباء النبي ﷺ

يجب أن نحب ونحترم جميع أقارب النبي (ﷺ) الذين ماتوا على الإسلام، كما جاء في الآية التالية؛ فهذا من الإيمان ولا يصح استثناء أحد منهم. يقول القرآن:

﴿[7]﴾ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا [الشورى 42:23]

ويرى بعض الناس أن هذا لا يعني إلا أهل البيت، ولكن الصحيح أن كلمة "القربى" هنا كلمة عامة تشمل جميع أقارب النبي (ﷺ) الذين ماتوا على الإسلام.

لذلك يجب أن نحب الأقرباء الذين كانوا أقرب إلي النبي ﷺ، مثلاً:

- جميع زوجات الرسول (ﷺ) مثل: السيدة خديجة، والسيدة عائشة، والسيدة حفصة وغيرهن (رضي الله عنهن).
- جميع بنات الرسول (ﷺ): السيدة فاطمة، والسيدة زينب، والسيدة رقية، والسيدة أم كلثوم رضي الله عنهن.

- جميع أبناء الرسول (ﷺ) أي سيدنا إبراهيم، سيدنا عبد الله، سيدنا قاسم رضي الله عنهم.
- كُلًّا من أصهار النبي (ﷺ) أي سيدنا علياً وسيدنا عثمان رضي الله عنهما.
- كُلًّا من أسباط الرسول (ﷺ) أي سيدنا حسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهما.
- آباء زوجات النبي (ﷺ) مثل سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما.

فهذه 7 آيات و 43 حديثاً بخصوص هذه العقيدة التي تم ذكرها بالتفصيل.

المبحث التاسع عشر

الخلافة

سنقدم 12 حديثًا بخصوص هذه العقيدة، والتفاصيل كما يلي:

الخلافة قضية مهمة في تاريخ المسلمين، لقد أثارت هذه القضية صراعًا داخليًا بين المسلمين. ومع ذلك، كانت هذه القضية موجودة في زمن الصحابة ﷺ. والآن لا توجد خلافة ولا هي قضية، لكن بعض الناس يتمسكون بها ويهدفون التفرقة بين المسلمين من خلال إثارة هذه القضية دون داع.

يجب على المسلمين أن ينحيوا هذه القضايا جانباً وأن يشاركوا في تطوير بلادهم. في الوقت الحاضر، يناقش الأوروبيون الأمور بشكل مشترك ويحلون قضاياهم، لكن المسلمين غير قادرين على حل قضاياهم خلال المحادثات والحوارات، بل إنهم يخلقون قضايا جديدة بدلاً من ذلك.

ما يقول الإسلام عن الخلافة

يرى الإسلام أنه لا يجوز لأحد أن يفرض نفسه كحاكم على البلاد، بل يجب أخذ رأي الناس في الاعتبار؛ لذلك اختار المسلمون خليفتهم بالإجماع. ومع ذلك، أشار الرسول ﷺ في مناسبات مختلفة إلى أن أبا بكر (رضي الله عنه) هو الأفضل لهذا المنصب.

نفى سيدنا علي ﷺ أن لديه ضمانات بخصوص الخلافة

لقد نفى سيدنا علي ﷺ نفسه أنه كانت لديه ضمانات بخصوص الخلافة، كما جاء في الحديث:

﴿1﴾ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ قَالَ لَا إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ قُلْتُ فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفَكَاكُ الْأَسِيرِ وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ. (صحيح البخاري، باب كتابة العلم، ص 24، رقم 111)

في هذا الحديث، سُئل سيدنا علي ﷺ عن أي وثيقة تتعلق بالخلافة، ولكنه نفى امتلاكه.

هناك حديث آخر:

﴿2﴾ عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ دُونَ النَّاسِ فَغَضِبَ عَلِيٌّ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ وَقَالَ مَا كَانَ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا دُونَ النَّاسِ غَيْرَ أَنَّهُ حَدَّثَنِي بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَأَنَا وَهُوَ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ. (سنن النسائي، كتاب الضحايا، باب من ذبح لغير الله عز وجل، ص 614، رقم 4427)

في هذا الحديث أيضاً نفى سيدنا علي ﷺ نفسه وجود أي وصية أو وثيقة عنده تتعلق بالخلافة، فلماذا كثرة الاحتجاج من الآخرين أن سيدنا علي رضي الله عنه هو الخليفة الأول وأن النبي ﷺ أصدر وصية بشأن خلافته؟ ويؤيد

ذلك رده بعد تولي سيدنا أبي بكر ﵁ الخلافة حيث قام سيدنا علي ﵁ بالبيعة على يده. ثم بعد استشهاد سيدنا عثمان ﵁ اختاره الناس خليفة، لكنه نفى ذلك في البداية وقبله بعد إصرارهم. إنه يدل على أنه لم يحب أن يصبح خليفة، بل قبل هذا المنصب لمجرد إصرار الناس ولصالح الأمة.

لذلك، لا جدوى من الاحتجاج على أن النبي ﷺ أصدر وصية لسيدنا علي ﵁، خاصة بعد مرور أربعة عشر قرنا، فلا داعي لانقسام المسلمين في هذه القضية.

﴿3﴾ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيرًا وَلَا أَوْصَى بِشَيْءٍ. (صحيح مسلم، باب ترك الوصية لم ليس له شيء يوصى له، ص 717، رقم 4229/1635)

﴿4﴾ عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ وَصِيًّا فَقَالَتْ مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ فَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتَهُ إِلَى صَدْرِي أَوْ قَالَتْ حَجْرِي فَدَعَا بِالطَّسْتِ فَلَقَدْ انْخَنَثَ فِي حَجْرِي وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ مَاتَ فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ؟ (صحيح مسلم، باب ترك الوصية لم ليس له شيء يوصى له، ص 717، رقم 4231/1636)

في هذين الحديثين أن النبي ﷺ لم يخلف بأي وصية تتعلق بالخلافة.

أشار النبي ﷺ إلى اختيار سيدنا أبي بكر ﵁ خليفة

لم يختر النبي ﷺ أحداً ليكون خليفة، لكنه أشار في العديد من الأحاديث إلى أبي بكر ﵁. وهذه بعض الأحاديث:

﴿5﴾ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ قَالَ أَبِي كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ. (صحيح مسلم،باب من فضائل أبي بكر، ص 1051، رقم 6179/2386)

﴿6﴾ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ أَنَا أَوْلَى وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ. (صحيح مسلم، باب من فضائل أبي بكر، ص 1051، رقم 6181/2387)

في هذين الحديثين أن الوثيقة التي أراد النبي ﷺ كتابتها كانت عن خلافة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وليس عن سيدنا علي رضي الله عنه؛ لذلك دعا سيدنا أبا بكر رضي الله عنه وابنه. ثانياً: النبي توقع ﷺ أن المسلمين لن يعينوا إلا أبا بكر خليفة، وتحقق هذا فيما بعد. ومع ذلك، لم يصدر أي وصية بخصوص الخلافة.

﴿7﴾ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ مَرِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ فَقَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ قَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ قَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَعَادَتْ فَقَالَ مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (صحيح البخاري، باب أهل العلم و الفضل أحق بالإمامة، ص 110، رقم 678)

في هذا الحديث، طلب النبي ﷺ من سيدنا أبي بكر ﵁ ثلاث مرات أن يؤم الصلاة، وهو نوع من الإشارة على أن أبا بكر كان أفضل لإمامة الصلاة وبالتالي لقيادة المسلمين. فلهذه الأحاديث، اختاره الصحابة خليفة للمسلمين.

يجب اتباع الخلفاء الراشدين في الخلافات

وقد ورد في هذا الحديث أن الخلفاء الراشدين يجب أن يُتّبعوا في القضايا الخلافية.

﴿8﴾ عن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ ... فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ. (سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ص 651، رقم 4607؛ سنن الترمذي، رقم 2678)

يقول النبي ﷺ أنه ستظهر خلافات بعده، لذلك أوصانا في مثل هذه المواقف أن نتمسك بطريقة الخلفاء الراشدين.

اختير سيدنا أبو بكر ﵁ خليفةً بالإجماع

﴿9﴾ فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ... فَقَالَ عُمَرُ بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ

فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ. (صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، ص 616، رقم 3668)

وفي هذا الحديث أن الصحابة اختاروا سيدنا أبا بكر ﵁ أميراً لهم بالإجماع وقاموا بالبيعة على يده. لذلك لوم سيدنا أبي بكر ﵁ على الخلافة أمر غير مقبول.

يقول هذا الحديث أن سيدنا أبا بكر ﵁ كان متفوقًا على جميع الصحابة لقربه من النبي ﷺ وكان ذو خبرة لطول صحبته وكبره في السن؛ لذلك عُيّن خليفة لجميع المسلمين بالاتفاق.

بايع سيدنا علي ﵁ على يد سيدنا أبي بكر ﵁

قد بايع سيدنا علي ﵁ على يد سيدنا أبي بكر ﵁، ويذكره الحديث التالي من صحيح البخاري بالتفصيل:

﴿10﴾ عَنْ عَائِشَةَ ... "اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ وُجُوهَ النَّاسِ، فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ يُبَايِعُ تِلْكَ الأَشْهُرَ ... فَقَالَ عَلِيٌّ لأَبِي بَكْرٍ مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةُ لِلْبَيْعَةِ. فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الظُّهْرَ رَقِيَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَتَشَهَّدَ وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ، وَتَخَلُّفَهُ عَنِ الْبَيْعَةِ، وَعُذْرَهُ بِالَّذِي اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ، وَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ، وَحَدَّثَ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلاَ إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ، وَلَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيبًا، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا، فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا أَصَبْتَ. وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى

عَلِيٍّ قَرِيبًا، حِينَ رَاجَعَ الأَمْرَ الْمَعْرُوفَ." (البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ص 719، رقم 4240)

هناك نقطتان مهمتان في هذا الحديث:

(1) قام سيدنا علي ﷺ أخيرًا بالبيعة على يد سيدنا أبي بكر ﷺ.

(2) اعترف سيدنا علي ﷺ بمزايا وفضائل سيدنا أبي بكر ﷺ وسيدنا أبو بكر ﷺ أيضاً اعترف بمزايا سيدنا علي ﷺ وفضائله.

هاتان الشخصيتان تصالحتا فيما بينهما؛ لذلك يجب علينا أيضًا أن نتصالح ونتحد. لأننا إذا تمسكنا بالخلافات القديمة سنبقى منقسمين ولن يتوقف الخلاف بين المسلمين.

لا يجوز معارضة خليفة معيَّن

لا يجوز الاختلاف والثورة ضد الخليفة؛ لأنه يسبب الفوضى كما جاء في الحديث:

﴿11﴾ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ ... وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ. (صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول، ص 828، رقم 4776/1844)

يقول هذا الحديث أنه بمجرد تعيين الخليفة، يجب إطاعته. لذلك، لا مبرر إطلاقاً لما يفعل بعض الناس في قضية الخلافة ويقسمون المسلمين إلى مجموعات.

مدة الخلفاء الخمسة

وقد ورد في الحديث أن الخلافة الراشدة ستستمر ثلاثين سنة:

﴿12﴾ عَنْ سَفِينَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " خِلاَفَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاَثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ - أَوْ مُلْكَهُ - مَنْ يَشَاءُ " . قَالَ سَعِيدٌ قَالَ لِي سَفِينَةُ أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَبَا بَكْرٍ سَنَتَيْنِ وَعُمَرَ عَشْرًا وَعُثْمَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَعَلِيٌّ كَذَا . قَالَ سَعِيدٌ قُلْتُ لِسَفِينَةَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَمْ يَكُنْ بِخَلِيفَةٍ . قَالَ كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ يَعْنِي بَنِي مَرْوَانَ. (أبو داؤد، كتاب السنة، باب في الخلفاء، ص 656، رقم 4646)

يقول هذا الحديث أن الخلافة الراشدة ستستمر ثلاثين عامًا.

(1) خلافة سيدنا أبو بكر ﷺ: سنتان، 3 أشهر، 10 أيام

من 12 ربيع الأول 11هـ إلى 22 جمادى الآخرة 13هـ	من 7 يونيو 632م إلى23 أغسطس 634م

(2) خلافة سيدنا عمر ﷺ: 10 سنوات، 6 أشهر ، 4 أيام

من 22 جمادى الآخرة 13هـ إلى 26 ذو الحجة 23هـ	من 23 أغسطس 634م إلى 3 نوفمبر 644م

(3) خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه: 11 سنة، 11 شهرًا، 22 يومًا

من 3 محرم 24هـ	من 9 نوفمبر 644م
إلى 25 ذو الحجة 35هـ	إلى 24 يونيو 656م

(4) خلافة سيدنا علي رضي الله عنه: 4 سنوات، 8 أشهر، 25 يومًا

من 26 ذو الحجة 35هـ	من 25 يونيو 656م
إلى 21 رمضان 40هـ	إلى 28 يناير 661م

(5) خلافة سيدنا حسن رضي الله عنه: 6 أشهر، 3 أيام

من 22 رمضان 40هـ	من 29 يناير 661م
إلى 25 ربيع الأول 41هـ	إلى 29 يوليو 661م

قد ذكرنا 12 حديثًا بخصوص هذه العقيدة.

المبحث العشرون

من هو الولي؟

سنقدم 4 آيات و 5 أحاديث بخصوص هذه العقيدة، والتفاصيل كما يلي:

الولي رجل تقي يؤمن بالله، ويعمل بالشريعة بإتقان، ويتعامل مع الناس بإحسان، ويبتعد عن المحرمات تماماً، ويخاف الله.

إن الذين لا يتبعون الشريعة ويظهرون الولاية ليسوا وليا، بل هم أولياء مزيفون؛ حتى أن بعض الناس يعتبرون المجاذيب العراة وليًا، وهذا غريب. فقد جاء في الحديث:

﴿1﴾ عن عبيد بن عمير... أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع، ألا إن أولياء الله المصلون من يقيم الصلوات الخمس التي كتبت عليه و يصوم رمضان و يحتسب صومه يرى أنه عليه حق و يعطي زكاة ماله يحتسبها و يجتنب الكبائر التى نهى الله عنها. (المستدرک للحاكم، كتاب الإيمان، ج 1، ص 127، رقم 197؛ سنن البيهقي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في استقبال القبلة بالموتى، ج 3، ص 573، رقم 6723)

وفي هذا الحديث أن الولي هو من يصلي ويصوم، ويؤدي الزكاة ويبتعد عن الكبائر. ومن لم يفعل هذه الأعمال ولم يبتعد عن الكبائر فلا يمكن أن يكون وليا.

فقد جاء في القرآن الكريم:

﴿1﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [يونس 10:6264]

هذه الآية تذكر نقطتين؛ أولا: إن الولي لا يخاف ولا يحزن. ثانياً: الولي من يؤمن بالله ويتقيه، لذلك لا يمكن أن يكون غير المؤمن ولياً، وكذلك من لا يتقي ولا يتبع الشريعة قد لا يكون ولياً.

﴿2﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات 49:13]

تقول هذه الآية أن الأكثر تقوى هو أكرم عند الله ﷻ.

الولي هو الذي تُذكّر صحبته الآخرة

إنما الولي الذي تُذكّر صحبته الآخرة وتبعد المرء من الدنيا. فقد جاء في الحديث:

﴿2﴾ عَنْ ابن عباس عن النبي ﷺ قال إبراهيم: سئل رسول الله ﷺ: من أولياء الله؟ قال الذين إذا رؤا ذكر الله. (سنن النسائي الكبرى، باب قول الله تعالى: ألا إن أولياء الله، ج 10، ص 124، رقم 11171)

﴿3﴾ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ". قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ "خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ". (ابن ماجة، كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له، ص 601، رقم 4119)

وهذه الأحاديث تقول إن الخيار منكم من تذكر صحبته الله. لذلك يجب أن يكون المرشد الروحاني من يذكرك رؤيته الله.

من لا يتبع الشريعة لا يمكن أن يكون ولياً

في الوقت الحاضر، هناك بعض من الناس الذين يدعون أنهم أولياء، لكنهم لا يلتزمون بالصلاة، ولا يصومون، ولا يؤتون الزكاة، بل يستمرون في خداع الناس والحصول على المال منهم. ينبغي أن لا نخطئ في معرفة مثل هؤلاء الخادعين، ويجب أن نتجنب صحبتهم.

لا يمكن أن يكون الولي أفضل من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

إن منزلة الولي أقل من مكانة الصحابة، لأن الصحابة قد رأوا الرسول الكريم ﷺ بالإيمان وساعدوه، ولم يرَ الولي الرسول الكريم ﷺ، لذلك فالولي لا يمكن أن يكون أفضل من الصحابة رضي الله عنهم.

ثانياً: لقد وصف الرسول الكريم ﷺ فضائل جميع الصحابة، ولكن لا للأولياء، فمهما ذهب الأولياء رفعة ومنزلة، لا يمكنهم أن يصلوا إلى مرتبة الصحابة رضي الله عنهم.

وينسب بعض الناس فضائل إلى الأولياء بأنهم يتفوقونهم على الصحابة رضي الله عنهم. هذا ليس بصحيح. كما جاء في الحديث:

﴿4﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ

أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ ." (مسند الإمام أحمد، باب حديث عبد اله بن مغفل المزني، ج 6، ص 42، رقم 20026)

نهى النبي ﷺ بألم شديد عن الإساءة إلى أصحابه.

هناك حديث آخر:

﴿5﴾ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِمًا رَآنِي أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي. (سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل من راى النبي ﷺ و صحبه، ص 872، رقم 3858) - (ج 12 / ص 356)

هذه الأحاديث تذكر فضائل الصحابة، ولا يحصل للولي هذه الفضائل، لذلك إن الصحابي الأقل مرتبة أفضل من الأولياء الكبار.

يمكن ثبوت الكرامة من الولي

إذا حدث شيء خارق للعادة على يد نبي يسمى معجزة، وإذا حدث شيء خارق للعادة من ولیّ يطلق عليه اسم الكرامة، وإذا ثبت شيء خارق العادة من رجل غير مسلم يسمى الاستدراج.

لذلك يمكن أن يحدث شيء خارق للطبيعة على يد ولي. لكن ضع في اعتبارك أن الكثير من الناس يدعون الكرامات، لكن لا صحة فيها، لذلك يجب أن نحذر منها في هذا العصر.

لقد ثبتت الكرامة من هذه الآية القرآنية:

﴿3﴾ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا [آل عمران 3:37]

إن مريم عليها السلام لم تكن نبيا، بل كانت ولية، توفرت لديها ثمرات بغير مواسمها وهي كرامة.

من لا يؤمن بالله لا يمكن أن يكون وليا

هناك الكثير من الناس في العالم اليوم من لا يؤمنون بالله ولا يتمسكون بالتوحيد بل يتورطون في الكفر والشرك، لكنهم يدعون الوصول إلى الله. هم يقيمون الشعائر ويعطون الناس التمائم وأحياناً تنفع تمائمهم بأمر الله مما يجعل الناس يظنون أنهم أولياء لله ويبدأ الناس في الإعتقاد بهم.

ولكن يجب التنبه إلى أنه ما لم يكن هناك التوحيد، ولا الإيمان، ولا الطاعة لأوامر الله، فلا يمكن أن يكون المرء وليا لله. لكنه مهلة من الله، فلا ينبغي لأحد أن يتبع هؤلاء الأشخاص، بل يجب أن يتجنبهم، فمن المحتمل جدًا أن يسلب الإيمان منك بسبب القرب منهم. يقول القرآن:

﴿4﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [يونس 10:6264]

الشرط الأول للولي في هذه الآية أن يكون له إيمان، والشرط الثاني أن يكون متقياّ، وبدونها لا يمكن أن يكون ولياً.

فكانت هذه 4 آيات و 5 أحاديث عن هذه العقيدة، قد رأيتها بالتفصيل.

المبحث الحادي والعشرون

الملائكة

هناك 9 آيات و 3 أحاديث عن هذه العقيدة. والتفصيل فيما يلي:

سيُذكر في باب الإيمان أن بالإيمان بستة أمور يكون المرء مؤمناً، وأحدها الإيمان بالملائكة، هنا نذكر التفصيل عن الملائكة.

في العقيدة الطحاوية:

"والإيمان هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وحلوه ومره." (العقيدة الطحاوية، رقم: 66 ص 15)

أن الإيمان بستة أمور يجعل الإنسان مؤمناً، وأحدها الإيمان بالملائكة.

انظر إلى التفاصيل الباقية في مبحث الإيمان.

الملائكة خُلقوا من النور

إن الملائكة من خلق الله، هم المعصومون عن العصيان والمخلوقون من النور، كما ورد في الحديث:

﴿1﴾ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ. (صحيح مسلم، باب في أحاديث متفرقة، باب الزهد، ص 1295، رقم 2996 /7495)

في هذا الحديث أن الملائكة خلقوا من النور وخلقت الجن من النار.

وقد ورد ذكر أربعة ملائكة في القرآن

إن الملائكة عددهم كثير، لا يعلم عددهم بالضبط إلا الله، لكن أربعة منهم كبار اللملائكة:

سيدنا جبريل عليه السلام

سيدنا ميكائيل عليه السلام

سيدنا إسرافيل عليه السلام

سيدنا عزرائيل عليه السلام

سيدنا جبرئيل وميكائيل (عليهما السلام) مذكوران في الآية التالية. أما سيدنا جبريل فهو أعظم الملائكة مرتبة، وكانت وظيفته إيصال الوحي إلى الأنبياء. وأما وظيفة سيدنا ميكائيل فهي إنزال المطر. وهذا بأمر الله فلا يجوز أن يُطلب من سيدنا ميكائيل أن ينزل المطر بل لنا أن ندعو الله سبحانه وحده للمطر.

فإن الكفار يعبدون إله المطر ويعتقدون أن المطر بيده واختياره. وهذا حرام في الإسلام.

فيما يلي بعض الآيات المتعلقة بهذا الأمر:

﴿1﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ [البقرة 2:98]

﴿2﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ [البقرة 2:97]

فإن جبرائيل وميكائيل مذكوران في هاتين الآيتين.

ملك الموت عزرائيل عليه السلام

سيدنا عزرائيل عليه السلام هو الملك الموكّل بقبض الأرواح، يقوم بهذا العمل بإذن الله، والموت والحياة من عمل الله وحده، ولكن سيدنا عزرائيل عليه السلام يقوم بهذا العمل بأمر الله. فعلينا أن ندعو الله وحده للصحة والحياة.

يقول القرآن:

﴿3﴾ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ [السجدة 32:11]

﴿4﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ [الأنعام 6:61]

هذه الآية تذكر ملك الموت ويقول أنه عندما يجيء وقت الموت لا يمكن تأجيله ولو للحظة.

ذكر اسرافيل عليه السلام

سيدنا إسرافيل عليه السلام هو الملك الموكّل بنفخ الصور، سينفخ في الصور يوم قيام الساعة، كما يقول القرآن الكريم:

﴿5﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ [النمل 27:87]

﴿6﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ [الزمر 39:68]

فقد جاء في الحديث:

﴿2﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ : "إِنَّ صَاحِبَيِ الصُّورِ بِأَيْدِيهِمَا – أَوْ فِي أَيْدِيهِمَا – قَرْنَانِ يُلاَحِظَانِ النَّظَرَ مَتَى يُؤْمَرَانِ" . (ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر البعث، ص 623، رقم 4273)

تذكر هذه الآيات والأحاديث الملَك إسرافيل الذي سينفخ في الصور.

ذكر ملائكة "كراماً كاتبين"

"كراماً كاتبين" هما الملكان، أحدهما على الكتف اليمين والآخر على اليسار، وكلاهما يكتبان أعمالنا، فالملَك على اليمين يكتب الأعمال الصالحة والآخر على اليسار يكتب أعمالنا السيئة. فقد جاء في القرآن الكريم:

﴿7﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ [الإنفطار 82:1012]

ذكر ملائكة "المنكر والنكير"

"المنكر والنكير" هما الملكان. عندما يوضع الرجل في القبر، يأتي هذان الملكان ويطرحان على الميت ثلاثة أسئلة كما جاء في الحديث:

﴿3﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ. (الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ص 258، رقم 1071)

هذا الحديث يذكر الملكين "المنكر والنكير"

الملائكة يخضعون لأمر الله

يقول القرآن الكريم:

﴿8﴾ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ [الأنبياء 21:26 27]

﴿9﴾ **وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [النحل 16:5051]**

وقد ورد في هذه الآيات أن الملائكة لا يعصون أمر الله بل إنهم يتبعون ما يأمر الله. هذه هي طبيعتهم ولا يمكن لهم أن يعصوه في أمره.

نعتقد بأن الإنسان أفضل من عامة الملائكة وأن النبي ﷺ أعلى وأفضل من جميع الملائكة، ومن جميع الأنبياء والمرسلين، وأن أعظم مرتبة بعد الله هي مرتبة النبي ﷺ.

انظر التفصيل تحت مبحث النور والبشر.

فهذه 9 آيات و 3 أحاديث حول هذه العقيدة التي مرت بتفاصيلها.

المبحث الثاني والعشرون

الجن

هناك 8 آيات وحديثين حول هذه العقيدة، ويمكنك قراءة تفاصيل كل منها في السطور التالية:

الآيات القرآنية تدل على أن الله خلق الجن قبل الإنسان. وقدر الله أن يخلق الإنسان فيما بعد ويسكنه في الأرض.

خلق الجن من النار

كما ذكر في القرآن:

﴿1﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ [الحجر 15:27]

﴿2﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ [الرحمن 55:15]

في هاتين الآيتين أن الجن خلق من النار.

خلق الإنسان من التراب

تثبت هذه الآية أن الإنسان خُلق من التراب.

﴿3﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا [الأنعام 6:2]

﴿4﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا [فاطر 35:11]

في هاتين الآيتين أن الإنسان خلق من التراب.

الجن منهم طيب ومنهم خبيث

الجن بعضهم صلحاء وبعضهم خبثاء. ومع ذلك، نظرًا لأنهم خلقوا من النار، فالقليل فيهم الخير والكثير فيهم الشر.

فهذه الآية تثبت أن بعضهم صلحاء:

﴿5﴾ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا [الجن 72:12]

في هذه الآية أن بعض الجن قد أسلموا.

لقد خلق الله الجن والإنس لعبادته كما قال:

﴿6﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات 51:56]

الجن يؤذي البشر ولكن ليس بقدر ما يعتقد الناس اليوم

وهذه بعض الأحاديث في هذا الشأن:

﴿1﴾ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ. (صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد، ص 80، رقم 461؛ صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، و التعوذ منه، ص 220، رقم 1209/51)

فعُلم من هذا الحديث أن الجن يزعج الإنسان ويؤذيه.

هناك حديث آخر:

﴿2﴾ عن أبي عثمان قال: "أتت امرأة عمر بن الخطاب، قالت استهوت الجن زوجها فأمرها أن تتربص أربع سنين." (الدار قطني، كتاب النكاح، باب المهر، ج 3، ص 217، رقم 3848/3803)

يتضح من هذا الأثر أن الجن يستطيع أن يستهوي الإنسان. وهذه الأحاديث تثبت أن الجن يستطيع أن يؤذي الإنسان.

احذروا من مقاولي الجن

لكن الوضع في الوقت الحاضر هو أن أصحاب التمائم ومخرجي الجن ليس لديهم معرفة، وقد تعلموا القليل من التمائم والمزيد من الشطارة من معلميهم؛ لذلك هؤلاء الأشخاص يخدعون الناس ويفرقون بين ذوي القربى بنسبة السحر والتميمة إليهم.

إذا أعطى تميمة وفي غضون شهرين لم يحدث شيء وذهبتَ إليه مرة أخرى، فيقول إنني طردت اثنين من الجن، والآن هاجم خمسة جن من عائلته مرة أخرى، والآن سيستغرق إخراجهم شهرين آخرين، ويطلب خمسة آلاف روبية أخرى، فيستمر في المطالبة بالمال لعدة أشهر، ولا يحدث شيء. فقد رأينا هؤلاء يملئون قلوب الناس بخوف الجن الذي لا يخرج سريعا؛ لذلك يلزم علينا أن نتجنب مثل هؤلاء الناس.

خُلق الشيطان أيضاً من النار

أن الشيطان من الجن، وخلُق من النار، ولكن بسبب عبادته تدرج إلى درجة الملائكة، ولكن لما أمر الله تعالى الملائكة السجود لآدم فلم يسجد الشيطان له، بل جادل بأنه خُلق من النار وهو أفضل منه، فلم يسجد لآدم عليه السلام.

كما ذُكر في الآية التالية:

﴿7﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [الأعراف 7:12]

في هذه الآية أن الشيطان خُلق من النار.

لا يستطيع الإنسان رؤية الشيطان وقبيلته

يقول القرآن الكريم:

﴿8﴾ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ [الأعراف 7:27]

تقول هذه الآية أننا لا نستطيع رؤية الشيطان، لذلك يجب أن نبذل قصارى جهدنا لنتجنبه.

فهذه 8 آيات وحديثين عن هذه العقيدة.

المبحث الثالث والعشرون

الحشر والنشر

سنذكر 18 آية وحديثين عن هذه العقيدة، والتفاصيل كما يلي:

يظن البعض أننا بعد موتنا لن نبعث ولن يكون هناك حساب، بل نصبح ترابًا بعد أن نموت. هذا هو اعتقاد الملحدين. بينما يقول الله تعالى أن كلا منا سيُبعث بعد موته، ونحاسب يوم القيامة لما فعلناه في الدنيا، ثم نُرسل إما إلى الجنة أو النار.

الحشر: أن يبعث الله الإنسان في القبر، ثم يأتي به إلى المحشر، ويكون هناك المحاسبة، كما في هذه الآيات:

﴿1﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا [طه 20:102]

﴿2﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ [النمل 27:83]

﴿3﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا [الكهف 18:4748]

البعث بعد الموت

إن الموتى سيُبعثون يوم القيامة ويُحشرون ويُحاسبون على ما فعلوه في الدنيا، كما جاء في القرآن الكريم:

﴿4﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ [المؤمنون 23:1516]

﴿5﴾ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الحج 22:6]

﴿6﴾ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الشورى 42:9]

﴿7﴾ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [يس 36:7879]

إن الله مالك يوم الدين

﴿8﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة 1:3]

﴿9﴾ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ [غافر 40:16]

في هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى مالك يوم القيامة، ولن يكون الملك يومئذ إلا لله الواحد القهار.

سيُحاسب الجميع في الآخرة

يُحاسب كل رجل في الآخرة حسابا، ويُعرض عليه محضر جميع الأعمال الصالحة والسيئة في الحياة الدنيا، فمن نجح في الحساب، أدخله الله تعالى الجنة، ومن سقط فيلقيه الله في النار، كما جاء في القرآن الكريم:

﴿10﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف 18:49]

﴿11﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [الإنشقاق 84:7-8]

﴿12﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا [الإسراء 17:14]

﴿13﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [إبراهيم 14:51]

﴿14﴾ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ [البقرة 2:284]

في هذه الآيات أن الله تعالى يحاسب الجميع يوم القيامة.

يوتى الناس كتاب الأعمال يوم القيامة

يوتي الله يوم القيامة كتاب الأعمال في يد كل أحد، فيسلّم الصالحين كتاب أعمالهم بيدهم اليمنى ومن يوتى كتاب أعماله باليد اليسرى فهو من أهل النار، كما يقول القرآن:

﴿15﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا [الإنشقاق 84:7-11]

﴿16﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ [الحاقة 69:19]

﴿17﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ [الحاقة 69:25]

الصراط

يقام الصراط يوم القيامة و على كل أحد أى يجوزه ويعبره. أما الأتقياء فيعبرونها ويصلون إلى الجنة، أما الخاطئون فيفشلون ويسقطون في النار. يقول القرآن:

﴿18﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا [مريم 19:71]

وفي الحديث:

﴿1﴾ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا ... فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنْ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ. (صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ص 130، رقم 806)

﴿2﴾ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِعَارُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الصِّرَاطِ رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ. (سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصراط، ص 554، رقم 2432)

فعلم من هذه الآية ومن الحديثين أن لكل أحد أن يعبر الصراط المبني على النار.

فهذه 18 آية وحديثين عن هذه العقيدة.

المبحث الرابع والعشرون

الميزان حق

نذكر عن هذه العقيدة آية وحديثين، وتفاصيلها كما يلي:

ينصب الميزان يوم القيامة لوزن الأعمال، ولا يعلم إلا الله تفاصيل طريقة وزن الميزان، ولكن من المعلوم من القرآن والحديث أن الله يزن أعمال الناس يوم القيامة في الميزان.

في العصور الماضية، كان يعترض الفلاسفة على كيفية وزن الأفعال إذا لم يكن لها وجود حسي، لكن الأطباء والعلماء في الوقت الحاضر يقيسون الحمى والهواء، ويقيسون أدق الأشياء في الكون، لذا صار هذا الاعتراض هباء منثوراً.

يوزن الأعمال بالميزان يوم القيامة، وهو مذكور في القرآن:

﴿1﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء 21:47]

﴿2﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ [الأعراف 7:89]

وهذا مذكور في الحديث أيضاً:

المبحث الرابع والعشرون: الميزان حق

﴿1﴾ عَنْ عَائِشَةَ، : أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ ... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَمَّا فِي ثَلاَثَةِ مَوَاطِنَ فَلاَ يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا : عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ. (أبو داؤد، باب في ذكر الميزان، ص 682، رقم 4755)

فهذا الحديث يذكر الميزان ووزن الأعمال.

فهذه آيتان وحديث حول هذه العقيدة.

المبحث الخامس والعشرون

الجنة قد خُلقت

سنذكر 14 آية و 3 أحاديث عن هذه العقيدة، وتفاصيلها كما يلي:

في وقت سابق كان هناك بعض الخلاف حول ما إذا كانت الجنة والنار قد خُلقت أم لا. ورأى البعض أن الجنة والنار لم يُخلقا بعد، بل سيُخلقان بعد القيامة لأنه لا داعي لهما بعدُ. لكن بالنظر إلى الآيات يتبين أن الله تعالى قد خلق الجنة والنار.

وهذه آيات من القرآن:

﴿1﴾ **وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران 3:133]**

﴿2﴾ **أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا [التوبة 9:89]**

﴿3﴾ **وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا [التوبة 9:100]**

كما ورد في الحديث:

﴿1﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. (صحيح البخاري، باب سورة السجدة، كتاب التفسير، ص 840، رقم 4780)

هذه الآيات والحديث المذكور بصيغة الماضي "أعدّ" وهذا يثبت أن الجنة والنار قد خُلقتا بالفعل.

إن جهنم قد خُلقت

ها هي الآيات:

﴿4﴾ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [البقرة 2:24]

﴿5﴾ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [الفتح 48:6]

﴿6﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [آل عمران 3:131]

يتضح من هذه الآيات أن الله قد خلق النار بالفعل.

تبقى الجنة والنار إلى الأبد

كما يقول القرآن الكريم:

﴿7﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا [النساء 4:57]

﴿8﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا [النساء 4:122]

﴿9﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا [الزمر 39:72]

﴿10﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا [الجن 72:23]

قد عُلم من هذه الآيات أن الجنة ستبقى إلى الأبد، كما أن الجحيم ستبقى إلى الأبد.

الجنة مكان النعيم والجحيم مكان العذاب

يقول القرآن:

﴿11﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ [يس 36:5557]

﴿12﴾ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [البقرة 2:24]

بالإضافة إلى ذلك، هناك العديد من الآيات التي سبق ذكرها.

من دخل الجنة يبقى هناك إلى الأبد

من دخل الجنة يبقى دائمًا هناك، ولن يخرج منها أبدًا. ولكن لو دخل مؤمن الجحيم ليعاقب على خطيئة، فسيتم إخراجه من الجحيم يومًا ما ويدخل الجنة، ثم يبقى في الجنة إلى الأبد كما يقول القرآن:

﴿13﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة 9:89]

﴿14﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا [النساء 4:122]

والمؤمن سيُخرج من النار. هذا هو الحديث الذي يثبت ذلك:

﴿2﴾ حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ـ رضى الله عنهما ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ ".

(صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة و النار، ص 1136، رقم 6566)

يتبين من هذا الحديث أن المؤمنين الخاطئين سيخرجون من النار ويدخلون الجنة.

فقد تقرر في علم الله من يدخل الجنة أو النار

فقد جاء في الحديث:

﴿3﴾ عَن عَليّ رَضِي الله عَنهُ قَالَ كُنَّا فِي جَنَازَة فِي بَقِيع الْغَرْقَد فَأَتَانَا النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقعدَ وقعدنا حوله وَمَعَهُ مخصرة فَنَكس فَجعل ينكت بمخصرته ثمَّ قَالَ مَا مِنْكُم من أحد مَا من نفس منفوسة إِلَّا كتب مَكَانهَا من الْجنَّة وَالنَّار وَإِلَّا قد كتب شقية أَو سعيدة فَقَالَ رجل يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَندع الْعَمَل فَمن كَانَ منا من أهل السَّعَادَة فسيصير إِلَى عمل أهل السَّعَادَة وَأما من كَانَ منا من أهل الشقاوة فسيصير إِلَى عمل أهل الشقاوة قَالَ أما أهل السَّعَادَة فييسرون لعمل السَّعَادَة وَأما أهل الشقاوة فييسرون لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصدق بِالْحُسْنَى) الْآيَة. (صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر و قعود أصحابه حوله، ص 218، رقم 1362)

هذا الحديث يدل على أن من يدخل الجنة ومن يدخل النار مُحدَّد في علم الله.

فهذه 14 آية و 3 أحاديث في هذا الصدد.

المبحث السادس والعشرون

القرآن كلام الله

سنذكر 13 آية و 4 أحاديث حول هذه العقيدة، والتفاصيل كما يلي:

ملاحظة: الكلام على ثلاثة

(1) الكلام الذي هو من صفات الله الذاتية، فهو أزلي قديم وليس بحادث، لأنه صفة من صفات الله، فيكون قديماً مثل ذات الله سبحانه وتعالى.

(2) كلام الإنسان أو كلام الملائكة، فإنه حادث غير قديم، لأن ذات الإنسان والملائكة حادث، فكل ما يخرج منهم يكون حادثاً أيضًا.

(2) القرآن الذي هو كلام الله. فإذا كان نسبة هذا الكلام إلى الله فهو قديم، وإذا قرأه ملَك أو إنسان فتكون هذه القراءة حادثة.

قديما كان هناك الكثير من الجدل حول ما إذا كان القرآن مخلوقاً أم لا، ولكن إذا فرّقنا بين الكلام الذي من الله فهو أبدي، وبين ما نقرأ القرآن أو نكتبه فهو حادث، فلن يبق هناك أي نزاع.

الكلام عند الله قديم وما نقرأ من القرآن حادث

يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في كتابه الفقه الأكبر:

"ولفظنا بالقرآن مخلوق و كتابنا له مخلوقة و قرائتنا له مخلوقة و القرآن غير مخلوق ... والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم ... وكلام الله تعالى غير مخلوق." (الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة، بحث أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولا حادث، ص 50.52.58)

في هذه المقتبسات الثلاثة إن كلمة الله وصفته قديمة غير مخلوقة، لكن ما يقرأ الرجل ويكتب من القرآن فهو حادث مخلوق.

القرآن كلام الله

للقرآن حالتان، إحداهما كلام الله، وهي صفة من صفات الله الذاتية، وهي قديمة غير مخلوقة.والحالة الثانية مانقرأ ونكتب، فهو حادث مخلوق.

القرآن كلام الله، كما يقول الله تعالى:

﴿1﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ [التوبة 9:6]

﴿2﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ [النمل 27:6]

قد ورد في كتاب الدرامي:

﴿1﴾ قال عمر بن الخطاب: "إن هذا القرآن كلام الله فلا يغرنكم ما عطفتموه على أهوائكم." (الدارمي، باب القرآن كلام الله، ج 2 ، ص 533، رقم 3355)

في هذه الآيات والأثر، يُدعى القرآن بكلام الله.

القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ

وهذه بعض الآيات:

﴿3﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۞ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ [الواقعة 7778:56]

﴿4﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۞ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [البروج 2122:85]

يتضح من هذه الآيات أن القرآن موجود في اللوح المحفوظ.

ثم نُزِّل القرآن شيئا فشيئا من اللوح المحفوظ على النبي الكريم ﷺ شيئًا فشيئًا في غضون ثلاث وعشرين عامًا، كما في هذه الآية:

﴿5﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا [الإسراء 17:106]

﴿6﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الواقعة 56:80]

﴿7﴾ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ [الشعراء 192194:26]

يتضح من هذه الآيات أن القرآن نُزّل على الرسول الكريم ﷺ شيئًا فشيئًا.

من ادعى أن القرآن كلام الإنسان فهو كافر

من ادعى أن القرآن كلام الإنسان فهو كافر. يقول القرآن:

﴿8﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۞ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ [المدثر 2526:74]

قال الله تعالى في هذه الآية أن من قال أن القرآن كلام الإنسان سألقيه في النار، لأنه كفر.

إن الله تعالى يتكلم في الدنيا إما من خلال الوحي أو من وراء حجاب

ما يتكلّمه الله تعالى في الدنيا إما بالوحي أو من وراء حجاب، لأن الإنسان لا يستطيع في هذه الدنيا أن يتكلم مع الله وجهاً لوجه، نعم في الآخرة يمنحنا الله هذه القوة:

فقد جاء في القرآن:

﴿9﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ [الشورى 42:51]

﴿10﴾ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا [النساء 4:164]

في هذه الآية أن الله تعالى كلّم سيدنا موسى عليه السلام من وراء حجاب.

القرآن مصون من التحريف

فإن القرآن الكريم مصون من التحريف منذ نزوله إلى الآن، لذا إذا نظرت إلى نسخ القرآن السائدة في جميع أنحاء العالم، فلن ترى اختلاف حرف واحد. القرآن كله بمحتوياته الأصلية محفوظ في قلوب الحفاظ الذين لا حصر لهم في العالم، وسيظل كذلك إن شاء الله تعالى. إن الله تعالى قد وعد في الآية التالية أنه سيحفظ القرآن حتى يوم القيامة:

﴿11﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر 15:9]

فالقرآن مصون ومحفوظ إلى يومنا هذا كما كان في أول يومه.

يجوز تلاوة القرآن بسبع طرق

عندما نزل القرآن الكريم، كان هناك سبع قبائل مشهورة في الجزيرة العربية ولكل منها لهجة مختلفة، لذلك أذن الله سبحانه وتعالى بتلاوة القرآن على سبعة أحرف. وعندما جمع سيدنا عثمان بن عفان ﵁ القرآن في مصحف واحد جمعه على لهجة قريش، لأنها كانت أفضل اللهجات، والقرآن اليوم مكتوب بنفس اللهجة وبنفس طريقة القرأة.

فقد ورد في الحديث:

﴿2﴾ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ . رضى الله عنه . يَقُولُ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ لِي " أَرْسِلْهُ ". ثُمَّ قَالَ لَهُ " اقْرَأْ ". فَقَرَأَ. قَالَ " هَكَذَا أُنْزِلَتْ ". ثُمَّ قَالَ لِي " اقْرَأْ ". فَقَرَأْتُ فَقَالَ " هَكَذَا أُنْزِلَتْ. إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ". (صحيح البخاري،كتاب الخصومات،باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، ص 389، رقم 2419؛ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ص 329، رقم 1899/818)

فقد جاء في هذا الحديث أن الآية والأحكام المذكورة في الآية متطابقة، ولكن يمكن استخدام سبعة أحرف وسبع طرق للقراءة.

إن الله سيُكلّم أهل الجنة

في الآخرة يكلّم الله تعالى أهل الجنة ولكن الله وحده يعلم كيف يحدث ذلك. يقول القرآن:

﴿12﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ [يس 36:58]

﴿13﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة 2:174]

يتبين من هذه الآيات أن الله سيكلّم أهل الجنة في الآخرة.

وقد ورد في الحديث:

﴿3﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ " بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ . قَالَ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ {سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ}." (ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، ص 28، رقم 184)

وفي حديث آخر:

﴿4﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ وَأَىُّ شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ

أَبَدًا". (صحيح البخاري، باب كلام الرب مع أهل الجنة، ص 1296، رقم 7518)

لكن كلام الله هذا ليس بحادث مثل كلام الإنسان، فهو أزلي قديم وأن كلام الله ليس مثل كلامنا كما يقول القرآن:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى 42:11]

فهذه 13 آية و 4 أحاديث حول هذه العقيدة.

المبحث السابع والعشرون

أين الله؟

أين الله؟ هناك خلاف كبير في هذا الأمر، والسبب أن الآيات والأحاديث مختلفة في هذا الصدد؛ لذلك يصعب تحديد أحد الأمرين وهناك ستة آراء حول هذا الموضوع. راجع تفاصيل كل من هذه الآراء فيما يلي.

سنذكر 38 آية و 6 أحاديث حول هذه العقيدة.

من المهم أن نتذكر هذه الأمور الأربعة

(1) الله واجب الوجود، موجود أزلياً وسيظل موجودًا أبداً، وهو خالق كل شيء، لا يفنى ولا يهلك، لذلك لا فناء لنفسه ولا لصفاته.

(2) هو خالٍ من الجهة، أي أنه ليس في أي جهة، أي أنه ليس فوق أو تحت أو في اليمين أو اليسار.

(3) هو خال من أي كيفية، أي مختلف الأحوال التي يطرأ على البشر والأشياء الأخرى؛ لأن الله هو خالق الكيف، فكيف تكون له أي كيفية.

(4) ليس كمثله شيء، لا شبه له في الصفات، ولا في ذاته سبحانه.

أما صفات الله التي تشبه صفة الناس، فهي تعني لفظياً أنها تشبه صفة الناس، ولكنها بالمعنى الحقيقي شيء آخر لا يمكننا فهمه ولا يمكننا إدراكه، فلا يمكن أن نقارنه أبدًا بأي صفة من صفات الخلق.

وهذا يثبت بهذه الآية والحديث:

﴿1﴾ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (سورة الشورى 11:42)

الآية تقول: لا شيء مثل الله، فكيف نتخيل أنه جالس على كرسي مثلنا، أو أن له يدان ورجلان مثلنا، أو له صفة مثل صفاتنا؟

﴿1﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا، بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ ". ثُمَّ قَرَأَ {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب جاء في صفة الجنة و أنها مخلوقة، ص 541، رقم 3244؛ صحيح مسلم، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها، باب صفة الجنة، ص 1228، رقم 7132/2824)

فقد جاء في هذا الحديث أن نِعَم الجنة لم تُر بالعين، ولم تسمع بأذن، ولم يمر فكرها على أي قلب. عندما لا نستطيع أن نتخيل نعم الجنة التي خلقها الله، فكيف يمكن أن نتخيل كيفية ذات الله وصفاته؟ فلا نقول في الله عن أنفسنا ولا نقارنه بأنفسنا وبغيرنا من المخلوقات.

الجماعة الأولى

الجماعة الأولى ترى أن الله سبحانه موجود كل مكان حسب شانه اللائق به.

لكن هذه الجماعة لا تناقش عن حال وجوده وكيفيته، هل هو موجود مع ذاته أم بالعلم والقدرة والبصر؛ لأن الله ليس له الجهات والكيفيات.

فيما يلي بعض الآيات التي تدلّ على أن الله موجود في كل مكان:

﴿1﴾ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [الحديد 57:4]

﴿2﴾ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا [المجادلة 58:7]

﴿3﴾ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة 9:40]

﴿4﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ [محمد 47:35]

﴿5﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ [البقرة 2:186]

﴿6﴾ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [ق 50:16]

﴿7﴾ وَ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ [البقرة 2:115]

في هذه الآيات السبع أن الله موجود في كل مكان، ولكن بغير جهة وبلا كيف.

وتثير هذه الجماعة أيضًا نقطة مفادها أننا إذا اعتبرنا الله مستوياً على العرش وقلنا إن الله جالس على العرش، فسيكون السؤال: أين كان الله قبل الاستواء على العرش؟

الجماعة الثانية

ومذهب الجماعة الثانية: أن الله سبحانه مستوي على العرش حسب شانه اللائق به. وهم لا يناقشون حاله وكيفيته؛ لأن الله ليس له جهة ولا كيف. إنهم يقولون: إن الله تعالى ذكر في سبع آيات أنه مستوي على العرش فنؤمن به ونؤمن بآياته كما هي، ولا نرى تاويله بشيء. وهم يؤولون عن الآيات السبع المذكورة أعلاه التي تقول أن الله موجود في كل مكان بأنه موجود في كل مكان بعلمه وبصره وقدرته.

وهم يستدلون بهذه الآيات السبع:

﴿8﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه 20:5]

﴿9﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [الأعراف 7:54]

﴿10﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [يونس 10:3]

﴿11﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [الرعد 13:2]

﴿12﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [الفرقان 25:59]

﴿13﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [السجدة 32:4]

﴿14﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [الحديد 57:4]

في هذه الآيات السبع أن الله قد استوى على العرش. فهذه الجماعة رأت أن الله سبحانه مستوى على العرش على الوجه الذي يناسب شانه.

"استوى" كلمة عربية بمعنى استقامَ واعتدَلَ وأحياناً بمعنى استقرَّ وجلس، وهذه الكلمة من المتشابهات التي لا يعرف معناها الحقيقي إلا الله.

العرش خلق عظيم

فقد جاء في القرآن:

﴿15﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [النمل 27:26]

﴿16﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [التوبة 9:129]

فهذه الآيات والعديد من الآيات الأخرى تدل على أن العرش مخلوق عظيم من خلق الله تعالى.

الكرسي من خلق الله

الكرسي أيضا من خلق الله، لكن منزلة الكرسي أقل من مرتبة العرش، وكأن حلقة قد وضعت في الصحراء، فالحلقة ليست لها أهمية بالنسبة إلى الصحراء. فالكرسي أقل مكانة من العرش، إلا أن الله يعلم حقيقتها، لكن هذا الكرسي كبير لدرجة أنه يحيط بالسماوات والأرض كما هو مذكور في القرآن الكريم:

﴿17﴾ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [البقرة 2:255]

الجماعة الثالثة

ورأت الجماعة الثالثة أن الله موجود في الكون بعلمه وقدرته وبصيرته، لا أنه موجود في الكون مع ذاته، وأما مكانه حينئذٍ فينبغي السكوت فيه.

هم يقولون: إن الله خلق الكون فكيف يكون هو نفسه في الكون؟

ثانياً: الكون حادث، فإذا كان الله موجوداً فيه فإنه يكون حادثاً، فينبغي أن يقال أن الله في الكون بعلمه وقدرته.

وهذه بعض الآيات:

﴿18﴾ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا [النساء 4:126]

﴿19﴾ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ [فصلت 41:54]

﴿20﴾ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ [الأنفال 8:47]

في هذه الآيات الثلاثة أن الله يحيط كل شيء، فهو في الكون من حيث علمه وليس من حيث ذاته.

﴿21﴾ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ [الحديد 57:2]

﴿22﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ [الأحقاف 46:33]

﴿23﴾ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ [الملك 67:1]

﴿24﴾ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ [الشورى 42:50]

في هذه الآيات أن الله يحيط الكون كله من حيث علمه وقدرته وملكه. فالله سبحانه تعالى موجود في الكون بعلمه لا بذاته.

الجماعة الرابعة

وتقول الجماعة الرابعة وهم قليلون في العدد: إن الله عز وجل موجود في العلو حسب شانه اللائق به. لكنهم لا يحددون درجة العلو.

وهم يحتجون بهذه الآيات:

﴿25﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [النحل 16:50]

﴿26﴾ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ [فاطر 35:10]

﴿27﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [المعارج 70:34]

﴿28﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [السجدة 32:5]

هذه الآيات الأربعة تشير إلى أن الله في العلو.

وقد جاء في الحديث:

﴿1﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "يَنْزِلُ رَبُّنَا تبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ" (أبو داؤد، كتاب التطوع، باب أي الليل أفضل، ص 197، رقم الحديث 1315)

هذا الحديث يدل على أن الله تعالى في العلو.

لذلك رأت هذه الجماعة أن الله في العلو وبالحال الذي يناسبه سبحانه.

الجماعة الخامسة

إن الله سبحانه موجود في السموات حسب شانه. هذه ليست بجماعة كبيرة بل هذا رأي بعض الناس وهذا الرأي قريب جدا من رأي الجماعة الرابعة.

وهم يستدلون بالحديث التالي:

﴿2﴾ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... قَالَ وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي ... قَالَ " ائْتِنِي بِهَا " . فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا " أَيْنَ اللَّهُ " . قَالَتْ فِي السَّمَاءِ . قَالَ " مَنْ أَنَا " . قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ " أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ". (صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة و نسخ ما كان من إباحته، ص 218، رقم 1199/537)

وفي هذا الحديث قالت الجارية إن الله في السماء وقرره النبي صلى الله عليه وسلم.

الجماعة السادسة

رأت الجماعة السادسة أن جميع الأمور مثل الاستواء على العرش، مكان الله، وجه الله، يد الله، قدم الله، إصبع الله، نزول الله، فهذه كلها من المتشابهات، معناه الحقيقي معلوم عند الله وحده، فنقول معناها معلوم، ولكن الكيف غير معلوم، ووجوب الإيمان بها لازم، والجدل فيها بدعة؛ لذلك من الأفضل اختيار الصمت والسكوت.

وهذا قول الإمام مالك مشهور جداً بينهم:

"سمعت يحى بن يحى يقول كنا عند مالک بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله: ﴿الرحمن على العرش الستوى﴾ (سورة طه 5) كيف استوى، قال فأطرق مالک رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستوى غير مجهول، والكيف غيرمعقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراک إلا مبتدعا، فأمر به أن يُخرج. قال الشيخ: وعلى مثل هذا درج أکثر علمائنا في مسئلة الاستوى، و في مسئلة المجيئ، والإتيان، والنزول." (الأسماء والصفات للبيهقي، كتاب الاعتقاد، باب القول في الاستوى، ج 1، ص 116؛ شرح الفقه الأکبر، ص 70)

وهذه الجماعة تحتج بهذه الآية:

﴿29﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ [آل عمران 3:7]

هذه الآية ترشد بعدم إتباع أقوال متشابهات، بل تؤكد بالإيمان بهذه الآيات والتزام الصمت، فلا نخوض في تاويل الاستواء، بل نسكت.

رأي الإمام أبي حنيفة رحمه الله

ومذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله في هذا الصدد أن معناها معلوم، ولكن الكيف مجهول، وهذا مذكور في شرح الفقه الأكبر، شرح كتاب الإمام أبي حنيفة الشهير "الفقه الأكبر":

"وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، و لا يقال: إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر و الاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان تعالى بلا كيف." (شرح كتاب الفقه الأكبر، ص 68-66)

وضم الشراح ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [القرآن: 20: 5] تحت هذا المبحث بأن معنى الاستواء على العرش معلوم ولكن الكيف مجهول، فإنها من المتشابهات التي لا يعرف معناها الحقيقي إلا الله، لذلك علينا السكوت عنها.

رأي الإمام الغزالي رحمه الله

قال الإمام الغزالي رحمه الله: ترجمة الاستواء ليس الجلوس على العرش أو الاستقرار، بل هي حفظ العرش، وإبقاؤه فلا داعي للمناقشة في الكيف:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي قهر وحفظ وأبقى. (قواعد العقائد، ص 167)

رأي الإمام الطحاوي رحمه الله

ذهب الإمام الطحاوي رحمه الله إلى أن العرش حق والكرسي حق، لكن الله لا يحتاج إلى العرش والكرسي، هو يقول:

"والعرش والكرسي حق، و هو عزو جل مستغن عن العرش و ما دونه." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 49 و 50، ص 13)

هذه آراء الجماعات الستة وأربعة من الأئمة والعلماء.

الكلمات المتشابهات الأخرى

بصرف النظر عن الاستواء، فإن الكلمات التسع التالية هي أيضًا من المتشابهات.

يقول القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى 11:42) فلا تكون يد لله كأيدينا ووجه كوجوهنا. فهذه الكلمات من المتشابهات التي يحرم الخوض فيها. لذلك، نؤمن بهذه الكلمات ونتجنب التتبع.

وقد ترجم مفسرو القرآن هذه الكلمات من وجهة نظر السياق، وهي ليست الترجمة الحقيقية، لكنهم حاولوا شرح هذه الكلمات بالمعنى المناسب لله سبحانه لجعلها أقرب إلى فهم الناس.

ها هي الكلمات التسع:

(1) يد الله

(2) وجه الله

(3) روح الله

(4) عين الله

(5) اليد اليمنى

(6) الإصبع

(7) قدم

(8) نزول الله

(9) خلقُه آدمَ على هيئته

وهذه الآيات التي تذكر اليد لله:

﴿30﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ [المائدة 5:64]

﴿31﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ [الفتح 48:10]

﴿32﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [يس 36:83]

وهذه الآيات تذكر الوجه لله:

﴿33﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [البقرة 2:115]

﴿34﴾ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ [البقرة 2:272]

﴿35﴾ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ [الروم 30:39]

الآية التالية تذكر النفس لله:

﴿36﴾ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ [المائدة 5:116]

الآية التالية تذكر العين لله:

﴿37﴾ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي [طه 20:39]

الآية التالية تذكر اليد اليمنى لله:

﴿38﴾ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ [الزمر 39:67]

يذكر الحديث الآتي الإصبع لله:

﴿3﴾ إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن. (مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر بن العاص، ج 11، ص 130، رقم 6569)

هذا الحديث يذكر الأصابع لله.

يذكر الحديث التالي القدم لله:

﴿4﴾ عن أبي هريرة ... "يقال لجهنم هل امتلأت و تقول هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط." (صحيح البخاري، كتاب سورة ق، باب قوله وتقول هل من مزيد، ص 858، رقم 4849)

الحديث التالي يذكر النزول لله:

﴿5﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ... (أبو داؤد، كتاب التطوع، باب أي الليل أفضل، ص 197، رقم 1315)

الحديث التالي يذكر أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام على صورته:

﴿6﴾ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا." (صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، ص 1084، 6227؛ صحيح مسلم، كتاب الجنة و نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ص 1234، رقم 7163/2841)

جاء في هذا الحديث أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام على صورته.

هذه كلمات متشابهات، ومطلوب منا عدم الخوض لاستكشاف معناها.

فهذه 38 آية و 6 أحاديث عن هذه العقيدة.

المبحث الثامن والعشرون

القلم واللّوح

سنذكر 4 آيات وحديثين عن هذه العقيدة، والتفاصيل كما يلي:

ويُعلم من القرآن والحديث أن الله خلق القلم للكتابة، وطلب منه أن يكتب فكتب كل ما طلب منه كتابته. وأما كيفيته فلا يُعرف، فهي معلومة عند الله وحده.

ها هي الآيات:

﴿1﴾ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** [القلم 68:1]

﴿2﴾ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** [العلق 96:34]

وقد جاء في الحديث:

﴿1﴾ قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ ... سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ". يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي". (أبو داؤد، كتاب السنة، باب في القدر، ص 664، رقم 4700؛ سنن الترمذي، كتاب القدر، باب اعظام أمر الإيمان بالقدر، ص 495، رقم 2155)

ويتضح من هاتين الآيتين والحديث أن القلم من خاصة خلق الله تعالى خلقه أولاً وأمره بكتابة كل شيء إلى يوم القيامة وما بعده، وكتب القلم كل ما أُمر. لكن هذا القلم ليس مثل قلمنا، والله وحده يعلم كيف هو.

ما هو اللّوح؟

وكذلك اللوح، إن الله وحده يعلم ما هو كيف هذا اللوح. ولا يستطيع الجن والشياطين الوصول إلى اللوح ليغيروه أو يشوهوه. فإن القرآن الكريم كان محفوظاً في هذا اللوح، ولا يزال كذلك، ثم أنزل على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كما هو اليوم.

هذه بعض الآيات:

﴿3﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [البروج 2122:85]

﴿4﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ [الواقعة 7778:56]

وقد جاء في الحديث:

﴿2﴾ عن عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ: "... قال كان الله قبل كل شيئ، و كان عرشه على الماء، و كتب فى اللوح ذكر كل شيء." (مسند أحمد، حديث عمران بن حصين، ج 33، ص 107، رقم 19876)

فعُلم من هاتين الآيتين والحديث أن القرآن كان موجودا ومحفوظا في اللوح المحفوظ، ومن هناك نُزّل على النبي الكريم ﷺ، كما عُرف أن كل ما كان وما سيكون مذكور في اللوح المحفوظ.

فهذه 4 آيات وحديثين حول هذه العقيدة.

المبحث التاسع والعشرون

ما الإيمان؟

سنذكر 14 آية و 6 أحاديث حول هذه العقيدة، تفاصيلها كما يلي:

إذا كان الشخص يؤمن بالأشياء الستة التالية، فيكون مؤمنًا. إذا أنكر أيًا من هذه الأشياء الستة، فيكون كافرًا، ولكن إذا لم ينكر أيًا من هذه الأشياء الستة، فلن يكون كافرًا وسيظل مسلمًا ولا يجوز أن يُرمى كل مخالف بالكفر.

فالإيمان أن تؤمن: (1) بالله (2) والأنبياء (3) وكتب الله (4) والملائكة (5) واليوم الآخر (6) والقدر.

وقد ورد في "العقيدة الطحاوية" بأن الإيمان بهذه الأشياء الستة لازمة:

"والإيمان هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وحلوه ومره." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيده 66، ص 15)

فبالإيمان بهذه الأشياء الستة يكون الإنسان مؤمنًا.

فيما يلي الدلائل على هذه المعتقدات الستة:

﴿1﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [البقرة 2:285]

﴿2﴾ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ [البقرة 2:177]

وقد جاء في الأحاديث:

﴿1﴾ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " . قَالَ صَدَقْتَ ... ثُمَّ قَالَ لِي "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ". قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ص 25، رقم 93/8)

﴿2﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ ... فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ" . فَقَالَ أَتَشْهَدُ أَنْتَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ "آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ". (سنن الترمذي، باب ما جاء في ذكر ابن صياد، ص 516، رقم 2247)

فهذه الآيات والأحاديث تذكر الإيمان بستة أمور، فمن يؤمن بهذه الأشياء الستة، فيصبح مؤمنًا، وإلا فلا.

معنى الإيمان بالله

الإيمان بالله يعني الإيمان بذات الله وصفاته. والكافر من ينكر الله ولا يؤمن بأن الله هو الخالق، بل يقول إن العالم خُلق من تلقاء نفسه، كما يقول الملحدون. أما المشرك من يؤمن بالله، ويؤمن بأنه خالق الدنيا، ولكن يؤمن بآلهة كثيرة، فيكون مشركاً. انظر إلى باقي التفاصيل في مبحث الشرك.

معنى الإيمان بالكتب

أن جميع الكتب التي أنزلها الله حق كما في الآية (آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ: البقرة 2:285). كذلك نعتقد أن تلك الكتب كانت كافية للإرشاد إلى الحق في عصورهم. فالإيمان بكتب الله أيضًا من المعتقدات الستة المذكورة أعلاه، والتي يجب أن نؤمن بها، على الرغم من اختلاف التفاصيل الأخرى، فلا يجوز العمل عليها الآن، لأنها قد نسخت بنزول القرآن، لذلك علينا أن نعتقد باحترام كل الكتب السماوية المنزلة من الله ولكن نتبع شريعة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقط.

ثم أن آخر كتاب أنزله الله هو القرآن. فلإيمان بالقرآن له ثلاثة أشكال:

الأول: الإيمان بالقرآن

هو الإيمان بكل آية منه بأنه وحي من عند الله. ومن أنكر ولو إحدى هذه الآيات فهو كافر.

الثاني: إثبات الأمر بآية صريحة

إذا تم إثبات الأمر بآية صريحة، فمن اللازم الإيمان به وإطاعته. ومن أنكر ولو إحدى هذه الآيات فهو كافر. مثلاً: ثبتت الصلاة والصوم بآيات صريحة، فمن أنكرها مثلاً قال بأنه لا يؤمن بالصلاة، أو لا يؤمن بالصيام، فإنه يكفر؛ لأنه أنكر آية من القرآن الكريم.

وهذا ما ورد في كتب الفقه أنه من أنكر من أمور الدين الضرورية فهو كافر. أما إذا اعتقد الإنسان بوجوب الصلاة وجوب الصيام، ولا ينكرها، بل يتركها بسبب الكسل، فإنه لا يكفر، وإن كان فاسقاً.

مبدأ قبول تفسير آية غير واضحة

الثالث: أن الآية غير واضحة، ومعناها غير واضح، ولم يرد معناها في حديث واضح. فمثلاً إذا ذكر اثنان من المفسرين معنيين، فإنه يعتقد أن هذه آية نزلها الله، لكنه يؤمن بتفسير واحد، ولا يؤمن بالتفسير الآخر، فلا يصير كافراً لأنه قبل الآية، وإنما لم يقبل تأويلها، فلا يكفر.

ومن اللازم أن تذكر هذا المبدأ، وإلا فإن العديد من الطوائف تفعل ذلك بتفسير آية غامضة حسب تأويلها، فيسمون أتباع الطوائف الأخرى بالكفر الذين لا يقبلونها وحتى لا يصلون خلفهم، وإذا صلى أحدهم صلاة الجنازة على من ينتمي إلى مذهب آخر، فيحكم على من يصلي الجنازة بالكفر وفسخ النكاح.

تأمل هذه النقطة، كيف انقسم المسلمون بهذا الموقف، وما مصير المسلمين اليوم بسبب مثل هذه القضايا.

إن إنكار الآية يجعل المرء كافراً. فيما يلي بعض الآيات التي تثبت هذه النقطة:

﴿3﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ [آل عمران 3:4]

﴿4﴾ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [آل عمران 3:19]

﴿5﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [آل عمران 3:21]

﴿6﴾ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ [الأنعام 6:33]

في كل هذه الآيات أن من لم يؤمن بآيات الله فهو كافر. وأن كفر الآية يعني إنكار أي آية من القرآن، أو إنكار أمر صريح ثابت من الآية، يجعل المرء كافراً.

معنى الإيمان بالرسل

وتذكر الآية (آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ: البقرة 2:285) أن جميع الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله كانوا على الحق وعلينا أن نؤمن بأن جميع الرسل والأنبياء قد بعثهم الله، وشريعتهم كانت حقة. فكانت جميع مكونات الإيمان (الإيمان بالله، والنبي، والكتاب، والملائكة، والآخرة، والقدر) واحدة بين جميع الأنبياء، على الرغم من أن أحكام الشريعة مثل الصلاة والصوم وما إلى ذلك كانت مختلفة، فلا نعمل على تلك الأحكام بل نؤمن بالمعتقدات الستة الأساسية فقط.

كل نبي دعا الناس إلى الإيمان بهذه الأمور، كما يقول القرآن:

﴿7﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [البقرة 2:285]

وقد جاء في هذه الآية أنه جميع الرسل السابقين دعوا الناس أن يؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله. لذلك يلزم علينا أن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل بأنهم أرسلوا من الله لدعوة الناس إلى الحق، ولا بد من احترامهم ومحبتهم، فلا يجوز الإساءة إليهم بأدنى شيء.

ومن ينكر أحدا من هذه المعتقدات يكون كافرا

إذا أنكر أحد هذه المعتقدات الستة فهو كافر، ولكن إذا لم ينكر أيًا من هذه المعتقدات الست، فلن يكون كافرًا، بل يبقى مسلمًا؛ لذلك لا يجوز إعلان الكفر في الأمور التافهة.

والدليل على ذلك عبارة العقيدة الطحاوية:

"ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله الله فيه" (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 61، ص 15)

جاء في هذا النص أنه إذا أقر المسلم بهذه المعتقدات الستة، فإنه بإنكار أي منها يخرج عن الإيمان، ولكن إذا لم ينكر إحداها يبقى مؤمناً. وبنفس الطريقة، فإن ارتكاب الكبائر لا يجعله كافراً. نعم، إذا رأى أنه يحل إرتكاب الكبائر، فإنه يكفر؛ لأن اعتبار الكبيرة حلالاً هو إنكار الآية التي تحرم الكبائر.

الإيمان هو إقرار باللسان وتصديق بالقلب

يجب على المرء أن يصدق بقلبه جميع المعتقدات الستة الضرورية للإيمان، وأن يقر بلسانه أيضًا بأنه مسلم. وأما إذا لم يصدق بقلبه بل أقر بلسانه فقط فلا يكون مؤمناً، بل يكون منافقاً.

لابد من الإقرار باللسان لإجراء الأحكام الدنيوية، على سبيل المثال: صلاة الجنازة، تزوج المسلمة، لأنه من لم يعترف بالإسلام فكيف يعرفه أحد بأنه مسلم وكيف ينفذ أحكام الشريعة عليه.

كما في العقيدة الطحاوية:

"والإيمان هو الإقرار باللسان، و التصديق بالجنان" (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 62، ص 15)

نفي الإيمان خوفا من القتل

إذا كان الإيمان موجودا في القلب، ولكنه أنكر الله بلسانه خوفًا من القتل، فسيبقى مؤمنًا، لأن الإيمان الحقيقي هو الإيمان بالله من القلب.

والدليل على ذلك الآية التالية:

﴿7﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [النحل 16:106]

ذكر في هذه الآية أمران:

(1) إذا كان الإنسان لا يؤمن بالله من القلب، فإنه حتى لو تكلم بلسانه، فهو غير مؤمن بالله.

(2) إذا كان الإيمان في القلب، ولكن أنكر الله بلسانه إكراهًا فهو مؤمن، ولا يصح تكفيره.

﴿8﴾ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ [المجادلة 58:22]

وهذه الآية تدل على أن رسوخ التوحيد في القلب هو الإيمان الحقيقي.

﴿3﴾ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ. (صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان و نقصانه، ص 10، رقم 44)

﴿4﴾ عن أنس بن مالک قال قال رسول الله ﷺ: "... ثم يخرج من النار من قال لا إله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة." (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص 102، رقم 3478/193؛ صحيح البخاري، باب كتاب التوحيد، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ص 1294، رقم 7510)

فعُلم من هذه الآيات والأحاديث أنه إذا كانت في القلب ذرة إيمان فإنه يدخل الجنة، أي أن تصديق القلب هو الإيمان الحقيقي.

لسنا ملزمين أن ننظر إلى القلب

من اعترف بالإيمان بلسانه، فلا يلزمنا التحقيق فيما إذا قاله بقلبه أم لا، بل نعتبره مؤمناً وتلزم عليه أحكام الإسلام. نعم، إذا ظهر الكفر أو الشرك، فإنه يعتبر كافراً. فمثلاً إذا اعترف بإيمانه وسجد أمام الأصنام، فإنه يعتبر كافراً.

كما جاء في الحديث:

﴿5﴾ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ... فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً فَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ " . قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاَحِ . قَالَ " أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ " . فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ. (صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا اله الا الله، ص 56، رقم 277/96؛ أبو داؤد، كتاب الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون، ص 381، رقم 2640)

يتبين من هذا الحديث أنه إذا قال لا إله إلا الله باللسان فلا داعي للاستفسار هل في قلبه إيمان أم لا. اليوم يرمي الناس غيرهم بالكفر والشرك في الأمور التافهة وهم يتشددون في هذا الشأن. هذا مخالف للحديث.

العمل جزء من الإيمان

العمل جزء من الإيمان، لذلك مكتوب في بعض الكتب في تعريف الإيمان: "هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان".

ومع ذلك، هناك شيء واحد مؤكد أنه إذا عمل المرء ضد أصول الإيمان، فإنه يعتبر كافرًا. فمثلاً يمنع القرآنُ من السجود لغير الله وهو يسجد أمام الأصنام، فإن هذا الفعل يجعله كافراً لأنه عمل ضد آية صريحة.

فقد جاء في القرآن:

﴿9﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى [طه 20:82]

﴿10﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [العصر 103:2-3]

﴿11﴾ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ [البقرة 2:62]

هذه الآيات تؤكد على الإيمان والعمل الصالح، مما يدل على أن العمل الصالح أيضاً جزء من الإيمان.

الكلمة الطيبة مركب من آيتين

الكلمة الطيبة " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ" هي مركب من آيتين؛ إحداهما "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، والأخرى "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ".

كما في هذه الآية:

﴿12﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ [محمد 47:19]

﴿13﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ [الصافات 37:35]

والجزء الثاني للكلمة الطيبة مذكور في هذه الآية:

﴿14﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [الفتح 48:29]

وفي الحديث:

﴿6﴾ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ." (صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، ص 5، رقم 8)

فهذه 14 آية و 6 أحاديث عن هذه العقيدة، وقد قرأت تفاصيلها.

المبحث الثلاثون

القدر

سنذكر آيتين و 6 أحاديث حول هذه العقيدة، وتفاصيلها كما يلي:

القدر يعني أن الله قد كتب شيئًا ما في قدر الإنسان ويحدث كما هو. لقد قدر الله كل شيء لكل إنسان، ثم يستمر السعيد في عمل الخير بمحض إرادته ويدخل الجنة، ويواصل الشقي السيئات بإرادته وبسبب ذلك يدخل الجحيم، كل يُجزى حسب عمله.

يجب على المرء أن يؤمن بالقدر، فإنه أحد مكونات الإيمان الستة.

وهذه آيات من القرآن:

﴿1﴾ **وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** [**يونس** 10:61]

﴿2﴾ **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ** [**القمر** 54:5253]

القدر مذكور في هذه الآيات، لذا لا بد من الإيمان بالقدر.

وفي الحديث:

﴿1﴾ عَن عبَادَة بن الصَّامِت قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم يَقُول "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ فَقَالَ اكْتُبْ فَقَالَ مَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبِ الْقَدَرَ

مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ." (أبو داؤد، رقم 4700؛ سنن الترمذي، رقم 2155)

﴿2﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَتَبَ اللَّهُ مقادير الْخَلَائق قبل أَن يخلق السَّمَوَات وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» قَالَ: «وَكَانَ عَرْشُهُ على المَاء." (صحيح مسلم،باب حجاج آدم و موسى، ص 1156، رقم 6748/2653)

﴿3﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ". (سنن الترمذي، باب ما جاء أن الإيمان بالقدر خيره و شره، ص 493، رقم 2144)

قد ورد في هذه الأحاديث والآيات أن القدر حق، ولا بد من الإيمان به.

القدر نوعان: القدر المبرم و القدر المعلّق

القدر المبرم: إن هذا النوع من القدر لن يتغير، فهو قطعي، كما هو مكتوب في مصير الشخص أنه سيموت في الخمسين من سنه، لذلك من المؤكد أنه سيموت في الخمسين.

القدر المعلق: أن هذا النوع من القدر معلق وهذا يعتمد على فعل شيء ما، وقد يتغير مصيره عندما يفعله الرجل، فمثلاً إذا كنت تخدم أمك فسيزيد عمرك، فيكبر السن بسبب الخدمة. ولكن الله يعلم هل يخدم هذا الرجل أمه أم لا، وهل يزداد عمره أم لا؟

دليل النوع الثاني من القدر ورد في هذا الحديث:

﴿4﴾ عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لاَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ". (الترمذي، باب ما جاء أن لا يرد القدر إلا الدعاء، ص 492، رقم 2139)

في هذا الحديث أنه بسبب الدعاء يمكن تغيير قضاء الله أو زيادة الحياة بسبب فعل الخير. هذا في القدر المعلق، ولكن هل يفعل ذلك أم لا، هذا في علم الله تعالى فقط.

يعمل المرء حسب طبيعته

إن القدر حق، لكن السعيد يوفق للخير فيدخل الجنة بحسناته، ويستمر الشقي بالسيئات فيستحق النار بسبب سيئاته، كما جاء في الحديث:

﴿5﴾ عَنْ عَلِيٍّ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ... مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلاَّ قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً ". فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ. قَالَ " أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ"، ثُمَّ قَرَأَ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} الآيَةَ. (صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر و قعود أصحابه حوله، ص 218، رقم 1362)

يتضح من هذا الحديث أن من كُتب له الخير سيستمر في عمل الخير، ومن كُتب له الشر سيستمر في فعل السيئات.

لا ينبغي مناقشة القدر

من الصعب فهم القدر، لذا منعنا من المناقشة والخوض فيه، كما في الحديث:

﴿6﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي الْقَدَرِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ فَقَالَ "أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تَتَنَازَعُوا فِيهِ". (سنن الترمذي، باب ما جاء في التشديد في القدر، ص 490، رقم 2133)

المبحث الحادي والثلاثون

ما هي القدرة والخلق والكسب؟

سنذكر 8 آيات وحديثين حول هذه العقيدة، وتفاصيلما كما يلي:

هذا المبحث يشتمل على ثلاثة أشياء: الاستطاعة، والخلق، والكسب. من المهم أن نفهم الثلاثة.

ما هي القدرة؟

القدرة تعني أن لديك كل التسهيلات للقيام بعمل ما، وكل الوسائل متاحة، وهذا هو مدار التكليف لإطاعة أوامر الله. إن يملك رجل هذه أربع قدرات، فإنه يملك القدرة.

(1) أن يكون المرء بصحة جيدة حتى يقوم بالعمل

(2) يمتلك المرء القوة للقيام بالعمل

(3) المرء لديه القدرة على القيام بالعمل

(4) المرء أطرافه سليمة للقيام بالعمل

إذا توفرت هذه الأشياء الأربعة، فالعمل واجب على الإنسان، وسميت بالقدرة الميسرة.

وبعد هذه الأشياء الأربعة، إذا أراد الإنسان العمل وجعله الله يقوم بذلك العمل، فهذا يسمى التوفيق، والتوفيق من عند الله. هذا مذكور في العقيدة الطحاوية:

"والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به (تكون) مع الفعل و أما الاستطاعة من جهة الصحة و الوسع و التمكن وسلامة الآلات، فهى قبل الفعل و بها يتعلق الخطاب، و هو كما قال تعالى: لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً اِلَّا وُسْعَهَا." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 85، ص 18)

هذا النص يذكر قدرتين، إحداهما خلق الفعل، وهذه صفة الله، والمخلوق لا يملك هذه القدرة. وهناك قدرة أخرى، أن يكون المرء بصحة جيدة، وأن تكون له القدرة على العمل، وأن تكون أطرافه سليمة، فإن أمر الله يأتي على هذا النوع الثاني من القدرة.

تذكر هذه الآيات القدرة:

﴿1﴾ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا [آل عمران 3:97]

﴿2﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ [النساء 4:25]

كما أن الحديث أيضاً يذكر ذلك:

﴿1﴾ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: { كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ, فَسَأَلْتُ اَلنَّبِيَّ – ﷺ – عَنْ اَلصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: "صَلِّ قَائِمًا, فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ

فَقَاعِدًا, فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ". (صحيح البخاري، كتاب التقصير، باب إذا لم يطق قاعدا صلى إلى جنب، ص 179، رقم 1117)

يتضح من هاتين الآيتين والحديث أن القدرة تعني توافر جميع الوسائل للعمل بالحكم، وهذا هو أساس الأحكام.

ما هو الكسب؟

عندما تريد أن تفعل شيئًا فأولاً تنوي ثم تتبنى وسائل ذلك العمل، ثم تفعله بقصدك الخاص، فالقيام بالشيء نفسه يسمى الكسب. وهذا هو أساس الثواب والعقاب؛ لأنك فعلت ذلك بإرادة منك.

الآيات التالية تذكر الكسب، كما تذكر أن الثواب أو العقوبة يترتب على الكسب.

فيما يلي بعض الآيات المتعلقة بالكسب:

﴿3﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [آل عمران 3:25]

﴿4﴾ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [آل عمران 3:161]

﴿5﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة 2:81]

يتضح من هذه الآيات أن كل ما نكسبه بإرادتنا يترتب عليه الثواب أو العقاب.

ما هو الخلق

الخلق من الله، وحتى الأعمال اللتي نكسبه مخلوقة من الله، ولكن لأننا نعتزم فعل الخير أو الشر، ثم نقوم بذلك بمحض إرادتنا، وبسبب ذلك خلق الله عملنا، فنحن نؤجر أو نعاقب للقيام بذلك العمل.

هناك كثير من الآيات التي تقول بأن الله خالق كل شيء، مثلاً:

﴿6﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ [الزمر 39:62]

﴿7﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ [غافر 40:62]

فتتبين من هذه الآيات أن الله خالق كل شيء خيراً كان أم شراً، فمهما حصل لنا من كسبنا فهو من خلق الله. لقد كان هناك الكثير من الخلاف حول هذه المسألة في الماضي. راجع بقية التفاصيل في المبحث: "الله خالق كل شيء".

ميثاق "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"

إن الله تعالى أخرج أرواح بني آدم من ظهر آدم وأخذ العهد على ربوبيته وتوحيده، إنه يقال "عهد ألست". والآية التالية دليل على هذا العهد:

﴿8﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ [الأعراف 7:172]

وفي الحديث:

﴿2﴾ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَخذ الله الْمِيثَاق من ظهر آدم بنعمان يَعْنِي عَرَفَة فَأخْرج من صلبه كل ذُرِّيَّة ذَرَاهَا فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ

يَدَيْهِ كَالذَّرِّ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا قَالَ: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ الخ. (مسند أحمد، مسند عبد الله بن عباس، 4، ص 267، رقم 2455)

فهذه الآية والحديث يسلطان الضوء على هذا العهد.

فهذه 8 آيات وحديثان عن هذه العقيدة.

المبحث الثاني والثلاثون

كان الشرك محرّماً في جميع الأديان السماوية

نذكر 34 آية و 6 أحاديث عن هذه العقيدة، وتفاصيلها كما يلي:

أن أعظم الذنوب الشرك والكفر. وقد جاء في كثير من الآيات أن جميع الأمم السابقة أمروا باجتناب الشرك مع الله، منها:

﴿1﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران 3:64]

﴿2﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الزمر 39:65]

﴿3﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [الأنعام 6:14]

﴿4﴾ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ [الرعد 13:36]

جميع هذه الآيات تؤكد أن الشرك حرام ولا يجوز أصلاً.

كان العرب يؤمنون بالله ولكن كانوا مشركين

كان العرب يؤمنون بالله، ولكنهم كانو يشركون بالله في صفاته، وهذا ما ورد في عدة آيات:

﴿5﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ [يونس 10:31]

﴿6﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [العنكبوت 29:63]

﴿7﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [الزخرف 43:87]

﴿8﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [الزمر 39:3]

فقد جاء في هذه الآيات أن المشركين بمكة كانوا يؤمنون بالله، لكنهم كانوا يعبدون الآلهة والأصنام ليجعلوهم أقرب إلى الله، لأنهم كانوا يظنون أن هذه الأصنام قد منحها الله القدرة على أن يكونوا متوسطين بينه وبين الناس. ولكن حذر الله تعالى بأنهم على خطأ عظيم.

إن الله لن يغفر الشرك

﴿9﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا [النساء 4:48]

﴿10﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ [الزمر 39:6566]

﴿11﴾ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [المائدة 5:72]

قد جاء في هذه الآيات أنه إذا مات الإنسان في الشرك ولم يتب عن هذا الذنب العظيم قبل الموت فلن يغفر له الله تعالى بل سيحرق في النار إلى الأبد.

الشرك في ذات الله

هناك أنواع كثيرة من الشرك، لكن اثنين منها حرجان للغاية. أحدهما أن يشرك مع الله في ذاته، بأي يؤمن بإلهين. والشرك الآخر إشراك غير الله في العبادة؛ فعلى المرء أن يؤمن بالله وحده ولا يشرك معه، ولا يعبد إلا إياه.

كما يقول القرآن الكريم:

﴿12﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ [النحل 16:51]

﴿13﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ [الأنعام 6:19]

﴿14﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ [المائدة 5:73]

﴿15﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ [البقرة 2:163]

﴿16﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا [الأنبياء 21:22]

﴿17﴾ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [آل عمران 3:62]

جاء في حوالي 140 آية بأنه لا إله إلا الله.

عبادة غير الله

جميع أنواع العبادات كالسجود والركوع والوقوف أمام غير الله كالعبادة شرك وحرام.

فيما يلي بعض الآيات:

﴿18﴾ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [الإسراء 17:23]

﴿19﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [غافر 40:66]

﴿20﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة 1:5]

﴿21﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ [هود 11:2]

﴿22﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ [هود 11:26]

﴿23﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ [فصلت 41:14]

فهذه الآيات تقول: لا يجوز لأحد أن يعبد غير الله، والعبادة هي السجود والركوع والوقوف على هيئة العبادة، فلا بد من الامتناع عن كل هذه الأمور. وبارتكاب هذه الأمور يصبح المرء مشركًا، وأن الله لن يغفر له أبدًا، وسيبقى في النار أبداً.

السجود والركوع لغير الله

السجود والركوع لغير الله عبادةً شرك، وكذلك السجود أمام غير الله احتراماً حرام، كما لا يجوز الركوع أمامه عبادة؛ لأنها نوع من العبادة.

فيما يلي بعض الآيات:

﴿24﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [فصلت 41:37]

﴿25﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الحج 22:77]

﴿26﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا [النجم 53:62]

﴿27﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ [آل عمران 3:43]

﴿28﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ [البقرة 2:43]

في هذه الآيات أن الركوع والسجود لله وحده، فلا يجوز لأحد أن يسجد لغيره، ولا يجوز أن يسجد لأحد. فقد جاء في الحديث:

﴿1﴾ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَقُلْتُ رَسُولُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ قَالَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ إِنِّي أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ. قَالَ " أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ". قَالَ قُلْتُ لاَ. قَالَ "فَلاَ تَفْعَلُوا لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ". (أبو داؤد، كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة، ص 309، رقم 2140؛ ابن ماجة، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، ص 265، رقم 1853)

فقد جاء في هذا الحديث بأن السجود لغير الله احتراماً حرام أيضاً.

لا يمكننا أن نقول بأن فلاناً جهنميٌّ أو جنّتيٌّ

لا يمكن للمرء أن يقول لأحد بأنه من أهل جهنم أو من أهل الجنة ما لم يتم تحديده في القرآن أو الحديث.

لو سمى القرآن أو الحديث أحدا بأنه من أهل الجنة أو من أهل جهنم، فيمكن القول إن الشخص المعين هو من أهل الجنة أو من أهل جهنم. أما إذا لم يُدعى بذلك فمن الممكن أن يكون من أهل الجنة بظاهر أحواله ولكنه من أهل جهنم عند الله، أو من أهل جهنم بظاهر أحواله ولكنه من أهل الجنة عند الله؛ لأن الإيمان من شأن القلب والله أعلم بأحوال القلوب.

نعم، إذا كانت في شخص ما علامة من علامات الكفر، فإنه لعلامة الكفر يحتمل أن يكون كافرا، ويطلق عليه حكم الكافر، ولا يمكننا أن ندعوه كافرا. لذلك، لا ينبغي أن يسمى شخص بالكفر أو يدعى عن شخص بأنه من أهل الجنة.

وهذا نص العقيدة الطحاوية:

"ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا، ولا نشهد عليهم بالكفر ولا بشرک ولا بنفاق مالم يظهر منهم شيء من ذلک ونذر سرائرهم إلى الله تعالى." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 70، ص 16)

يتضح من هذه العبارة أننا لا نستطيع أن نقول بشكل قاطع عن أي شخص أنه من أهل الجنة أو من أهل جهنم. كما يقول القرآن:

﴿29﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ [الحجرات 49:12]

﴿30﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ [الحجرات 49:11]

قد مُنعنا في هذه الآيات من الظن والتخمين مما يدل على أننا لا نستطيع أن نطلق على أي شخص بأنه من أهل جهنم أو بالعكس. فقد جاء في الحديث:

﴿2﴾ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الأَنْصَارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ قَالَ "أَوَغَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ ". (صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة و حكم موتى أطفال الكفار و أطفال المسلمين، ص 1159، رقم 6768/2662)

وقد ورد في هذا الحديث أن الله يعلم من هو من أهل الجنة ومن هو من أهل جهنم، فلا يمكننا أن نطلق على أي شخص بأنه من أهل جهنم أو من أهل الجنة.

الكبائر والصغائر

الكبيرة: كل ذنب يلحق الوعيد أو اللعنة بصاحبه بنص الكتاب أو السنة، وجمعه كبائر.

الكبائر تغفر بالتوبة، لا تغفر بدونها، نعم يغفر الله حتى كبائر الذنوب إن شاء. ومع ذلك، فإن الشرك كبيرة لن يغفرها الله بدون توبة. ومن يرتكب من الكبائر لا يصبح مشركاً ولا كافراً لإيمانه بالقلب. ومع ذلك يلزم عليه أن يجتنب الكبائر في جميع الأحوال، ويعجل التوبة إذا ارتكب أحداً منها.

الصغيرة هي الذنب الذي لا يلحق صاحبه الوعيد واللعنة على فعله، وجمعه صغائر. إن الأعمال الصّالحة تُكفّر صغائر الذّنوب, والله يغفرها حتى بدون التوبة.

فيما يلي بعض الآيات المتعلقة بالشيء نفسه:

﴿31﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا [النساء 4:31]

﴿32﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ [**النجم** 53:32]

فهذه الآيات تدل على أنك إذا تجنبت الكبائر فربما يغفر الله الذنوب الصغائر.

سيدخل مرتكب الكبيرة الجنة في النهاية

إذا ارتكب المرء ذنباً من الكبائر غير الشرك والكفر، ومات بدون التوبة، فقد يُعاقب على خطيئته ويمكث في النار، ولكن بعد أن يقضي عقوبته، سيدخل الجنة في النهاية؛ لانه يؤمن بقلبه والمؤمن سيدخل الجنة يوما ما.

ومن تاب من الكبائر وقبلت توبته يدخل الجنة بغير عذاب؛ لأنه تاب وقبلت توبته.

كما في هذا الحديث:

﴿3﴾ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي ـ أَوْ قَالَ بَشَّرَنِي ـ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ". قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ " وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ". (صحيح البخاري، كتاب الجنائز، ص 198، رقم 1237؛ صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب الدليل على من مات لا يشرک بالله دخل الجنة، ص 54، رقم 2678/92)

وبحسب هذا الحديث من مات بغير الشرك دخل الجنة، فيدخل الجنة من ارتكب كبائر الذنوب.

وفي حديث آخر:

﴿4﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:... "ثم يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكان فِي قَلْبِهِما يزن ذَرَّة. (صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص 102، رقم 3478/193؛ صحيح البخاري، باب كتاب التوحيد، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ص 1294، رقم 7501)

فعُلم من هذه الآيات والأحاديث أنه إذا كان في القلب إيمان ولو مقدار ذرة دخل الجنة، أي من ارتكب كبائر الذنوب يدخل الجنة.

من استحل الكبيرة يصبح كافراً

من ارتكب ذنباً من الكبائر جهالةً أو إكراهاً وهو يعتبرها إثمًا يعاقَب ولا يكفّر. وأما من يستحل ذنباً من الكبائر التي نهى عنها القرآن صراحة، فإنه يكفّر. لأنه عندما ارتكب المعصية معتبرا أنها جائز، فقد أنكر الآية الصريحة التي تحرّم تلك المعصية، وقد سبق من أصول الإيمان الستة الإيمان بكل آية من القرآن؛ لذلك يكون كافرا بالإنكار. فمثلاً نهي الزنا مذكور في الآية، والآن يعتبره المرء جائزاً، فكأنما أنكر الآية التي تحرّم الزنا فيصبح كافراً. يلزم عليه أن يتوب ويجدد إيمانه.

في العقيدة الطحاوية:

"ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 57، ص 14)

وهذا يعني أنه يعتبر المعصية حلالاً، مما يؤدي إلى إنكار الآية الصريحة، وهذا كفر.

عدد الكبائر

لم يتم تحديد عدد الكبائر، ولكن من أكبر الكبائر: الشرك، والكفر، والقتل، والزنا، والقذف، والسرقة، وشرب الخمر، والربا، وعصيان الوالدين، وشهادة الزور، والهروب من الحرب، وأكل مال اليتيم وما إلى ذلك.

كما أى الآية التالية تذكر بعضاً من الكبائر:

﴿33﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا [الفرقان 25:68]

وفي الحديث:

﴿5﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ". قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ "الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر و أكبرها، ص 53، رقم 262/89)

وقد ورد في هذا الحديث سبعة أنواع من الكبائر.

وفي حديث آخر:

﴿6﴾ عَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ " أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ - ثَلاَثًا - الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ ". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر و أكبرها، ص 53، رقم259/87)

﴿34﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا [النساء 4:93]

في هذه الآية أن من قتل مؤمناً ظلماً فعذابه جهنم يخلد فيه. لكن هذا للتأكيد، وإلا سيذهب المرء إلى الجنة يومًا ما بسبب إيمانه.

فهذه 34 آية و 6 أحاديث عن هذه العقيدة.

المبحث الثالث والثلاثون

الارتداد عن الدين

سنذكر آية واحدة و 8 أحاديث عن هذه العقيدة، وتفاصيلها فيما يلي:

وقد سبق تحت مبحث الإيمان أنه إذا آمن المرء بستة أمور فإنه مؤمن. وهذه هي المعتقدات الستة: (1) الإيمان بالله (2) والإيمان بالرسل (3) والإيمان بالكتب السماوية (4) والإيمان بالملائكة (5) والإيمان بالآخرة (6) والإيمان بالقدر. إذا أنكر مسلم أيًا من هذه الأمور الستة، فسيصبح مرتدًا.

وقد ورد في العقيدة الطحاوية:

"ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله الله فيه." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة: 61، ص 15)

يعني أنه عندما يُسْلِم الإنسان باعترافه بهذه الأشياء الستة، فإنه يخرج عن الإيمان بإنكار أي منها، ولكن إذا لم ينكر أيًا منها، فسيبقى مؤمنًا.

يعاقِب القاضي المرتد حسب الشريعة

يقول الله تعالى:

﴿[1]﴾ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة 2:217]

وقد ورد في الحديث:

﴿1﴾ عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ أُتِيَ عَلِيٌّ ـ رضى الله عنه ـ بِزَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ ... لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ " مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ ". (صحيح البخاري، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، ص 1193، رقم 6922)

﴿2﴾ عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ رَجُلاً، أَسْلَمَ ثُمَّ تَهَوَّدَ، فَأَتَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَهْوَ عِنْدَ أَبِي مُوسَى فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ أَسْلَمَ ثُمَّ تَهَوَّدَ. قَالَ لاَ أَجْلِسُ حَتَّى أَقْتُلَهُ، قَضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثلاث مرات فأمر به فقتل. (صحيح البخاري، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، ص 1193، رقم 6923)

ثلاثة شروط لقتل المرتد

(1) أن تكون هناك حكومة إسلامية.

الشرط الأول أن تكون هناك حكومة إسلامية ثم يُقتل حتى لا يرتد أي مسلم آخر. فقد جاء في الحديث:

﴿3﴾ عن زيد بن ثابت ﷺ قال لا تقام الحدود في دار الحرب مخافة أن يلحق أهلها بالعدو. (السنن الكبرى للبيهقى، كتاب السير، باب من زعم لا تقام الحدود في أرض الحرب حتى يرجع، ج 9، ص 178، رقم 18225؛ الأصل لإمام مُحَّد، كتاب السير في أرض الحرب، باب إقامة الحدود في دار الحرب و تقصير الصلاة، ج 7، ص 462)

﴿4﴾ عن حكيم بن عمير كتب إلى عمير بن سعد الأنصاري و إلى عماله، أن لا يقيموا حدا على أحد من المسلمين في أرض الحرب حتى يخرجوا إلى

أرض المصالحة. (السنن الكبرى للبيهقي، كتاب السير، باب من زعم لا تقام الحدود في أرض الحرب حتى يرجع، ج 9، ص 178، رقم 18226)

وبحسب هذا الأثر، حتى لو كان هناك أمير مسلم في دار الحرب، لا يُقام الحدود، فماذا عن إقامة الحدود في أرض لا توجد فيها حكومة إسلامية؟

(2) أن يكون هناك قاضي شرعي يحكم بالعقوبة

الشرط الثاني: أن يكون هناك قاضي مسلم يحكم بالقتل بعد إجراء جميع التحقيقات، ثم يقتل، فهذا ليس عمل الناس. فقد ورد في الحديث:

﴿5﴾ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِنُعَيْمَانَ أَوْ بِابْنِ نُعَيْمَانَ وَهْوَ سَكْرَانُ فَشَقَّ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ مَنْ فِي الْبَيْتِ أَنْ يَضْرِبُوهُ، فَضَرَبُوهُ بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَكُنْتُ فِيمَنْ ضَرَبَهُ. (صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال، ص 1168، رقم 6775)

﴿6﴾ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ جَلَدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْخَمْرِ بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ. (صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال، ص 1168، رقم 6776)

وفي هذين الحديثين حكم النبي ﷺ بإجراء الحدود.

لذلك، حيث لا يوجد قاضي شرعي، لن يتحقق هناك إجراء الحدود، وإلا فستكون فوضى. ومع ذلك، يمكنك أن تطالب العقوبة من ولي الأمر في بلدك، حتى يعاقب من يرتكب مثل هذه الأعمال المخالفة للإسلام.

(3) أن يُستتاب لثلاثة أيام

والشرط الثالث: أن يعطى مهلة ثلاثة أيام للتوبة، ويوضح له حقيقة الإسلام مرة تلو الأخرى، فإن لم يقبل ولو بعد ثلاثة أيام يقتل.

فقد ورد في هذا الأثر:

﴿7﴾ عن علي ﷺ قال يُستتاب المرتد ثلاثا. (مصنف ابن أبي شيبة، باب ما قالوا في المرتد كم يستتاب، ج 6، ص 444، رقم 32747؛ سنن البيهقي، باب من قال يحبس ثلاثة أيام، ج 8، ص 359، رقم 16887)

وكان سيدنا عمر ﷺ يؤكد على إعطاء مهلة لثلاثة أيام:

﴿8﴾ "لما قدم على عمر فتح تستر- وتستر من أرض البصرة- سألهم هل من مغربة؟ قالوا رجل من المسلمين لحق بالمشركين فأخذناه، قال ما صنعتم به؟ قالوا قتلناه، قال: قال أفلا أدخلتموه بيتا وأغلقتم عليه بابا وأطعمتموه كل يوم رغيفا ثم استبتموه ثلاثا - فإن تاب وإلا قتلتموه ثم قال اللهم لم أشهد ولم آمر ولم أرض إذا بلغني." (مصنف ابن ابي شيبة،30 ماقالوا في المرتد كم يستتاب،ج 6، ص 444، رقم 32744؛ سنن البيهقي، باب من قال يحبس ثلاثة أيام، ج 8، ص 359، رقم 16887)

فهذا يدل على أنه من الضروري إعطاء المهلة لمدة ثلاثة أيام. ثم إذا استمر في الإصرار على ردته حتى بعد ثلاثة أيام فيُقتل.

من المهم أيضًا مراعاة الظروف في هذا الوقت لأنه قد لوحظ أن رجلًا يتهم شخصًا مسلما بالشرك أو الكفر، ويتجمع الناس لمعاقبته ويطالبون بتسليم

المتهم إليهم حتى يتمكنوا من ضربه حتى الموت. فيأخذون القانون بأيديهم، وهذا الوضع يتسبب الفوضى في البلد ويؤدي إلى تشويه سمعة الإسلام.

لذلك، من الضروري أن يكون هناك قاضي شرعي ليصدر العقوبة على أساس قانون العقوبات الإسلامي، و هذه ليست وظيفة الشعب بل الحكومة الإسلامية.

الإتهام بالكفر بدون دليل

في زماننا هذا، في العديد من البلدان، نرى أن شخصًا ما أخذ بعض جملة لشخص، أو قام بتشويه كلام شخص ما ووصفه بالكفر، بينما ينكره الشخص المعني أو يتوب مرات لا تحصى، ولكن لا يقبل إنكاره ولا توبته، بل يجرأ الناس على قتله. مثل هذه الأعمال تظهر في وسائل الإعلام بشكل متكرر ويجعل الناس يظنون أن الإسلام هو دين يسلب حرية الفرد ويحكم فيه الناس على القتل والإعدام.

رأيت كتابًا كُتب لإثبات ختم النبوة، وقد أثبت المؤلف أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو خاتم أنبياء البشرية والجن والملائكة والعالم أجمع، لكنني رأيت بعض السادة بأن قطعوا جملًا من كتابه وادعوا بأن المؤلف لم يكن مؤمنًا بختم النبوة، وتم الإعلان عن ذلك لدرجة أن الكثير من الناس بدأوا يعتقدون أن المؤلف لم يكن مؤمنًا حقًا في ختم النبوة. عندما رأيت كتابه، فوجئت بالطريقة التي تم بها تحريف جُملِه.

لذلك من الضروري لمثل هذه القرارات أن يكون هناك حكومة أسلامية و قاضي شرعي، ويُمنح المتهم مهلة ثلاثة أيام، وفي كل الأحوال إذا ثبت أنه مسلم فلا يقتل، وإلا فسيكون هناك ظلم عظيم وفوضى كثيرة.

ما هو التعزير؟

يحدد القرآن عقوبات لكثير من الجرائم. وفي البلدان غير الإسلامية لا يمكن أن يعاقب حسب الشرع الإسلامي لعدم وجود القاضي، فيجوز المطالبة بعقوبة مناسبة في بلاد غير مسلمة.

ما هي الحكمة في معاقبة المرتد؟

والحكمة الحقيقية في عقاب المرتد أنه إذا ترك هذه الذنب بلا عقاب في حكومة إسلامية، فإن الآخرين يميلون إلى الكفر، وهذا يفسد آخرتهم ويستحقون النار. فيُتخذ هذه الخطوة لإنقاذ المسلمين.

فهذه آية واحدة و 8 أحاديث حول هذه العقيدة، وقد قرأت تفاصيلها.

المبحث الرابع والثلاثون

من هم أهل القبلة؟

سنذكر آيتين و 5 أحاديث عن هذه العقيدة، تفاصيلها كما يلي:

وأهل القبلة هم الذين يؤمنون بكل ما جاء به الرسول الكريم ﷺ. وقد ورد في العقيدة الطحاوية:

"ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم معترفين، و له بكل ما قال و أخبر مصدقين." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 54، ص 14)

يعني إذا أقر المرء بما جاء به النبي ﷺ من أنه من عند الله، وأكد بقلبه ما قاله النبي ﷺ، فهو مؤمن من أهل القبلة.

وهذا مذكور في الأحاديث التالية:

﴿1﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ ". (صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، ص 69، رقم 391)

﴿2﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ". (صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، ص 69، رقم 392)

الحديث التالي يقول:

حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ... مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَصَلَّى صَلاَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ الْمُسْلِمُ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ. (صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، ص 69، رقم 392/393)

في هذه الأحاديث الثلاثة: إذا كان الرجل من أهل القبلة فهو مسلم. ولا يجوز أن يسميه أحد بالكفر ولا يعمل معه معاملة الكفار.

أهل القبلة الذين يؤمنون بالأمور التالية

أهل القبلة الذين يؤمنون (1) بالله (2) ورسله (3) وكتبه (4) وملائكته (5) واليوم الآخر (6) والقدر.

وقد ورد في العقيدة الطحاوية:

"والإيمان هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، و رسله واليوم الآخر، و القدر خيره وشره و حلوه ومُرّه من الله تعالى." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 66، ص 15)

كما ورد في النص السابق أنه من اعترف بكلام الرسول الكريم ﷺ وصدقها من قلبه فهو مؤمن وهو من أهل القبلة. وقد ذكرت الآيات والأحاديث المتعلقة بهذه الأمور تحت مبحث الإيمان.

يجوز أداء الصلاة خلف إمام فاجر

إذا عين الناس إماماً، فعليهم أن يعينوا إماماً صالحاً تقياً، أما المسلم فله أن يصلي خلف فاسق ولا يترك الجماعة.

في زماننا هذا، يميل الناس إلى عدم أداء الصلاة خلف شخص يختلفون معه في أدنى شيء. يجب علينا أن نتجنب من هذه الاتجاهات للحفاظ على الوحدة الإسلامية.

قد ورد في العقيدة الطحاوية في إمامة الفاجر:

"ونرى الصلوة خلف كل بر و فاجر من أهل القبلة و على من مات منهم." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 69، ص 16)

يتبين من هذا النص أن الصلاة خلف الصالح أفضل، لكن إذا اضطررت إلى الصلاة خلف فاجر، فعليك أن تصليها؛ لأنه يجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر. فقد جاء في الحديث:

﴿3﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الصَّلاَةُ الْمَكْتُوبَةُ وَاجِبَةٌ خَلْفَ كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ". (أبو داؤد، كتاب الصلاة، باب إمامة البر والفاجر، ص 97، رقم 594)

في هذا الحديث أن الإنسان سواء كان صالحاً أو فاجراً تجوز الصلاة خلفه بشرط أن يكون مسلما لا كافرا ولا مشركا.

ومع ذلك ، إذا وجد إماماً صالحاً، فالأولى جعله إمامًا، كما جاء في الحديث:

﴿4﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .... أَلاَ لاَ تَؤُمَّنَّ امْرَأَةٌ رَجُلاً وَلاَ يَؤُمَّنَّ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا وَلاَ يَؤُمَّ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا إِلاَّ أَنْ يَقْهَرَهُ بِسُلْطَانٍ يَخَافُ سَيْفَهُ وَسَوْطَهُ ". (ابن ماجة، كتاب إقامة الصلوة، باب في فرض الجمعة، ص 152، رقم 1081)

وأما إذا كان الرجل مشركا جسب معتقداته فلا يجوز الصلاة خلفه؛ لأنه في الحقيقة ليس بمسلم. اليوم في كثير من الأماكن، لا يصلي الناس من طائفة واحدة خلف شخص من طائفة أخرى، مما يشكل حالة الفوضى في المجتمع. وفقنا الله فهماً صحيحاً!

الإسلام بين التطرف والإمهال

الإسلام دين وسط، بين التطرف والإمهال. فقد ورد في العقيدة الطحاوية:

"وهو [دين الإسلام] بين الغلو و التقصير، و بين التشبيه و التعطيل، و بين الجبر و القدر، و بين الأمن و اليأس." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 104، ص 22)

يعني إنه ليس من الصواب المبالغة والشدة، وليس من المناسب أن تكون مقصّراً مهمِلا. الإسلام دين الوسط والاعتدال. وهذه بعض الآيات من القرآن الكريم:

﴿1﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ [النساء 4:171]

﴿2﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [المائدة 5:87]

هاتان الآيتان تمنعان من التعدي والغلو.

وفي الحديث:

﴿5﴾ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَفَرًا، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ آكُلُ اللَّحْمَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ . فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ . فَقَالَ " مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ

النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ". (صحيح مسلم، كتاب النكاح، ص 586، رقم 3403/1401)

في هذا الحديث أنه لا ينبغي أن يشدد المرء حتى يمل الناس، ولا يتساهل حتى يأخذ الناس في ارتكاب المحرمات.

لقد ذكرنا آيتين و 5 أحاديث حول هذه العقيدة، وقد رأيت تفاصيلها.

المبحث الخامس والثلاثون

التزكية و البيعة

سنذكر 5 آيات و 7 أحاديث عن هذه العقيدة، وتفاصيلها كما يلي:

إذا كان المرشد الروحاني صادقًا مخلصاً وحريصًا على المسترشد ليكون صالحًا، فإنه يفيد المسترشد، كما أن المعلم إذا كان جيد الاستعداد ومخلصاً فيستفيد منه تلميذه. هذا هو الحال مع المرشد الروحاني.

لكن الشرط أن يكون المسترشد أيضًا حريصاً على الخير وجادّاً في طلبه ويجتهد أن يكسب الصلاح والتقوى، عندئذ يستفيد منه وإلا يبقى فارغًا.

يبايع المسترشد على يد المرشد الروحاني ويعهد باتباع الشريعة والالتزام بنصيحته.

الفوائد الأربعة الحاصلة من المرشد الروحاني

لقد أرسل الله تعالى النبي ﷺ لأربع أمور مهمة: (1) تلاوة القرآن (2) تعليم القرآن (3) تعليم الحكمة (4) تزكية النفس. وبالمثل، من واجب المرشد الروحاني أن يعطي لتلميذه هذه الفوائد الأربعة:

وهذه بعض الآيات:

﴿1﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [الجمعة 62:2]

﴿2﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [البقرة 2:129]

إذا كان المرشد الروحاني صادقا مخلصاً، ويُعلِّم هذه الأمور الأربعة لتلاميذه فسيكون مفيدًا لهم.

وقد ورد تفسير ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ في تفسير ابن عباس ﵁ بأنه ينقذ الناس من الشرك بإقناعهم بالتوحيد، وحفظهم من المعاصي بالتوبة، وهذا نص تفسير ابن عباس ﵁:

"﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم بالتوحيد من الشرك، و يقال بالزكاة و التوبة من الذنوب، أي يدعوهم إلى ذلك." (تفسير ابن عباس، الآية 2، سورة الجمعة 62)

أي أنهم من خلال التوحيد يحاولون تزكية التلاميذ من الشرك، ويجعلهم يتوبون عن ذنوبهم. لذلك، هذا لا يعني أنهم سيقومون بأي نوع خاص من تطهير القلب.

وهذه التزكية من الشرك إنما يحدث عندما يكون لدى المرشد الاستعداد وهو أيضاً يتجنب الشرك والذنوب. لكن إذا لم يعمل بجد فلن يحدث شيء.

المرشد التقي أكثر تأثيراً

﴿1﴾ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يَقُولُ " أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ". قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ "خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ." (ابن ماجة، كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له، ص 601، رقم 4119)

في هذا الحديث: أن الصالح إذا رأيته تذكرك رؤيته الله، لذلك يجب أن يكون المرشد تقياً إذا رأيته تذكر الله. ولكن إذا كنت تميل إلى الدنيا برؤيته، أو إذا شعرت بالقلق في صحبته، فما الذي ستحصل من صحبته؟

وقد ورد في الحديث الآتي أن الجلوس إلى جانب أصحاب التقوى له أثر طيب يجعل المرء يرغب في الآخرة، وبالمثل فإن صحبة الرجل الفاسق أو الماكر تجعل القلب يميل إلى الأمور الدنيوية.

كما جاء في الحديث:

﴿2﴾ حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا بُرْدَةَ بْنَ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً (صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار و بيع المسک، ص 338، رقم 2101؛ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، ص 1146، رقم 6692/2628)

في هذا الحديث أن لصحبة الطيبين أو الأشرار أثر عظيم. فهذ الحديث يدل على أنه إذا كان المرشد طيبًا وصادقًا، وكان المسترشد أيضًا صادقًا ومخلصًا، فيمكن الحصول على الفوائد الأربعة السابقة.

البيعة لطلب الدنيا

فقد جاء في الحديث:

﴿3﴾ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ... وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، ... ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ [إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً] (صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب إثم من منع ابن السبيل من الماء، ص 379، رقم 2358)

في هذا الحديث أن من بايع للدنيا لم ينظر الله إليه بالرحمة يوم القيامة، ولا يطهِّره، وله عذاب أليم.

في هذا العصر، جعل بعض الناس البيعة من الأعمال التجارية. يجب أن نكون حذراً يقظين ضد هؤلاء الذين يسرقون التلاميذ الأغنياء باسم البيعة والتلمذة. إنهم لا يتلمذون على الدين والتربية الدينية ولكنهم يجعلونها وسيلة لكسب المال.

نعم هناك رجال طيبون في هذا العالم يرعون الناس ويربّونهم. والله لا أكتب هذا لسوء الظن أو الحقد تجاه أي شخص ولكن لإنقاذ الناس من الخرافات.

البيعة على أربعة أنواع

(1) البيعة للحفاظ على الإيمان

(2) البيعة للجهاد

(3) مبايعة الخليفة

(4) البيعة للثبات على الأعمال الصالحة والتقدم فيها

(1) البيعة للحفاظ على الإيمان

هذا النوع من البيعة مذكور في هذه الآية:

﴿3﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الممتحنة 60:12]

(2) البيعة للجهاد

هذا النوع من البيعة مذكور في هذه الآيات:

﴿4﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [الفتح 48:10]

﴿5﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا [الفتح 48:18]

هاتان الآيتان تتعلقان بالبيعة للجهاد.

(3) مبايعة الخليفة

هذا النوع من البيعة مذكور في الحديث:

﴿4﴾ فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ... فَقَالَ عُمَرُ بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ. (صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، ص 616، رقم 3668)

هذا الحديث دليل على مبايعة الخليفة.

(4) البيعة للثبات على الأعمال الصالحة والتقدم فيها

هذا النوع من البيعة مذكور في الحديث:

﴿5﴾ عَنْ قَيْسٍ، سَمِعْتُ جَرِيرًا ـ رضى الله عنه ـ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ." (صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر، ص 345، رقم 2157)

وقد ورد في هذا الحديث أن الصحابة بايعوا النبي الكريم ﷺ للقيام بالأعمال الصالحة.

كان النبي ﷺ يبايع النساء ولم يمس أيديهن

كان النبي الكريم ﷺ يبايع النساء ولن يمس أيديهن، بل كان يبايعن من وراء الحجاب، كما جاء في الحديث:

﴿6﴾ أَنَّ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ... فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِحْنَةِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ

قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ "، لاَ وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ بَايَعَهُنَّ بِالْكَلاَمِ، وَاللَّهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النِّسَاءِ إِلاَّ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ " قَدْ بَايَعْتُكُنَّ كَلاَمًا." (صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي، ص 945، رقم 5288)

وجاء في هذا الحديث أنه لم يمس أيدي النساء، بل أخذ البيعة بالنطق من اللسان.

في هذا الزمان نرى أن المرأة تجلس أمام الشيخ بدون حجاب وهو ينغمس في أعمال يجب تجنبها في كل حال.

المرشد لا يقدر أن يمنحك شيئا خاصاً

يعطي بعض الشيوخ الانطباع بأنه إذا خدمته فسوف يمنحك بعض البركة الروحية والفيض الخاص، فيخدمه التلاميذ لسنوات للحصول على ذلك الشيء الخاص. وهم يطرحون هذا الحديث كدليلهم، لكن تذكر أن هذه الواقعة حدثت مرة واحدة فقط في الحديث وكانت بمثابة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، ولم تحدث فيما بعد؛ وإلا لكان كل شيخ قد أعطى هذه البركة لأولاده أولاً.

والحديث كما يلي:

﴿7﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ... وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا " لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعَهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي

شَيْئًا أَبَدًا ". فَبَسَطْتُ نَمِرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرَهَا، حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَقَالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا. (صحيح البخاري، كتاب الحرث و المزارعة، باب ما جاء في الغرس، ص 377، رقم 2350)

هذا الحديث يتعلق بمعجزة، لم يكن الأمر كذلك دائمًا؛ وإلا لكان النبي الكريم ﷺ قد أعطى هذا الفيض مرارًا وتكرارًا.

فهذه 5 آيات و 7 أحاديث عن هذه العقيدة، قد قرأتها بتفاصيلها.

المبحث السادس والثلاثون

التمائم والتعويذات

سنذكر 4 آيات و 29 حديثاً عن هذه العقيدة، وتفاصيلها كما يلي:

هناك سبعة أنواع من التعويذات:

(1) التعويذة المباحة من القرآن والحديث لغرض مشروع جائز.

(2) التعويذة المشتملة على الاستعانة من غير الله حرام.

(3) التعويذة المشتملة على الكلمات أو العبارات التي لا يعرف معناها، فربما يستعين بغير الله، وهذا لا يجوز.

(4) التعويذة لدفع أذى العين

(5) السحر

(6) عراف: من يدعي معرفة الغيب. يحرم الذهاب إليه.

(7) إخراج الجن

هناك نوعان من التعويذ:

(1) أحدهما: قراءة القرآن والحديث والنفخ، وقد ثبت ذلك من الحديث.

(2) والثاني: كتابة آية أو حديث وتعليقها حول العنق. يبدو أن هذا النوع من التعويذ ممنوع في الحديث، ولكن انظر الآيات والأحاديث التي يُذكر عنها.

شطارة بعض صانعي التعويذات

لاشك أن هناك أناس طيبون وليس كلهم خبثاء، لكن بعض صانعي التعويذات يتحدث بشكل غامض ومتقطع، ولا يقول أن هناك جنًا ولا ينفي ذلك، بل يقول إن هناك ظلًا من الجن ويتلقى ما يكفي من المال لإخراجه، وإذا لم يحصل أية فائدة خلال شهور، يقول إنني أخرجت جنًا واحدًا، لكن عائلته قد هجمت الآن، الآن سيكلف المزيد من المال لإخراجهم.

في بعض الأحيان، يقول المرء أن الأشخاص المقربين منك قاموا بالسحر أو التمائم، وهكذا هو يخلق العداوة بين الجيران والأقرباء التي تجري طوال الحياة. لذلك من الأفضل أن تتجنب مثل هذه الناس.

فقد جاء في القرآن:

﴿1﴾ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ [**البقرة** 2:102]

في هذه الآية أن السحرة عادة ما يقومون بمثل هذه الأعمال التي يتسبب في الخلاف بين الزوج والزوجة، وأحياناً يؤدي إلى العداء بين الأقارب. في الواقع، يتسبب بعض صانعي التعويذات أيضاً في الشقاق بين الأقارب والجيران.

كما جاء في الحديث التالي أنه إذا اكتشف الكاهن شيئاً ما فإنهم يضافون إليه مائة كذبة:

﴿1﴾ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْكُهَّانَ كَانُوا يُحَدِّثُونَنَا بِالشَّىْءِ فَنَجِدُهُ حَقًّا قَالَ "تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْحَقُّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ وَيَزِيدُ

فِيهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ ". (صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة و إتيان الكهان، ص 989، رقم 2228 /5816)

هذا هو حال أصحاب التعويذات إنهم يكتشفون أمراً ما بتجربتهم ثم إنهم يزيدون فيه أموراً أخرى وكذلك يسعون لكسب ثقة المريض ونهب المال منه.

البيت الذي تُمارس فيه التعويذات يستمر في ورطة

في بعض الأحيان، لوحظ أن المنزل الذي تكون فيه ممارسة التمائم شائعة جدًا، فإن أفراد الأسرة يصبحون مهووسين بها، وإذا حدثت أي مشكلة فيعتقدون أن شخصًا ما قام بالسحر، حتى لو سقط وعاء فجأة من يد، فيعتقدون أنه سقط بسبب سحر أو تميمة شخص ما. إذا أوضحتَ لهم أن الوعاء سقط فجأة، لكنهم لن يفهموا؛ لأن السحر والتميمة قد سادت أذهانهم. ثم يذهبون إلى صانع التعويذات لإزالة هذا السحر المزعوم، فهو يستمر في تحصيل مبلغ كبير من المال من خلال التحدث بشكل متقطع، وإبقائهم عالقين لبقية حياتهم؛ لأنه ينوي فقط تلقي المال.

لذلك، المطلوب الابتعاد عن هذه الأوهام. ولهذا نهى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن بعض التمائم.

التعويذات تمنح راحة البال قليلاً

قال لي صانع التعويذات أربعة أشياء:

(1) إن الرجل الذي نصنع له التعويذات عادة ما يكون مريضاً نفسياً، إما أنه لا يستطيع النوم، أو يتعرض لفرط الخوف، وعندما يأتي صوت يفهم أن هذا هو صوت الجن أو الشيطان، وهو الآن يخاف من هجومه، وأحيانًا لا يحصل على قسط كافٍ من النوم لساعات طويلة بسبب هذا الخوف، فينام فترة، وبسبب قلة النوم يبقى الدماغ متعبًا طوال اليوم، يشعر بألم في الرقبة، مما يجعله يعتقد أن الجن يركب عليه، وهذا يجعله مضطربًا. فإن الجن ليس لديه وقت للركوب على رقبته والبقاء معه تاركا وظيفته. والحقيقة أن هذا يحدث له إما بسبب الخوف، أو بسبب التوتر الداخلي.

عندما يأتي هذا المريض إلي، أفهم أنه يعاني من التوتر والأرق، ولكن القول المستقيم لا يعمل، لذلك أقول خذ هذه التعويذة، سيهرب الجن منك. وهذا يجعل المريض يطمئن على هروب الجن والسحر، وهذا يزيل خوفه، وينام الآن بشكل مريح، وبسبب النوم الكامل ينتهي مرضه. لذا فإن التعويذة لدينا هي نوع من التسلية.

(2) وقال أيضًا إنه ليس لدينا أي كرامة؛ بل نكتب أنواعًا مختلفة من الأدعية، فالله وحده يعطي الأثر، وإن شاء شُفي، وإن لم يشأ فلا يحدث شيء. لهذا السبب ليست أي كرامة في أيدينا.

(3) والشيء الثالث أننا عادة لا نملك جنا يطيع أمرنا، هذا مجرد وهم الناس. فإن صانعي التعويذات يروّجون لهذا لكسب المال. إذا كان هذا هو الحال فلماذا لا يحصلون على المال من الجن، فلماذا يمكرون ويسألون الآخرين؟

(4) والشيء الرابع أننا لا نعرف الغيب، بل نسأل من المريض بعض الأشياء من هنا وهناك، وهذا يعطي لنا فكرة، ثم من ذكائنا ومن تجربتنا نعطي الانطباع بأننا عرفنا كل الأحوال أو أن الجن أعطانا كل المعلومات عنه. لذلك، لكونهم أشخاصًا عاديين، فإنهم يصدقون كلماتنا ويبدأون في فهم أن لدينا معرفة بالغيب، أو أننا نعرف كل شيء عن المريض. وإذا جاء شخص ذكي وفحص أقوالنا، فلا نتحدث معه أكثر، بل نتخلص منه حتى لا يضر بشهرتنا، ولا تتوقف الأموال التي نكسبها.

هذه خلاصة ما قاله أحد من صانعي التعويذات، حسب رأيي هناك بعض الحقيقة في كلماته. اغتنموا ما قاله وانقذوا أنفسكم من الخداع. والله أعلم بالصواب!

التعويذة الشرعية من القرآن والحديث

من المهم أن يكون التعويذة مخصصة للتخفيف من ضائقة الناس، وإذا كانت تهدف إلى مضايقة شخص ما، أو إثارة الكراهية بين الزوجة والزوج، أو زيادة التنفر بين الأقارب، فلا يجوز ويكون حراماً.

يجب أن تحتوي التعويذة على كلمات يستعين بها الله فقط، بل أفضل من الكلمات التي أعطاها النبي صلى الله عليه وسلم، وستكون أكثر فاعلية لاحتوائها على كلام النبي صلى الله عليه وسلم. فقد جاء في الحديث:

﴿2﴾ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ اشْتَكَيْتُ. فَقَالَ أَنَسٌ أَفَلاَ أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَلَى.

قَالَ "اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا". (صحيح البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبيﷺ، ص 1014، رقم 5742)

وقد جاء في هذا الحديث أن الله تعالى وحده هو الشافي، فلا يستعين إلا به.

هناك طريقتان لعمل التعويذة

(1) أحدهما أن يقرأ كلام التعويذة وينفخ على المريض، هذا يجوز؛ لأن الرسول الكريم ﷺ قد قرأ على المريض ونفخ عليه.

(2) والثاني هو كتابة كلمات التعويذة على قطعة من الورق وتعليقها حول العنق أو الذراعين. هذا ليس بجيد، حيث سنناقشه بالتفصيل.

قرأ النبي ﷺ ونفخ على المريض

وهذه بعض الأحاديث:

﴿3﴾ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ " أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا ". (صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، 972، رقم 5707/2191)

﴿4﴾ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ، عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ ثَابِتٌ يَا أَبَا حَمْزَةَ اشْتَكَيْتُ. فَقَالَ أَنَسٌ أَلاَ أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَلَى. قَالَ " اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ، شِفَاءً

لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا. (صحيح البخارى، باب رقية النبى ﷺ، ص 1014، الرقم: 5742)

﴿5﴾ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ الدَّوَاءِ الْقُرْآنُ. (ابن ماجة، كتاب الطب، باب الاستشفاء بالقرآن، ص 509، رقم 3533)

﴿6﴾ عَنْ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ. (صحيح البخاري، كتاب الطب، ص 1015، رقم 5751)

﴿7﴾ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ كَانَ يَنْفِثُ فِي الرُّقْيَةِ. (ابن ماجة، كتاب الطب، باب الاستشفاء بالقرآن، ص 508، رقم 3528)

وقد عرفت من هذه الأحاديث ثلاثة أمور:

(1) أولاً: جواز عمل التعويذات بكلمات القرآن والأحاديث النبوية.

(2) ثانيًا: الاستعانة بالله وحده في التعويذات، فهو الشافي وحده، ولا يجوز طلب الشفاء من غيره، فإن الاستعانة بغيره تؤدي إلى الشِرك.

(3) والثالث: جواز التلاوة والنفخ.

الدعاء لإزالة الجنون

لقد تلا الرسول الكريم ﷺ الآيات التالية ونفخ على المريض فشفاه الله. كما في الحديث:

﴿8﴾ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ إِنَّ لِي أَخًا وَجِعًا. قَالَ "مَا وَجَعُ أَخِيكَ". قَالَ بِهِ لَمَمٌ. قَالَ "اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِ". قَالَ فَذَهَبَ فَجَاءَ بِهِ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَمِعْتُهُ عَوَّذَهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْبَقَرَةِ وَآيَتَيْنِ مِنْ وَسَطِهَا وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ وَثَلاَثِ آيَاتٍ مِنْ خَاتِمَتِهَا وَآيَةٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ – أَحْسِبُهُ قَالَ }شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ {وَآيَةٍ مِنَ الأَعْرَافِ} إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ {الآيَةَ وَآيَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ{ وَآيَةٍ مِنَ الْجِنِّ }وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا{ وَعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَّاتِ وَثَلاَثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ الْحَشْرِ وَ }قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ . فَقَامَ الأَعْرَابِيُّ قَدْ بَرَأَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. (ابن ماجة، كتاب الطب، باب الفزع و الارق و ما يتعوذ به منه، ص 511، رقم 3549)

في هذا الحديث أن الرسول الكريم ﷺ عالج المجنون بتلاوة آيات فشفاه الله.

التمائم وتعليقها حول العنق

كان العرب يصنعون القلادة من الخيط ويعلقونها حول عنق المريض، وكانوا أحياناً يطلبون العون من الجن والشيطان دون الله. وهذه القلادة سميت بتميمة ومنع النبي ﷺ عن تعليقها. فقد جاء في الحديث:

﴿8﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ". (أبو داؤد، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم، ص 552، رقم

3883؛ ابن ماجة، كتاب الطب، باب تعليق التمائم، ص 508، رقم 3530)

﴿9﴾ عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة و أمسک عن واحد فقالوا يا رسول الله بايعت و ترکت هذا؟ قال إن عليه تميمة فأدخل يده فقعها فبايعه وقال من علق تميمة فقد أشرک." (مسند أحمد، باب حديث عقبة بن عامر الجهني، ج 5، ص 156، رقم 16969)

﴿10﴾ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، كَانَ يَقُولُ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَكْرَهُ عَشْرَ خِلاَلٍ ... وَالرُّقَى إِلاَّ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَعَقْدَ التَّمَائِمِ. (أبو داؤد، كتاب الخاتم، باب ما جاء في خاتم الذهب، ص 592، رقم 4222)

من أعلى درجات التقوى عدم تعليق التعويذة

فقد جاء في الحديث:

﴿11﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ". (صحيح البخاري، باب من لم يرق، ص 1016، رقم 5752)

الآية الآتية أيضاً تأمر بالتوكل على الله وحده:

﴿2﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ [هود 11:123]

وتنصح هذه الآية والحديث بعدم تعليق التعويذات، والأفضل التوكل على الله. والحقيقة هي أن صانعي التعويذات في الوقت الحاضر يخدعون الناس وينهبونهم.

يُسمح بتعليق التعويذة أحيانًا من أجل التسلية

نهى الحديث عن تعليق التمائم، لكن أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهما تظهر مجالاً للتعويذة، فكانوا يفعلون ذلك أحياناً ويتكئون على الله بإيمانهم أن التعويذة لا تؤثر والله وحده هو الذي يفعل ذلك. إذن فهو جائز لأنه يسلي القلب.

وهذا عمل صحابي في هذا الباب:

﴿12﴾ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ . فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ " . قَالَ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو يُلَقِّنُهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِهِ وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ كَتَبَهَا فِي صَكٍّ ثُمَّ عَلَّقَهَا فِي عُنُقِهِ. (سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب دعاء الفزع من النوم، ص 804، رقم 3528)

وروي أيضا عن تابعي:

﴿13﴾ عن عطاء قال: "لا بأس أن يعلق القرآن." (مصنف ابن أبي شيبة، ج 5 ،كتاب الطب، باب من رخص في تعليق التعاويذ، ص 43، رقم 23550/23540)

﴿14﴾ عن الضحاك: "لم يكن بأسا أن يعلق الرجل الشيء من كتاب الله إذا وضعه عند الغسل وعند الغائط." (مصنف ابن أبي شيبة، ج 5 ،كتاب الطب، باب من رخص في تعليق التعاويذ، ص 43، رقم 23542/ 23552)

﴿15﴾ عن يونس بن خباب قال سألت أبا جعفر عن التعويذ يعلق على الصبيان، فرخص فيه. (مصنف ابن أبي شيبة، ج 5 ،كتاب الطب، باب من رخص في تعليق التعاويذ، ص 43، رقم 23551)

فعلم من هذه الأحاديث الآثار بأن هناك مجال في هذا الباب، لكن لا ينبغي أن يجعلها مهنة.

يُسمح أيضًا بتلقي التعويض إلى حد ما

كما في الحديث:

﴿16﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا فى سَفَرٍ فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ... فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ الرَّجُلُ فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ ... ثُمَّ قَالَ " خُذُوا مِنْهُمْ وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ ". (صحيح مسلم، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن و الأذكار، ص 975، رقم 5733/2201؛ صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، ص 1013، رقة 5736)

فعُلم من هذا الحديث أن أخذ مبلغ زهيد للتعويذة في بعض المناسبات جائز.

لا ينبغي للمرء أن يجعلها مهنة

في بعض الأحاديث:

﴿17﴾ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْقُرْآنَ وَالْكِتَابَةَ فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا فَقُلْتُ لَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ عَنْهَا فَقَالَ "إِنْ سَرَّكَ أَنْ تُطَوَّقَ بِهَا طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا". (ابن ماجة، كتاب التجارات، باب الأجر على تعليم القرآن، ص 310، رقم 2157)

﴿18﴾ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ عَلَّمْتُ رَجُلاً الْقُرْآنَ فَأَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فَقَالَ: "إِنْ أَخَذْتَهَا أَخَذْتَ قَوْسًا مِنْ نَارٍ" فَرَدَدْتُهَا. (ابن ماجة، كتاب التجارات، باب الأجر على تعليم القرآن، ص 310، رقم 2158)

معناه أن أخذ القوس مقابل تعليم القرآن مثل أخذ النار، فلا يصح جعل التعويذات مهنة.

يسن علاج المرض واستخدام الدواء

يسن استعمال دواء لعلاج مرض ما كما في الحديث:

﴿19﴾ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ " لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ". (صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء و استحباب التداوي، ص 977، رقم 5741/2204)

يحرم الاستعانة في التمائم من غير الله

يحرم الاستعانة في التمائم من غير الله، وكذلك يحرم استعمال الكلمات الغامضة في التمائم؛ لأن بعض أصحاب التعويذات يستخدم كلمات لا يعرف معناها، وربما استعان بغير الله فيه، فلا يجوز ذلك؛ لأن الاستعانة بغير الله لا تجوز.

كذلك أن غير المسلمين الذين يصنعون التمائم يستعينون بآلهتهم وأصنامهم، وتحتوي تمائمهم على كلمات الشرك والكفر، لذلك يجب على المرء تجنب هذا النوع من الناس.

نهى الحديث عن هذين الأمرين:

﴿20﴾ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ، قَالَ كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَ "اعْرِضُوا عَلَىَّ رُقَاكُمْ لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ ". (صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرک، ص 975، رقم 5732/2200)

ويتضح من هذا الحديث أنه لا يجوز النفخ بكلمات الشرك والكفر. نعم، إذا استُعين بالله فلا ضير في القراءة والنفخ.

أذى العين

إن العين حق بأن تصيب الإنسان وتضره. الرجل الذي يرمى العين ربما لم يقصدها، وإنها تصيب بشكل تلقائي فلا يلام عليه لأنه ليس بمخطئ.

لذلك فالرجل الذي كثيرا ما تصيب عينه أن يقول ما شاء الله إذا رأى شيئا غريبا.

وعلاج العين أن يغتسل صاحب العين ويصب علي المريض ماء الاستحمام، فيذهب أثر العين.

كما في الحديث:

﴿21﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " الْعَيْنُ حَقٌّ. (صحيح البخاري، كتاب الطب، باب العين حق، ص 1014، رقم 5740)

﴿22﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَىْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا ". (صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطب و المرض و الرقى، ص 971، رقم 5702/2188)

وفي الحديث: إذا طلب من أضرَّت عينه أن يغتسل، فعليه أن يغتسل.

السحر حرام

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿3﴾ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ... [البقرة 2:102]

وفي الحديث:

﴿23﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ". قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ " الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ

إِلاَّ بِالْحَقِّ... (صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتمٰى ظلما الخ، ص 458، رقم 2766؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر و أكبرها، ص 53، رقم 262/89)

ويتضح من هذه الآية والحديث أن ممارسة السحر من كبائر الذنوب.

السحر حقيقة

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿4﴾ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ [طه 20:66]

﴿24﴾ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئًا وَلَمْ يَصْنَعْهُ. (صحيح البخاري، كتاب الجزية و الموادعة، باب هل يعني عن الذمي إذا سحر، ص 529، رقم 3175)

﴿25﴾ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ – قَالَتْ – حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّىْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ. (صحيح مسلم، كتاب السلام، باب سحر، ص 971، رقم 5703/2189)

هذه الأحاديث تدل على أن السحر حقيقة، وتأثر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أيضًا. ولكن في الوقت الحاضر ما يدعي كل صانع تعويذة أنه تأثير سحري أو الجن هو كذبة في كثير من الأحيان.

العراف الذي يدعي معرفة الغيب

يدعي البعض أن لديهم معرفة بالغيب، والبعض لا يقول ذلك بوضوح، لكنهم يعطون انطباعًا بأن لديهم كل المعرفة عن المريض، ويطلق على هؤلاء الأشخاص باسم العراف.

لقد لوحظ في كثير من الأحيان أن أولئك الذين يصنعون التمائم والأعمال السحرية يحاولون إعطاء انطباع للزوار بأنهم يعرفون كل شيء. لذلك، يبدأ الناس في الاعتقاد بأنه سيطرد السحر ولهذا يدفعونهم مبلغًا جيدًا من المال. في هذا العصر، هؤلاء الناس مثل العرافين ولا ينبغي لأحد أن يقع فريسة لمكرهم.

لا يجوز تصديق العراف، كما في العقيدة الطحاوية:

"ولا نصدق كاهنا ولا عرافا، ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 101، ص 21)

لا تُقبل صلاة أربعين يومًا لمن يذهب إلى العرّاف، كما جاء في الحديث:

﴿26﴾ عَنْ صَفِيَّةَ، عَنْ بَعْضِ، أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَىْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ". (صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة و إتيان الكهان، ص 990، رقم 5821/2230)

﴿27﴾ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ . قَالَ " فَلاَ تَأْتُوا الْكُهَّانَ". قَالَ قُلْتُ كُنَّا نَتَطَيَّرُ. قَالَ " ذَاكَ شَىْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلاَ يَصُدَّنَّكُمْ ". (صحيح

مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة و إتيان الكهان، ص 989، رقم 5813/2227)

﴿28﴾ عن أبي هريرة، و الحسن عن النبى ﷺ قال: "من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على مُحَّد." (مسند أحمد، مسند أبي هريرة، ج 15، ص 331، رقم 9536)

وبحسب هذا الحديث، إذا ذهب المرء إلى عراف وصدّق كلامه، فإنه يصبح كافراً.

هناك العديد من صانعي التعويذات اليوم الذين يدعون الغيب مثل الكهنة والعرافين، لو يؤمن الناس بكلماتهم سيضر ذلك بإيمانهم. لذلك، يجب تجنب الذهاب إليهم والتصديق بكلماتهم.

قد جاء في الحديث:

﴿29﴾ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْكُهَّانَ كَانُوا يُحَدِّثُونَنَا بِالشَّىْءِ فَنَجِدُهُ حَقًّا قَالَ "تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْحَقُّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ وَيَزِيدُ فِيهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ. (صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة و إتيان الكهان، ص 989، رقم 5816/2228)

إخراج الجن

إن بعض صانعي التعويذات يدعون أنهم يخرجون الجن، لكني لا أعرف كيف يخرجونهم، ولا أجد أي حديث عنها، ولا أي أثر عن الصحابة. ولا أدري هل

الجن يسيطر على أحد أم لا؟ لا اعرف ذلك؛ لذلك لا أستطيع أن أقول شيئاً عنه.

فهذه 4 آيات و 29 حديثاً حول هذه العقيدة، وقد قرأتها بتفاصيلها.

المبحث السابع والثلاثون

زيارة القبور

سنذكر 22 آية و 44 حديثاً بخصوص هذه العقيدة، وفيما يلي تفاصيلها:

الأمم السابقة شاع فيهم أربعة أنواع من الشرك، فعاقبهم الله:

(1) عبادة غير الله

(2) السجود لغير الله

(3) الاستعانة بغير الله

(4) الاعتقاد عن غير الله بأنه يقضي حاجتهم.

وقد انتشرت ممارسة هذه الأنواع من الشرك بحيث أشادوا في بادئ الأمر صلحاءهم المتوفين، ثم بدأوا بالتدريج في السجود أمامهم وعبادتهم اعتقاداً بأنهم يسمعونهم ويعينونهم في حاجاتهم.

ثم إنهم صنعوا تمثالا لهم وبدأوا في السجود أمامهم لطلب المساعدة في حاجاتهم، وهكذا اعتقدوا بأنهم آلهة. وهذا هو الشرك بالله والله لا يغفر أن يُشرك به؛ لذلك يجب أن نتجنب أموراً تقودنا إلى الشرك تدريجياً.

عادات غير المسلمين

إذا فكرت في عادات غير المسلمين بأنهم صنعوا تمثالا لصلحائهم، ثم طلبوا العون منهم، ثم بدأوا في عبادتهم؛ سوف تصل إلى نتيجة مفادها أنهم كانوا يحترمون صلحاءهم، ثم تلطخوا تدريجياً في الشرك.

يعتقد الهندوس أيضًا بإله واحد يسمونه "إيشور"، ولكنهم يعبدون الأصنام على الرغم من أنهم يؤمنون بإيشور واحد. إنهم يعتقدون أن الأصنام التي يصنعونها هي تماثيل لأكابرهم، إنهم يعرفون أنها مصنوعة من الطين، لكنهم يعتقدون أن أرواحهم أو أرواح آلهتهم وآلهاتهم تأتي إلى تلك الأصنام، وأنها تستمع إليهم ولديها القوة لمساعدتهم؛ فلهذا يعبدون هذه الأصنام، ويستعينون بها، وهو ما يسميه الإسلام بالشرك.

نهى النبي ﷺ عن تعظيم القبور

وكان من الممكن أن يستعين المسلمون أيضًا بكبارهم، أو جعلوا أصنامًا لهم، وسجدوا أمامهم، لذلك رغم أن الرسول الكريم ﷺ سمح لهم بزيارة القبور أحيانًا، لكنه حذرهم مرارًا وتكرارًا أن لا يسجدوا أمام القبور، ألا يسألوا الموتى في حوائجهم، ولا يجعلوها مكانًا للاحتفال، ولا تقام عليها بناية، بل أمرهم أن يعودوا بعد التحية على الموتى والدعاء عليهم فقط.

ما هو القبر؟

وتسمى الفترة من الدفن إلى قيام القيامة بالقبر، سواء كان جسد الميت في الأرض، أو محترقًا، أو مغروقا، أو أكله حيوان. وتسمى هذه الفترة أيضًا بالبرزخ، وهي مذكورة في الآية التالية:

﴿1﴾ حَتّٰى إِذَا جَاءَ اَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُوْنَ لَعَلِّيْ أَعْمَلُ صَالِحاً فِيْمَا تَرَكْتُ كَلَّا اِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَّرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلٰى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَ (سورة المؤمنون 23:100101)

في هذه الآية أن الوقت من الموت إلى القيامة هو برزخ، أحواله تختلف عن أحوال الدنيا.

زيارة القبر جائزة لأنها تذكر الآخرة

إن كانت زيارة القبر تذكرك بالآخرة والموت فهو حسن، وإذا كانت زيارة القبر متعة واحتفال، أو مصدر دخل، فهي ليست كذلك. وفي هذه الحال لا يجوز الذهاب إلى القبر، كما جاء في الأحاديث:

﴿1﴾ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ قَالَ: "كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ". (ابن ماجة، باب ما جاء في زيارة القبور، ص 223، رقم 1571)

﴿2﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ زَارَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ: "اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ

أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتَ". (ابن ماجة، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، ص 224، رقم 1572)

في هذه الأحاديث ثلاثة أمور:

(1) يجوز البكاء على القبر إذا شعر بذلك، ولكن لا يجوز النياحة.

(2) أن يزور القبر أحياناً، لأن الرسول الكريم ﷺ زار قبر أمه مرة واحدة في حياته، وكان يزور القبور أحياناً.

(3) أن يزور المرء القبر ليذكر الموت، لا للتفرج.

في هذه الأيام يذهب كثير من الناس إلى الأضرحة للترفيه والتسلية، وهذا لا يجوز.

يجوز زيارة القبر بسبعة شروط

يجوز للمرء أن يذهب إلى القبور بهذه الشروط السبعة، لا بدونها:

(1) ألا يعبد غير الله

الشرط الأول: ألا يعبد غير الله، كما جاء في هذه الآيات:

﴿2﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ [الأنعام 6:56]

﴿3﴾ اِنِ الْحُكْمُ اِلَّا لِلّٰهِ اَمَرَ اَنْ لَّا تَعْبُدُوْٓا اِلَّآ اِيَّاه (سورة يوسف 12:40)

﴿4﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ [فصلت 41:14]

﴿5﴾ قُلْ اَتَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَّلَا نَفْعًا- (سورة المائدة 5:76)

﴿6﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ [البينة 98:5]

﴿7﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُو [التوبة 9:31]

الأمر الوحيد في هذه الآيات الستة هي عبادة الله وحده، وأنه لا يجوز عبادة غيره.

(2) ألا يستعين بأهل القبر

الشرط الثاني: ألا يطلب العون من أهل القبور. فيما يلي بعض الآيات التي تنهى عنها:

﴿8﴾ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِيْنَ (سورة فاتحة 1:4)

وقد جاء في هذه الآية بالحصر أنه يجب عليهم عبادة الله وحده والاستعانة بالله وحده. نحن نصلي 17 ركعة من الفرائض على اللأقل ليلا ونهارا، ويُطلب من المؤمن 17 مرة على الأقل أن يصرح بأنه يعبد الله وحده ويسأل منه فقط؛ فلا يجوز عبادة غيره ولا يجوز الاستعانة بغيره.

﴿9﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ [الأعراف 7:197]

﴿10﴾ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ [الأنعام 6:4041]

﴿11﴾ اِنَّ الْمَسَاجِدَ لِلّٰهِ فَلَا تَدْعُوْا مَعَ اللّٰهِ اَحَداً (سورة الجن 72:18)

﴿12﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ عِبَادٌ اَمْثَالُكُمْ (سورة الاعراف 7:194)

﴿13﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ [فاطر 35:13]

﴿14﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا [الجن 72:20]

في هذه الآيات السبعة أن على المرء أن يدعو الله وحده، فلا يجوز استدعاء غيره، ولا يجوز الاستعانة بغيره. لذلك، إذا ذهب المرء إلى قبر، فلا يستعين بغير الله، ولو هو قبر نبي أو ولي. واليوم يذهب كثير من الناس إلى الأضرحة والمقابر طلبا للنجدة من أهل القبور، هذا لا يجوز، لأن الله وحده هو صاحب العطاء وهو المستعان.

اطلع على التفاصيل الكاملة لهذا الموضوع في المبحث الحادي عشر "الاستعانة بالله وحده".

(3) ألا يسجد القبر

الشرط الثالث: عدم السجود أمام القبر، كما يقول القرآن:

«[15]» لاَ تَسْجُدُوْا لِلشَّمْسِ وَ لَا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوْا لِلّٰهِ الَّذِىْ خَلَقَهُنَّ (سورة فصلت 41:137)

«[16]» فَأَسْجُدُوْا لِلّٰهِ وَاعْبُدُوْا (سورة النجم 53:62)

﴿3﴾ عَنْ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ " لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ". (صحيح البخاري، باب ما جاء في قبر النبى ﷺ و أبي بكر وعمر، ص 223، رقم 1390)

فقد جاء في هذا الحديث أنه لا يجوز جعل القبر مكاناً للعبادة.

﴿4﴾ وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ، يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ، يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لاَ تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلاَ تُصَلُّوا إِلَيْهَا". (أبو داؤد، كتاب الجنائز، باب في كراهية القعود على القبر، ص 471 رقم 3229)

مُنعنا من الصلاة إلى القبر حتى لا يعتبر الناس القبر مسجوداً، فنهي عن الصلاة مواجهة للقبر، فكيف يجوز السجود للقبر؟

عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَقُلْتُ رَسُولُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ قَالَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ إِنِّي أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ . قَالَ " أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ " . قَالَ قُلْتُ لاَ . قَالَ " فَلاَ تَفْعَلُوا لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ ". (أبو داؤد، كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة، ص 309، رقم 2140؛ ابن ماجة، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، ص 265، رقم 1853)

في الوقت الحاضر، يقوم العديد من المجاورين (القائمين على القبور) بجعل الزائرين يسجدون أمام القبر وهدفهم هو جعله بطريقة ما من أتباع صاحب القبر حتى يتمكن من تلقي الهدايا والتحائف.

(4) يجب على المرأة أن تكون محجبة

الشرط الرابع: أن ترتدي المرأة الحجاب، كما جاء في الحديث والآية القرآنية:

﴿5﴾ عن عائشة قالت، كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي، فأضع ثوبي فأقول: إنما زوجي و أبي، فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلا أنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر. (مسند أحمد، باب حديث السيدة عائشة، ج 7، ص 288، رقم 25132)

﴿17﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. (سورة النور 24:31)

في هذه الآية أن المرأة لا يجوز لها أن تظهر زينتها لأحد.

﴿18﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (سورة الاحزاب 33:33)

﴿6﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ". (سنن الترمذي، باب استشراف الشيطان المرأة إذا خرجت، ص 284، رقم 1173)

في هذا الحديث أنه عندما تخرج المرأة بالزينة، فإن الشيطان يجذب الناس للنظر إلى المرأة.

كما أُمر الرجال أيضاً أن يغضوا أبصارهم، كما جاء في الآية:

﴿19﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّوْا مِنْ اَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظُوْا فُرُوْجَهُمْ ذَالِكَ اَزْكٰى لَهُمْ (سورة النور 24:30)

في هذه الآية، أمر الله الرجال أن يغضوا أعينهم، فكيف يُسمح للنساء بالجري بلا حجاب إلى الأضرحة؟

(5) أن يجتنب النياحة

الشرط الخامس: ألا تنوح على القبر، أي لا تصرخ بصوت عال ولا تضرب على الصدر والخدود، فقد حرمت الأحاديث هذه الأعمال:

﴿7﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الْجُيُوبَ وَضَرَبَ الْخُدُودَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ". (ابن ماجة، باب ما جاء عن نهى ضرب الخدود و شق الجيوب، ص 225، رقم 1584)

﴿8﴾ لَمَّا ثَقُلَ أَبُو مُوسَى ...أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ". (ابن ماجة، باب ما جاء عن نهى ضرب الخدود و شق الجيوب، ص 225، رقم 1586؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود، ص 58، رقم 285/103)

﴿9﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ... قَالَ "لاَ وَلَكِنْ نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ صَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ خَمْشِ وُجُوهٍ وَشَقِّ جُيُوبٍ وَرَنَّةِ شَيْطَانٍ ". (سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، ص 243، رقم 1005)

هذه الأحاديث تمنع منعا باتا عن النحاية، لا أدري لماذا ينوح بعض الناس كثيراً بمناسبة محرم الحرام.

انظر بقية التفاصيل في المبحث الواحد والأربعين.

(٦) يسلم على أهل القبر ويدعو لهم

الشرط السادس: يتجنب الخرافات والنشاطات الغير المشروعة عند القبر. وينبغي للمرء أن يسلّم أهل القبور، ويدعو لهم، ويستغفر عنهم ويعطيهم أجر تلاوة القرآن وغير ذلك من العبادات، كما ينبغي للمرء أن يتذكر الموت ويفكر أنه في يوم من الأيام سيذوق الموت وسيدفن في القبر. ومثل هذه الأفعال ثابتة من الأحاديث.

وهذه أحاديث في تحية الموتى والاستغفار لهم:

﴿10﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ " السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالأَثَرِ". (سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، ص 254، رقم 1053)

﴿11﴾ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ "السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ". (صحيح مسلم،كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور و الدعاء لأهلها، ص 392، رقم 2255/974)

ذُكر في هذين الحديثين أمران: أحدهما كيفية تحية أهل القبور، والآخر الاستغفار لهم.

(7) أن يستغفر لأهل القبور

الأمر السابع: الاستغفار لمن في القبور كما في الحديث:

﴿12﴾ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ " اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ". (أبو داؤد، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف، ص 470، رقم 3221)

﴿13﴾ مُحَمَّدَ بْنَ قَيْسٍ، يَقُولُ سَمِعْتُ عَائِشَةَ، تُحَدِّثُ فَقَالَتْ ... فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ " . قَالَتْ قُلْتُ كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ " قُولِي السَّلاَمُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلاَحِقُونَ ". (صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور و الدعاء لأهلها، ص 392، رقم 2256/974)

﴿14﴾ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ " السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ". (صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور و الدعاء لأهلها، ص 392، رقم 2255/974)

وقد ورد في هذه الأحاديث أن على المرء أن يستغفر للميت.

يجوز مواجهة القبر عند السلام

إذا أردت أن تسلّم على صاحب القبر، يمكنك مواجهة قبره، كما في الحديث:

﴿15﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ " السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالأَثَرِ". (سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، ص 254، رقم 1053)

وقد ورد في هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يقبل بوجهه إلى قبور أهل المدينة ويسلم عليهم.

استقبال القبلة عند الجلوس إلى القبر

إذا كان عليك الجلوس بالقرب من القبور، فعليك أن يكون وجهك نحو القبلة، حتى لا يظن أحد أنك تسأل من القبر. فقد جاء في الحديث:

﴿16﴾ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمْ يُلْحَدْ بَعْدُ فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ وَجَلَسْنَا مَعَهُ. (أبو داؤد، كتاب الجنائز، باب كيف يجلس عند القبر، ص 469، رقم 3212)

في هذا الحديث أن الرسول الكريم ﷺ جلس عند القبر مستقبل القبلة.

لا يجوز للنساء زيارة القبور في عامة الأحوال

في الأحوال العادية، لا يجوز للمرأة أن تذهب إلى القبر، لأنها تبكي وتنوح، وتقوم بأعمال مخالفة للشريعة. ومع ذلك، وبسبب بعض الأحاديث الأخرى، فقد أذن لهم بعض العلماء بالذهاب أحيانًا إلى القبر بالشروط السبعة المذكورة أعلاه.

هذه هي الأحاديث المتعلقة بنهي زيارة المرأة للقبر:

﴿17﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زُوَّارَاتِ الْقُبُورِ. (ابن ماجة، باب مَا جَاءَ فِي النَّهْيِ عَنْ زِيَارَةِ النِّسَاءِ الْقُبُورَ، ص 224، رقم 1575)

﴿18﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ . (سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا، ص 88، رقم 320؛ سنن النسائى، كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، ص 286، رقم 2045)

وفي هذين الحديثين أن النبي ﷺ لعن زائرات القبر، فلا يصح أن تذهب المرأة إلى القبر في الأحوال العادية. نعم، أحيانًا يكون هناك مجال للنساء لزيارة القبور، كما جاء في الأحاديث التالية:

﴿19﴾ عن عائشة أن رسول الله ﷺ رَخَّصَ فِي زِيَارَةِ الْقُبُور. (سنن ابن ماجة، باب ماجاء في زيارة القبور، ص 223، رقم 1570)

هذا الحديث يدل على أنها إذا كانت تزورها بين الحين والآخر فإنه جائز.

﴿20﴾ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَقَدْ أُذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ". (الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، ص 254، رقم 1054)

﴿21﴾ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عبد الرَّحْمَن بن أبي بكر بالحبشي قَالَ فَحُمِلَ إِلَى مَكَّةَ فَدُفِنَ بِهَا فَلَمَّا قَدِمَتْ عَائِشَةُ أَتَتْ قَبْرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ. (الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، ص 255، رقم 1055)

تتبين من هذه الأحاديث أنه يمكن للمرأة أيضًا أن تذهب إلى القبر من حين لآخر.

نهي البناء على القبر

لا يجوز أن يبني على القبر بناء، كما جاء في الحديث:

﴿22﴾ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُجَصَّصَ الْقُبُورُ وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهَا وَأَنْ تُوطَأَ. (الترمذي، كتاب الجنائز، باب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ تَجْصِيصِ الْقُبُورِ وَالْكِتَابَةِ عَلَيْهَا، ص 254، رقم 1052؛ ابن ماجة، باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور و الكتابة عليها، ص 222، رقم 1562)

﴿23﴾ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ. (صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النَّهْيِ عَنْ تَجْصِيصِ الْقَبْرِ، وَالْبِنَاءِ، عَلَيْهِ، ص 390، رقم 2245/970)

﴿23﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ نَهَى أَنْ يُبْنَى عَلَى الْقَبْرِ. (ابن ماجة، باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور و الكتابة عليها، ص 222، رقم 1564)

في هذه الأحاديث الثلاثة أن البناء على القبر ممنوع.

حجة البناء على القبور

يقول البعض: يجوز البناء فوق القبر لتلاوة القرآن، أو الصلاة على الميت، ولهذا يستشهدون بأقوال بعض الشيوخ. لكن هذا ليس بصحيح؛

(1) لأن الحديث منعه منعا باتا، فلا يصح تقديم رأي الشيخ كحجة.

(2) في هذه الأيام، يستخدم الناس البناء قليلاً لقراءة القرآن، ويستعملونه كثيراً للغناء ودق الطبول والخرافات الأخرى. ويمكنك مشاهدة الكثير من هذه المناظر على الإنترنت.

(3) لقد أدرك النبي ﷺ أن هذه الأمة أيضاً ستقع، مثل الشعوب السابقة، في أعمال غير إسلامية؛ لذلك حرم بصراحة بناء أي مبنى فوق القبور وإضاءة الشموع عليها.

لماذا توجد قبة فوق قبر الرسول ﷺ؟

وفق الحديث السابق، لا ينبغي أن يكون هناك بناء فوق قبر الرسول الكريم ﷺ، فلماذا هو كذلك؟

أول شيء أن قبره الشريف (ﷺ) كان في غرفة السيدة عائشة رضي الله عنها، فكان فوقه بناء فى ذلك الوقت، وبقي هذا لسنوات طويلة. كان الناس يقدمون إليه من أنحاء العالم الإسلامي، وكانوا يريدون الذهاب إلى القبر، بينما بدأ بعض الناس في التقاط التربة من هناك، لذلك تم بناء جدار حول القبر حتى لا يطرق الناس إلى الداخل ولا يرتكبون أي فعل من هذا القبيل.

فيما بعد وقع حادث عام 557هـ / 1162م في عهد السلطان نور الدين زنكي، حيث قام بعض اليهود بنفق قبر الرسول الكريم ﷺ وحاولوا تدنيسه، فقام نور الدين زنكي ببناء قاعدة زجاجية قوية حول القبر حتى لا يتمكن أحد من الوصول إلى داخل القبر.

وبعد ذلك، قام السلطان سيف الدين قلاوون بإصلاح الجدار عام 678هـ 1279م، وأقام سورًا خشبيًا قويًا حول القبر، وبنى سقفاً ليكون محفوظاً من الأعلى ولا يستطيع أحد أن يدخله. وبسبب هذا العذر، تم بناء جدار وسقف من الخشب حول قبر الرسول الكريم ﷺ.

كان الجدار من الخشب في ذلك الوقت، فاندلع حريق هائل في هذا المبنى عام 886هـ / 1481م، وبسببه قام السلطان المصري قايتباي ببنائه بالآجر والحجارة وشيد فوقه قبة قوية. من ذلك الوقت، كان يتم طلاء المبنى بألوان

عادية، لكن في عام 1253هـ / 1837م طلاها السلطان محمود بن عبد الحميد باللون الأخضر، ولا يزال هذا اللون مستمراً حتى يومنا هذا.

بناء على الحديث، فإن قبر الرسول الكريم ﷺ وقبري سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما ما زالت مغطاة بالتربة والحصى، ولكن من أجل الحفاظ من الناس تم بناء الجدار والسقف على بعد منها.

قبر الرسول الكريم مغطى بالتراب، كما جاء في الحديث:

﴿24﴾ عَنِ الْقَاسِمِ، قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمَّهْ اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ رضى الله عنهما فَكَشَفَتْ لِي عَنْ ثَلاَثَةِ قُبُورٍ لاَ مُشْرِفَةٍ وَلاَ لاَطِئَةٍ مَبْطُوحَةٍ بِبَطْحَاءِ الْعَرْصَةِ الْحَمْرَاءِ. (أبو داؤد، كتاب الجنائز، باب في تسوية القبر، ص 470، رقم 3220)

في هذا الحديث أن الحصى الحمراء كانت ملقاة على قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. لذلك فهذه حالة خاصة مع النبي ﷺ، ولا ينبغي للمرء أن يجادل في بناء قباب على قبور أخرى بالإشارة إلى البناء حول قبر الرسول الكريم ﷺ.

يكره جعل القبر عاليا

كذلك لا يصح رفع القبر عالياً، كما جاء في الحديث:

﴿25﴾ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَلاَّ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ لاَ تَدَعَ تِمْثَالاً إِلاَّ طَمَسْتَهُ وَلاَ قَبْرًا مُشْرِفًا

إِلاَّ سَوَّيْتَهُ. (صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، ص 389، رقم 2243/969)

وقد نص في هذا الحديث على تسوية القبر العالي، فلا يصح إشراف القبر ورفعه.

وقد قال بعض الناس أن هذا الأمر كان لتسوية قبر الكافرين، ولكن هذا التفسير غير صحيح، لأنه لم يرد ذكر خصوصية القبر في هذا الحديث، لذلك تسري هذه القاعدة على جميع القبور.

يكره بناء مسجد حول القبر

فقد جاء في الحديث:

﴿26﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ . (سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا، ص 88، رقم 320؛ سنن النسائى، كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، ص 286، رقم 2045)

﴿27﴾ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ، فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ـ أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ـ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ ". (صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، ص 75، رقم 434)

في هذه الأحاديث أن بناء المسجد يكره قرب القبور.

يكره أن يضيء المصباح على القبر

فقد جاء في الحديث:

﴿28﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ . (سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا، ص 88، رقم 320؛ سنن النسائى، كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، ص 286، رقم 2045)

﴿29﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ. (أبو داؤد، كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور، ص 472، رقم 3236)

في الوقت الحاضر، اتخاذ السرج والشموع وإضاءة المصابيح الملونة على القبور شائعة جداً ويعتبرها الناس عمل الثواب.

وضع الزهور على القبور

لم يقم الرسول الكريم أو أصحابه بوضع الزهور على أي قبر. في الواقع، إنها طريقة غير المسلمين فإنهم يضعون الزهور على أصنامهم لإرضائهم؛ لذلك لا يجوز أن نتبع طريق غير المسلمين.

يستدل بعض الناس بهذا الحديث للدفاع عن وضع الزهور على القبر:

﴿30﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ فَقَالَ " إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ". ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً. فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا فَقَالَ " لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا ". (صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الجريدة على القبر، ص 218، رقم 1361)

في هذا الحديث أن النبي ﷺ وضع جريدة النخيل على القبر تحسبا لتقليل شدة العذاب الذي يصيب الإنسان في القبر. فهم يستدلون بهذا الحديث بجواز وضع الزهور على القبور.

لكن المهم أن نلاحظ أن النبي ﷺ فعل ذلك مرة واحدة فقط، فيحتمل أن العقوبة خففت ببركته، فكيف نقول إن العذاب سيقل إذا وضعنا الزهور على القبر.

ثم غرز النبي ﷺ جريدة النخيل ونحن نضع الزهور، وهو يشبه طريقة غير المسلمين في وضع الزهور على أصنامهم. لذلك يجب الامتناع عنه.

في الوقت الحاضر، لا يوضع زهر واحد فقط على القبر، بل أصبح هذا من أعمال المجاورين وجعلوها تجارة رابحة، لذا انظروا مدى خطورة هذه الممارسة!

فتوى الغرائب

بعض الناس يقدمون فتوى عن هذا الصدد، ولكن هذا الفتوى غير صحيح؛ لأن هذ الفتوى نُقل في الفتاوى الهندية من كتاب المسمى بـ"الغرائب"، ولم يقدم دليل قاطع. وهو كما يلي:

"وضع الورد والرياحين على القبور حسن وإن تصدق بقيمة الورد كان أحسن كذا في الغرائب." (الفتاوى الهندية، كتاب الكراهية، الباب سادس عشر في زيارة القبور، ج 5 ، ص 351)

هذه الفتوى لم يتم دعمها بأي دليل ولم يتم اقتباسها من أي مصدر مهم، وبالتالي فهي غير مقبولة، خاصة في الوقت الحاضر عندما أصبح هذا العمل تجارة كبيرة.

لا ينبغي أن يُكتب على القبور

﴿31﴾ عن جابر قال نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء. (ابن ماجة، باب ما جاء في النهى عن البناء على القبور و الكتابة عليها، ص 222، رقم 1563)

في هذا الحديث نهي عن الكتابة على القبر.

يُسمح بوضع الحجر كرمز على القبر

ومع ذلك يجوز وضع الحجر كرمز على القبر لإظهار أنه قبر فلان ابن فلان، ولكن لا ينبغي جعله ممارسة شائعة. والدليل على ذلك الحديث الآتي:

﴿32﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ أَعْلَمَ قَبْرَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ بِصَخْرَةٍ . (ابن ماجة، باب ما جاء في العلامة في القبر، ص 222، رقم 1561)

لا يجوز الصلاة مستقبل القبر

لا يجوز الصلاة يستقبل فيه القبر، فكيف يجوز السجود أمامه؟ كما في الحديث:

﴿33﴾ عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لاَ تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلاَ تُصَلُّوا إِلَيْهَا ". (صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النهى عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، ص 390، رقم 2250/972)

وهذا الحديث يبين أنه لا يجوز الصلاة مستقبلا القبر حتى لا يظن الناس أن المرء يعبد الذي في القبر.

الجلوس على القبر مكروه

وكذلك الجلوس على القبر مثل إهانة صاحب القبر، لذلك يكره الجلوس على القبر. كما في الحديث:

﴿33﴾ عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لاَ تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلاَ تُصَلُّوا إِلَيْهَا ". (صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النهى عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، ص 390، رقم 2250/972)

﴿34﴾ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ. (صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النَّهْىِ عَنْ تَجْصِيصِ الْقَبْرِ، وَالْبِنَاءِ، عَلَيْهِ، ص 390، رقم 2245/970)

يكره أن تُداس القبور

﴿35﴾ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُجَصَّصَ الْقُبُورُ وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهَا وَأَنْ تُوطَأَ. (الترمذي، كتاب الجنائز، باب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ تَجْصِيصِ الْقُبُورِ وَالْكِتَابَةِ عَلَيْهَا، ص 254، رقم 1052؛ ابن ماجة، باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور و الكتابة عليها، ص 222، رقم 1562)

على المرء أن يخلع حذاءه أثناء المشي بين القبور

إذا احتجت أن تمشي بين القبور فعليك أن تخلع حذاءك حتى لا تؤطأ القبور. نعم إذا لم يكن من الممكن أن تمشي هناك بسبب العشب ونحوه، يمكنك أن تلبس النعال.

﴿36﴾ أَنَّ بَشِيرَ ابْنَ الْخَصَاصِيَّةِ، قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَرَّ عَلَى قُبُورِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ "لَقَدْ سَبَقَ هَؤُلاَءِ شَرًّا كَثِيرًا". ثُمَّ مَرَّ عَلَى قُبُورِ الْمُشْرِكِينَ

فَقَالَ "لَقَدْ سَبَقَ هَؤُلاَءِ خَيْرًا كَثِيرًا". فَحَانَتْ مِنْهُ الْتِفَاتَةٌ فَرَأَى رَجُلاً يَمْشِي بَيْنَ الْقُبُورِ فِي نَعْلَيْهِ فَقَالَ "يَا صَاحِبَ السِّبْتِيَّتَيْنِ أَلْقِهِمَا". (سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب كَرَاهِيَةِ الْمَشْيِ بَيْنَ الْقُبُورِ فِي النِّعَالِ السِّبْتِيَّةِ، ص 278، رقم 2050)

في هذا الحديث، ينبغي خلع الأحذية بين القبور.

يسن طهي الطعام لأسرة المتوفى

في الحديث:

﴿37﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ لَمَّا جَاءَ نَعْىُ جَعْفَرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ: "اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا. فَقَدْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ أَوْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ". (ابن ماجة، باب في الطعام يبعث إلى أهل الميت، ص 229، رقم 1610)

في هذا الحديث أمر النبي ﷺ بإرسال الطعام إلى بيت الميت.

لكن الوضع في هذا الوقت هو أنه بدلاً من إرسال الطعام إلى عائلة المتوفى، يتجمع الأقارب والأشخاص الآخرون في منزله ويقيمون لفترة طويلة حتى تشعر الأسرة بالملل.

يكره الاجتماع في بيت الميت للأكل

في هذه الأيام، يجعل الناس أهل الميت ينفقون الكثير من المال باسم إيصال الثواب حتى يمل الورثة. ومع ذلك، من المستحب إيصال الثواب من الورثة من خلال إطعام المساكين أو كسوتهم متى شاءوا إيصال الأجر إلى الميت، ولا

حاجة إلى تحديد موعد أو إعلانه. لكنها حقيقة في هذا الزمان بأن أهل الميت يُجبر على إطعام الناس ولو عن طريق أخذ قرض يبلغ عدة آلاف من الروبيات. هذا ممنوع شرعاً كما في هذا الأثر:

﴿38﴾ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ، قَالَ كُنَّا نَرَى الاِجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنْعَةَ الطَّعَامِ مِنَ النِّيَاحَةِ . (ابن ماجة، باب ما جاء فى النهي الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام، ص 230، رقم 16121؛ مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، جلد 1، ص 505، رقم 2279)

قد جاء في هذا الحديث أنهم كما اعتبروا النياحة محرّمًا، فقد اعتبروا الاجتماع في بيت الميت للأكل أيضاً أمراً غير مشروع.

لا ينبغي الإفراط في الإعلان عن الميت

فقد جاء في الحديث:

﴿39﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " إِيَّاكُمْ وَالنَّعْىَ فَإِنَّ النَّعْىَ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ " . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَالنَّعْىُ أَذَانٌ بِالْمَيِّتِ . وَفِي الْبَابِ عَنْ حُذَيْفَةَ. (الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية النعي، ص 239، رقم 984؛ ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن النعي، ص 211، رقم 1476)

في هذا الحديث نهي عن إعلان وفاة الميت في الأماكن العامة. نعم، يجوز إشعار الناس عن الجنازة، لكن لا يصح نشر الخبر واجتذاب الحشد.

لا يجوز الحداد أكثر من ثلاثة أيام

تنعى الزوجة أربعة أشهر وعشرة أيام لوفاة زوجها، بينما لا حداد للآخرين أكثر من ثلاثة أيام، فهذا ممنوع في الحديث. إن الذين يحدون أربعين يوما أو يعقدون حفلة الحزن كل سنة مخطئون كما في الحديث:

﴿40﴾ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ، قَالَتْ كُنَّا نُنْهَى أَنْ نُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا. (صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب الطيب للمرأة عند غسلها من المحيض، ص 54، رقم 313؛ صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عده الوفاة و تحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، ص 644، رقم 3725/1486)

قد جاء في هذا الحديث أنه لا يجوز الحداد على أكثر من ثلاثة أيام.

سيعذب المذنبون في القبر

عذاب القبر حق وللميت فيه حياة برزخية. فيما يلي بعض الآيات المتعلقة بالشيء نفسه:

﴿20﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (سورة المؤمنون 23:100101)

﴿21﴾ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۞ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (سورة غافر 40:4546)

﴿22﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ (سورة الانعام 6:93)

وهذه بعض الأحاديث في هذا الشأن:

﴿41﴾ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ـ رضى الله عنهم ـ قَالَ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ "يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا". (صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، ص 220، رقم 1375)

﴿42﴾ عَنْ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ... قَالَتْ عَائِشَةُ ـ رضى الله عنها ـ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلاَّ تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. زَادَ غُنْدَرٌ " عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ ". (صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ص 220، رقم 1372)

﴿43﴾ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، قَالَ حَدَّثَتْنِي ابْنَةُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. (صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، ص 221، رقم 1376)

﴿44﴾ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ ... وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ... " وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ : مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي. (مسند أحمد، حديث البراء بن عاذب، ج 5، ص 364، رقم 18063؛ أبو داؤد، باب المسألة في القبر وعذاب القبر، ص 682، رقم 4753)

في هذا الحديث أن الرسول الكريم كان يستعيذ من عذاب القبر. وهذا يدل على أن هناك حياة مؤقتة بعد الموت قبل يوم القيامة. وكذلك في الأحاديث السابقة أن الإنسان يعذب في القبر.

فهذه 22 آية و 44 حديثًا عن هذه العقيدة، وقد قرأتها بتفاصيلها.

المبحث الثامن والثلاثون

احتفال العُرس على المقابر حرام

سنذكر آيتين و 10 أحاديث عن هذه العقيدة وتفاصيلها كما يلي:

العُرس نوع عيد سنوي يُعقد على مقابر الأولياء والصلحاء في موعد معين.

احتفال العُرس على القبور من صور العيد، ونهى النبي ﷺ عن العيد على القبور فلا يجوز. والدليل على ذلك الحديث الآتي:

﴿1﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَىَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ ". (أبو داؤد، كتاب المناسک، باب زيارة القبور، 296، رقم 2042)

وقد جاء في هذا الحديث أن القبر ليس مكاناً للاحتفال، والعرس نوع من الاحتفال فلا يجوز.

الاستدلال بالحديث في جواز العُرس

ليس من الصحيح الاستدلال بالحديث التالي في جواز العرس:

﴿2﴾ عن مُحَمَّد بن ابراهيم التيمي قال كان النبى ﷺ يأتي قبور الشهداء عند رأس الحول، فيقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، قال و كان أبو

بكر، و عمر وعثمان يفعلون ذلک. (مصنف عبد الرزاق، باب زيارة القبور، ج 3 ، ص 573، رقم 6716)

وبحسب هذا الحديث ، كان النبي ﷺ يزور قبور شهداء أحد في بداية كل عام، وكذلك كان سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان يفعلون. استدلالاً بهذا الحديث قال بعض الناس أنه يجوز العُرس على القبور مرة واحدة في السنة.

لكن هناك أربعة أمور تدعو للتفكير:

(1) أول شيء أن النبي ﷺ كان يذهب دون إعلان. هذا هو السبب في أن القليل من الناس يعرفون عنها. ولذلك لم يرد هذا الحديث في أي كتاب من الكتب الستة المشهورة من كتب الأحاديث، ولم يرد ذكره إلا في مصنف عبد الرزاق.

وفقا لهذا الحديث، إذا ذهب شخص إلى المقبرة من وقت لآخر ورجع فقط بعد التسليم بـ"السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار" فلا إشكال عليه. لكن ما يحدث في العرس هو تحديد موعد، وجمع التبرعات، والإعلان عنه لعدة أشهر، ودعوة عدد لا يحصى من الأشخاص وعرض الكثير من البهاء الذي لا يُرى حتى في المهرجانات الهندوسية فكيف يمكن السماح بذلك؟

(2) والشيء الثاني أن التابعي (مُحَمَّد بن إبراهيم التيمي) روى هذا الحديث عن النبي الكريم ﷺ ولم يذكر اسم الصحابي الذي روى عنه هذا الحديث. فهذا

الحديث ليس بمنزلة حديث مرفوع، بل هو حديث مرسل وهو أقل رتبة عند المحدثين.

(3) وبالمثل، يتم الاحتفال بالعرس مثل العيد، وقد ذكر أن الرسول الكريم ﷺ نهى عن الاحتفال مثل العيد عند القبور، فكيف يجوز العرس؟

(4) لم يقم أي صحابي أو تابعي بالاحتفال بالعرس، فكيف يجوز ذلك؟ على العكس من ذلك، بالنظر إلى الأحاديث السابقة، يتضح أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن مثل هذه الأمور، حتى لا يقع الناس في الشرك بالتدريج.

(5) الحقيقة هي أنه عمل بعض الأشخاص الشرس لتجميع الثروة والمال، كما يمكنك أن تستنتج بنفسك بعد قليل من التأمل.

وقد عُلم من الحديث التالي أن الرسول الكريم ﷺ كان يزور قبور الشهداء أحيانا، لكنه لم يحدد موعداً لذلك.

﴿3﴾ عَنْ رَبِيعَةَ قَالَ مَا سَمِعْتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا قَطُّ غَيْرَ حَدِيثٍ وَاحِدٍ . قَالَ قُلْتُ وَمَا هُوَ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ قُبُورَ الشُّهَدَاءِ حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى حَرَّةِ وَاقِمٍ فَلَمَّا تَدَلَّيْنَا مِنْهَا وَإِذَا قُبُورٌ بِمَحْنِيَّةٍ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقُبُورُ إِخْوَانِنَا هَذِهِ قَالَ " قُبُورُ أَصْحَابِنَا " . فَلَمَّا جِئْنَا قُبُورَ الشُّهَدَاءِ قَالَ " هَذِهِ قُبُورُ إِخْوَانِنَا ". (أبو داؤد، كتاب المناسک، باب زيارة القبور، ص 296، رقم 2043)

يتضح من هذا الحديث أن الرسول الكريم ﷺ كان يزور قبور شهداء أحد بين حين وآخر.

يستدل بعض الناس جواز العرس وغيرهما من أقوال وأعمال المشايخ الذين جاءوا بعد 1100 عام تقريبًا بعد الصحابة ﷺ. لكن هذا غير مقبول، لأن عمل الشيوخ لا يثبت أنه مسألة دينية، ويلزم وجود آية صريحة أو حديث صريح لإثبات ذلك. بل قدمنا العديد من الأحاديث ضد هذا العمل. بالإضافة إلى ذلك، إن هذه الأمور لا تعمل لذكر الآخرة وقلة الرغبة من الدنيا، بل أصبحت وسيلة للهو والترفيه واستغلال الناس باسم الدين.

الغناء والعزف على الطبول حرام

يجوز تلاوة بعض القصائد أو النعت، بشرط ألا تكون مصحوبة بالطبول وغيرها من الآلات الموسيقية. إذا كانت هناك آلات موسيقية فلا تجوز.

وهذه بعض الآيات القرآنية:

﴿1﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ [لقمان 31:6]

هذه الآية تنهى عن الأشياء التي تجعل الإنسان مهملاً وغافلاً.

﴿2﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ [الأنفال 8:35]

وكان الكفار يصفقون ويصفرون قرب بيت الله، وهذا ما يحدث في القوالي، فعلينا تجنبه.

وهذه بعض الأحاديث في هذا الشأن:

﴿4﴾ حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ ـ أَوْ أَبُو مَالِكٍ ـ الأَشْعَرِيُّ وَاللَّهِ مَا كَذَبَنِي سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ..." (صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء في من يستحل الخمر و يسميه بغير اسمه، ص 992، رقم 5590)

﴿5﴾ عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال إن الله بعثني رحمة للعالمين و أمرني أن أمحق المزامير والكنارات يعني برابط والمعازف والأوثان التي كانت تعبد في الجاهلية. (مسند أحمد، حديث أبي أمامة الباهلي،ج 36، ص 551، رقم 22307/22218)

في هذه الأحاديث أن الطبول والمعازف حرام، فكيف تجوز الأغاني والقوالي وغيرها في العرس؟

الطنين أيضا مكروه

منع الحديث عن الطنين والغناء أثناء العزف واللعب، كما جاء في الحديث:

﴿6﴾ عن عبد الرحمن بن عوف ... ولكني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان. (المستدرک للحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر سراري رسول الله ﷺ فأولهن مارية القبطية أم إبراهيم، ج 4، ص 43، رقم 6825)

جاء في الحديث التالي أنه لا يجوز الغناء أثناء العزف:

﴿7﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ... قَالَ "لاَ وَلَكِنْ نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ صَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ خَمْشِ وُجُوهٍ وَشَقِّ جُيُوبٍ وَرَنَّةِ شَيْطَانٍ". (الترمذي،

كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، ص 243، رقم 1005)

في كلا الحديثين، يحرم الغناء مثل الفجار؛ لذلك فإن الغناء المصحوبة بالطبول وغيرها على المقابر غير صحيح. والآن يدعى الفتيات أيضًا في العرس للغناء.

يستدل البعض على جواز القوالي بالأحاديث التالية

يستدل بعض الناس في جواز القوالي بالأحاديث التالية، لكن حجتهم غير صحيحة لأن الأحاديث تذكر فقط الشعر والمديح الذي لم تكن فيه طبول والمزامير وغيرها، والقوالي فيه كل هذه الآلات، فكيف يجوز ذلك؟ هذا هو الحديث:

﴿8﴾ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ، فَقَالَ كُنْتُ أُنْشِدُ فِيهِ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ". قَالَ نَعَمْ. (صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، ص 537، رقم 3212؛ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، ص 1094، رقم 6384/2485)

فقد جاء في هذا الحديث ذكر قراءة الشعر، وقد ورد فيه أيضا أن سيدنا عمر رضي الله عنه كره ذلك؛ لهذا اضطر سيدنا حسان رضي الله عنه أن يأخذ شهادة سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه في هذا الأمر.

﴿9﴾ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ قَالَ حَسَّانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي أَبِي سُفْيَانَ قَالَ " كَيْفَ بِقَرَابَتِي مِنْهُ " . قَالَ وَالَّذِي أَكْرَمَكَ لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ الْخَمِيرِ . فَقَالَ حَسَّانُ وَإِنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ الخ. (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت ﵁، ص 1095، رقم 6393/2489)

في هذا الحديث ، سمح النبي الكريم ﷺ لسيدنا حسان ﵁ أن يقرأ القصيدة.

﴿10﴾ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنًى تُغَنِّيَانِ وَتَضْرِبَانِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسَجًّى بِثَوْبِهِ فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ وَقَالَ " دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ". (صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب إذا فاته العيد يصلى ركعتين، ص 159، رقم 987؛ صحيح مسلم، كتاب صلاة العيد، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، ص 356، رقم 892، رقم 2061)

نظراً إلى هذه الأحاديث يمكن للمرء أن يقرأ بعض القصائد وأيضًا يجوز الضرب على الدف بدون الجلاجل. ولكن بالنظر إلى الحديث يتبين أن الصحابة لم يحبوا هذا كثيرا، فأوقفهم سيدنا أبو بكر ﵁، ولكن بما أنه كان يوم العيد، وكن جاريات صغيرات، فأذن لهن الرسول الكريم ﷺ.

ونرى أنه في اجتماعات العلماء يتلو التلاميذ قصيدة، أو مديحاً للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا يوجد دف ولا تصفيق، فهذا يجوز. وحتى الشيوخ الأتقياء عندما كانوا يتعبون من الذكر، كانوا أحيانًا يستمعون إلى شعر أو قصيدة من أجل النضارة والحيوية، فهو جائز أيضا.

ولكن فيما بعد، جعل الناس السماع والقوالي مصدرًا لكسب الرزق وكان مصحوبًا بآلات موسيقية وما إلى ذلك، وهي أمور ممنوعة تمامًا في القرآن والأحاديث النبوية.

ومن الأمور التي يجب أن نفهمها أن الأغنية التي ورد ذكرها في الحديث كانت بمناسبة العيد أو الفرح، أو أن المشايخ استمعوا إليها في زواياهم، ولكن القوالي السائد يصحب الطبول والمزامير. وعلاوة على ذلك، فإن القبر مكان لتذكر الآخرة، ولا علاقة له مع الأغنية والقوالي على الإطلاق، فقد أصبح الأمر أشبه بغناء الترانيم أمام الأصنام في المعابد.

ويقيم المشركون كل عام معارض قرب معابد أصنامهم ويحتفلون فيها أعياداً يغنون ويسألون عنها ويعبدونها ويسجدون أمامها ويرتكبون الأعمال الشركية الأخرى. فإن احتفال العرس على القبور يشبه هذا، لذا يجب الامتناع عنه.

فهذه آيتان و 10 أحاديث حول هذه العقيدة، وقد تم عرضها بتفاصيلها.

المبحث التاسع والثلاثون

الاستفاضة بالأحياء والأموات

الاستفاضة بالأحياء والأموات مسألة معقدة في هذا العصر.

سنذكر 3 آيات و 4 أحاديث عن هذه العقيدة، وتفاصيلها كما يلي:

هناك طريقتان للاستفاضة:

(1) الاستفاضة بالأحياء

(2) الاستفاضة بالأموات

الاستفاضة الحاصلة بالأحياء

إذا كان هناك 3 سمات في المعلم أو المرشد الروحاني، فيمكن للمرء الاستفادة منه.

(1) الصفة الأولى: أن المعلم أو المرشد رجل صادق مخلص، هدفه الوحيد إصلاح الناس والارتقاء بهم إلى القيام بأعمال الدين. وليس لديه هدف لكسب المال وجمع الثروة من خلال إفادة الناس أو بناء منزله باسم الزاوية؛ إذا كانت لديه مثل هذه الأهداف، فلن تكن هناك فائدة منه.

(2) المعلم أو المرشد يتبع الشريعة، وإذا لم يؤدِ الفرائض، ولم يصم، فماذا ينفع الآخرين؟

(3) لا ينبغي أن يفعل ذلك للرياء والسمعة، ولا يقوم بهذا العمل من أجل الشهرة والاسم. لأنه إذا كان يفعل ذلك من أجل الظهور على شاشات التلفزيون ويوتيوب، فهذا من أجل الشهرة، فما الفائدة التي سيعطيها للناس؟

لذلك، يجب على المرء أن يتفقد ويتوخى عند اختيار المرشد.

يذكر القرآن أربعة أنواع من الفيوض

(1) يقرأ القرآن أمام التلاميذ ويصحح أخطاءهم.

(2) يعلمهم معاني القرآن.

(3) يعلّم الحكمة التي في القرآن أي أحكام الحلال والحرام.

4- يزكي قلوبهم، أي يحاول منعهم من الشرك وغيرها من الذنوب.

وهذا مذكور في القرآن في عدة آيات:

﴿[1]﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [البقرة 2:129]

في هذه الآية أن الرسول الكريم ﷺ أُرسل لأربعة أهداف.

﴿[2]﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [آل عمران 3:164]

﴿[3]﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [البقرة 2:151]

فقد تبين من هذه الآيات أنه إذا كان المعلم أو المرشد صادقًا مخلصاً، فإن هذه الأنواع الأربعة من الفيوض تحصل للمسترشد:

(1) هو يقرأ القرآن أمام التلاميذ ويصحح أخطاءهم.

(2) يعلمهم معنى القرآن.

(3) يعلمهم الحكمة التي في القرآن أي أحكام الحلال والحرام.

(4) يزكي قلوبهم، أي يحاول منعهم من الشرك وغيرها من الذنوب.

إذا كان المريد مخلصاً، فيمكنه الحصول على هذه الأنواع الأربعة من الفيوض المذكورة في القرآن.

يظن البعض أن المرشد يستطيع إعطاء تلميذه شيئًا روحانيًا خاصًا، ويخدمه التلميذ لسنوات للحصول عليه، لكن مثل هذه الأشياء لم تذكر في القرآن والحديث، بل تتحقق الأشياء الأربعة فقط التي تم ذكرها.

ما معنى التزكية؟

يعتقد بعض الناس أن المرشد يعطي تلميذه شيئًا روحانيًا خاصاً، ويستدلون بهذه الآية:

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [البقرة 2:151]

إن هذه الآية لا تعني أي روحانية خاصة بل تعني تطهير الناس بتدريبهم على الزكاة والصدقة فيطهرون من ذنوبهم، كما في تفسير ابن عباس:

"﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم بالتوحيد والزكاة والصدقة من الذنوب." (تفسير ابن عباس)

إذا كان المرشد تقياً يكون أكبر تأثيراً

إذا كان المرشد يتقي الله، وكذلك إذا كان المسترشد مجتهدًا ومخلصًا، فيكون التأثير أكبر. فقد جاء في الحديث:

﴿1﴾ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ . ﷺ . يَقُولُ " أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ " . قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ " خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ". (ابن ماجة، كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له، ص 601، رقم 4119)

في هذا الحديث إن الذين تذكر وجوههم الله هم خيار الناس، فالمرشد من يذكّر وجوده الله وتورث صحبته رغبةً في الآخرة.

وهكذا تتحقق هذه الفوائد الأربعة عندما يكون المرشد على قيد الحياة وتتعلم منه وجهاً لوجه. لكن إذا مات شخص ما، فلا يمكنه أن يعطي هذه الفيوض، لأن سلسلة العمل تنتهي بعد الموت،كما جاء في الحديث بأن إذا مات الانسان انقطع عنه عمله.

ما هي الفيوض التي يمكن أن يجنيها المرء من القبور والأموات؟

كثير من الناس ينسبون الكثير من الفوائد والفيوض إلى الموتى والمقابر، لكن بالنظر إلى القرآن والحديث يُعلم أن زيارة القبور تعود بالفوائد الثلاث التالية:

(1) إنها تذكر الآخرة.

(2) تقلل من اهتمام الإنسان بالدنيا.

(3) إنها تذكرنا الموت، أي أنه يبدأ في التفكير أنه مثل هؤلاء الناس الذين غادروا الدنيا سيترك كل متاع الدنيا بعد أيام قليلة، لذلك يفكر المرء ماذا سيفعل بهذه الشهرة والمال؟

الأفضل أن تشعر بهذه الأشياء الثلاثة بعد زيارة القبور. أما إذا كان الضريح مكانًا للاحتفال والأمور الدنيوية، وبدلاً من تذكر الآخرة يشعر المرء بالترفيه هناك، وكان مصدرًا لتكديس المال، فإنه ليس فيه أية فائدة، بل خسارة أخروية شديدة.

الأحاديث التالية تذكر فوائد زيارة القبور:

﴿3﴾ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ قَالَ "كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ ". (ابن ماجة، باب ما جاء في زيارة القبور، ص 223، رقم 1571)

﴿4﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ زَارَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ: " اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتَ ". (ابن ماجة، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، ص 224، رقم 1572)

وقد ورد في هذين الحديثين ثلاث فوائد:

(1) تورث الزهد والتخلي عن اللذة الدنيوية.

(2) تذكر الآخرة.

(3) تذكر الموت.

هذه هي الفوائد الحقيقية لزيارة القبور.

الأفضل أن تذهب إلى القبر إذا كنت تحصل هذه الفوائد الثلاثة، ولكن إذا ذهبت إليها للاستمتاع بالدنيا، فهذا يضر بآخرتك.

لكن ماذا نفعل؟ اختلق بعض الناس فوائد غريبة لجمع الأموال وكسب الشهرة. كل هذه الأشياء لا أساس لها في القرآن والحديث.

لا يمكن للمرشد أن يعطي فيضاً معنوياً

يعطي بعض المرشدين انطباعًا بأنك إذا خدمته، فسوف يمنحك بعض الفيوض الروحية الخاصة ويخدمه المسترشد لسنوات للحصول عليها. إنهم يستدلون بالحديث التالي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ... وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا " لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعَهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا ". فَبَسَطْتُ نَمِرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرَهَا، حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ ﷺ مَقَالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا. (صحيح البخاري، كتاب الحرث و المزارعة، باب ما جاء في الغرس، ص 377، رقم 2350)

لكن تذكر أن حادثة العطاء هذه حدثت مرة واحدة فقط والتي كانت بمثابة معجزة للنبي ﷺ، وبعد ذلك لم تحدث مرة أخرى.

الغلو في الأعمال المستحبّة

إنها مشكلة كبيرة في هذا العصر أن الناس يبالغون في بعض الأمور المستحبة إلى حد غير صحيح، مع أن الرسول الكريم ﷺ قام به في بعض الأحيان ولم يدع الناس إليه بل قام به الذين كانوا حاضرين هناك فقط.

على سبيل المثال: كان الصحابة يجتمعون بين حين وآخر ويذكرون الله، وقد ثبت ذلك بالحديث، فيجوز ذلك، ولكن الآن شوهد في بعض الأماكن بأنه يُعقد مجلس الذكر ويُعلن عنه لمدة أشهر، ويُجمع التبرعات ويُنفق المال، ويذكرون متأرجحا كما لو كان حفلة رقص. وإذا حاولت إفهامهم بشيء ما، فسوف يستشهدون بالحديث، لكنهم لن يتفكروا أنه كان بغير تخطيط وإعلان، وهو يثير ضجة باسم الذكر، ويذيعه عبر اليوتيوب والانترنيت.

إذا قمت بالبحث والتفحيص، لتجد أنهم، بدلاً من أي ذكر أو خدمة دينية، يقومون بهذه الأنواع من الأشياء لثلاثة أهداف:

(1) لاكتساب الاسم والشهرة بين الناس حتى يتجمع المزيد من الناس.

(2) لإثارة إعجاب الناس بهم.

(3) لجمع الأموال والحصول على الفوائد الدنيوية.

لذلك، من الضروري تجنب العديد من الأعمال المستحبة التي تشتمل على التداعي؛ لأنه كُتب في الدر المختار أنه يكره تداعي الناس للمستحبات؛ لذلك هناك حاجة ماسة إلى تجنب مثل هذه التجمعات.

في أمور مثل زيارة القبور ومناسبات الوفاة والزواج، لوحظ أن بعض الأعمال مستحبة في الأصل، لكن الناس يصرون على ذلك لدرجة تصل إلى مستوى الواجب وتدخل في إطار التداعي.

في بعض الأحيان يتضمن الرياء، وفي بعض الأحيان يضطر المرء إلى إنفاق الكثير من المال ويشعر بالملل أو في بعض الأحيان يضطر إلى أخذ قرض ربوي. لذلك، الغلو إلى هذا الحد في الأعمال المستحبّة ليس بصحيح على الإطلاق.

فهذه 3 آيات و 4 أحاديث عن هذه العقيدة، وقد تم عرضها بتفاصيلها.

المبحث الأربعون

النهي عن الذبح عند القبور

ذبح حيوان وإطعامه للفقراء صدقة. ويجوز شرعا إهداء أجر الصدقة للميت، ولكن يشترط أن يذبح الحيوان باسم الله تعالى. إنما مجرد مسألة ذبح حيوان باسم الله وإهداء الأجر للميت، ولكن الآن أصبح هذا الأمر وسيلةً للرياء والشهرة.

سنذكر 4 آيات و 3 أحاديث عن هذه العقيدة، وتفاصيلها كالتالي:

هناك أربعة أنواع من الذبح، انظر التفاصيل:

(1) الذبح لغير الله

لو لم يذبح باسم الله، أو لم يسم أحدا، أو ذبح باسم غير الله، ففي كل هذه الأحوال يحرم الحيوان. وهذه بعض الآيات القرآنية:

﴿1﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ [الأنعام 6:121]

﴿2﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ [المائدة 5:3]

في هذه الآيات: إذا لم يذبح باسم الله فلا تأكله لأنه لا يحل.

(2) الذبح لصاحب القبر أو للأصنام

الحالة الثانية أن يذبح عند الأصنام أو القبور لإرضاء غير الله. وفي هذه الحال لا يجوز ولو ذبح باسم الله؛ لأنها ذبحت لإرضاء غير الله. يقول القرآن:

﴿3﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ [المائدة 5:3]

﴿4﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة 5:90]

في هذه الآيات: إذا ذبح حيوان عند الأصنام يحرم أكله.

وكذلك جاء في هذا الحديث أنه إذا ذبح لغير الله فلا يجوز وهو ملعون عند الله:

﴿1﴾ عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ بِشَىْءٍ دُونَ النَّاسِ فَغَضِبَ عَلِيٌّ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ وَقَالَ مَا كَانَ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا دُونَ النَّاسِ غَيْرَ أَنَّهُ حَدَّثَنِي بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَأَنَا وَهُوَ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ " لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ". (سنن النسائي، كتاب الضحايا، باب مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ص 614، رقم 4427)

وقد جاء في هذا الحديث أن من ذبح لغير الله فهو ملعون.

(3) الذبح عند القبر

والحالة الثالثة: أن يذبح باسم الله ولكن عند القبر، فهذا مكروه. فقد جاء في الحديث:

﴿2﴾ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لاَ عَقْرَ فِي الإِسْلاَمِ". قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ كَانُوا يَعْقِرُونَ عِنْدَ الْقَبْرِ بَقَرَةً أَوْ شَاةً. (أبو داؤد، كتاب الجنائز، باب كراهية الذبح عند القبر، ص 470، رقم 3222؛ مسند أحمد، مسند أنس بن مالک، ج 4، ص 51، رقم 12620)

وفي هذا الحديث: لا يجوز الذبح عند القبر.

فالذبح عند القبر ممنوع أيضا. ويخشى الوقوع في الشرك بالذبح عند القبر، فينهى عن ذلك، كما في الحديث:

﴿3﴾ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو قِلاَبَةَ، قَالَ حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ". قَالُوا: لاَ. قَالَ: "هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ". قَالُوا: لاَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ". (أبو داؤد، كتاب الأيمان و النذور، باب ما يؤمر به من وفاء النذر، ص 480، رقم 3313)

وفقاً لهذا الحديث، يجب تجنب ذبح الحيوانات في عيد الجاهلية، لأن هذا سيؤدي إلى عبادة الأصنام وتعظيم القبور، وتدريجياً ينخرط المرء في الشرك بالله.

والحقيقة أن المجاورين في هذا الزمان يشجعون الناس على الذبح فقط للحصول على اللحم والحصول على الهدايا، ولذلك يدّعون أن صاحب القبر سيقضي حاجاتهم، فيذبحون الحيوانات عند القبر. فبهذه الطريقة، إنهم يجعلون الناس يتورطون في عمل ممنوع، لذلك يجب على الناس تجنبهم.

(4) الذبح باسم الله بعيداً عن القبر

الحالة الرابعة: الذبح باسم الله في مكان بعيد عن القبر، بلا نية إرضاء صاحب القبر، بل بنية إطعام اللحم للفقراء فقط، فاللحم حلال لأنه ذبحه باسم الله ولم يذبحه عند القبر، لكن سيُكافأ الميت بقدر ما سيُطعم اللحم للفقراء.

والطريقة الصحيحة أن يذبح الحيوان بعيداً عن القبر ويوزع لحمه على الفقراء والمحتاجين، أو يطهيه ويطعمه للفقراء والمحتاجين، فيصل أجر إطعام الفقير إلى الميت. ولكن يشترط أن يكون هذا العمل خالياً من الرياء والسمعة.

وقد جاء في هذا الحديث أن أجر الصدقة يصل إلى الميت:

﴿4﴾ عِكْرِمَةَ يَقُولُ أَنْبَأَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ ـ رضى الله عنهما ـ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ـ رضى الله عنه ـ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهْوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، أَيَنْفَعُهَا شَىْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا قَالَ " نَعَمْ ". قَالَ فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا. (صحيح البخاري، باب

إذا قال أرضي أو بستاني صدقة لله عن أمي، ص 456؛ صحيح مسلم، باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت، ص 716، رقم 4219/1630)

فقد جاء في هذا الحديث أن أجر الصدقة يصل إلى الميت. انظر التفاصيل الكاملة في المبحث الثاني والأربعين فيما يتعلق بإيصال الثواب للميت.

فهذه 4 آيات و 4 أحاديث عن هذه العقيدة، وقد عُرضت تفاصيلها أمامك.

المبحث الحادي والأربعون

النياحة

سنذكر 3 آيات و 5 أحاديث حول هذه العقيدة، وتفاصيلها ما يلي.

إذا لحق الحزن فجأة وخرجت الدموع فلا حرج فيه. لكن هناك شرطان. أحدهما أن لا يخرج من اللسان في مثل هذه المناسبات ما هو خلاف الصبر أو التسليم. والشيء الثاني: ألا يكون البكاء بصوت عالٍ، أو تمزيق الثوب وشق الجيوب، مثل النحيب. هذا لا يجوز. وبالمثل، لا يجوز أن يذكر الحزن مرارًا وتكرارًا لفترة طويلة، ويخبر الناس بأنني حزين جدًا، وكذلك لا يجوز أن يضرب على الصدر ويصرخ.

القرآن يطلب منا أن نصبر على المصائب

لا يعلّم الإسلام النحيب والشكوى في المصائب، بل يعلّم الإسلام الصبر على الشدائد والاستغفار من الله، كما جاء في الآيات التالية:

﴿1﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [البقرة 2:153157]

وهذه الآية تؤكد على الصبر ثلاث مرات، وفيها أن الصابرين ينعمون بالبركات، وهم المهتدون حقاً.

﴿2﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ [البقرة 2:45]

﴿3﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [آل عمران 3:200]

هذه الآيات الثلاثة تؤكد على الصبر، لذا لا يجوز النحيب والنياحة.

نحيب الأقارب يسبب العذاب للميت

في الحديث أن نحيب الأقرباء يسبب عذابا للميت. هذا هو الحديث:

﴿1﴾ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ . رضى الله عنهما . لِعَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ أَلاَ تَنْهَى عَنِ الْبُكَاءِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ". (صحيح البخاري، باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته، ص 206، رقم 1286)

وبحسب هذا الحديث إن نحيب أفراد الأسرة يسبب العذاب للميت.

النحيب ممنوع

إذا أحس بالحزن وسالت الدموع من العين تلقائياً جاز ذلك؛ لأن الرجل مجبر على ذلك. ولكن الصياح بصوت عالٍ والنحيب لا يجوز. إن النحيب والنياحة ممنوعة في الأحاديث. وهذه بعض الأحاديث:

﴿2﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ". (صحيح البخاري، باب ليس منا من شق الجيوب، ص 207، رقم 1294؛ صحيح مسلم، باب ضرب الخدود وشق الجيوب، ص 58، رقم 285/103)

﴿3﴾ حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى ـ رضى الله عنه ـ قَالَ وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا فَغُشِيَ عَلَيْهِ، وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالْحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ. (صحيح البخاري، باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة، ص 207، رقم 1296؛ صحيح مسلم، باب ضرب الخدود وشق الجيوب، ص 58، رقم 288/103)

خروج الدموع تلقائيًا معفوٌّ عنه

فقد جاء في الحديث:

﴿4﴾ قَالَ أَنَسٌ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا إِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ". (أبو داؤد، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ص 485، رقم 3126)

جاء في الحديث أنه إذا خرجت الدموع بشكل تلقائي فهذا طبيعي وليس بممنوع.

وفي حديث آخر:

﴿5﴾ حَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ـ رضى الله عنهما ... فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ ـ قَالَ حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ ـ كَأَنَّهَا شَنٌّ. فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. فَقَالَ سَعْدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا فَقَالَ " هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ". (صحيح البخاري، باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، ص 205، رقم 1284)

فعُلم من هذا الحديث لو أن الدموع سالت بشكل تلقائي بسبب الحزن الشديد، ولم يخرج كلمة شكوى فلا ضرر فيه.

فهذه 3 آيات و5 أحاديث عن هذه العقيدة وعرضت تفاصيلها أمامكم.

المبحث الثاني والأربعون

إيصال الثواب إلى الميت

إهداء أجر الأعمال الحسنة إلى الميت يسمى "إيصال الثواب".

وسنذكر 11 آية و 14 حديثاً عن هذه العقيدة وتفاصيلها ما يلي:

إيصال الثواب عمل مستحب، يمكن للمرء أن يفعله إذا شاء، ولا حرج لو لم يفعله.

خمس نقاط رئيسية لإيصال الثواب

1. أن لا يكون فيه رياء وسمعة، إذا فعل ذلك من أجل التباهي بالناس، فلن يصل الثواب إلى الميت لأن مثل هذا الفعل لا يترتب عليه الأجر على الإطلاق. لذلك من الأفضل أن نعطي باليد اليمنى بينما لا تعرفها اليد اليسرى.
2. يجب ألا يكون هناك اتباع التقاليد والطقوس.
3. إن شئت أن تتصدق، فاعطها للفقراء؛ لأنها حقهم، وإعطائها لهم يُكثر الثواب.
4. أن لا يوجد في إيصال الثواب أي نوع من التبذير.
5. لا يصح دعوة الناس والتجمع لإيصال الثواب.

ولا يحسن إعلان الموت وجمع الناس لأجله، فكيف يحل الجمع لإيصال الثواب والاحتفال والرقص وما يفعله غير المسلمين من الأعمال؟

فقد جاء في الحديث:

﴿1﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالنَّعْىَ فَإِنَّ النَّعْىَ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ". قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَالنَّعْىُ أَذَانٌ بِالْمَيِّتِ. وَفِي الْبَابِ عَنْ حُذَيْفَةَ. (الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية النعي، ص 239، رقم 984؛ ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن النعي، ص 211، رقم 1476)

في هذا الحديث نهي عن إعلان وفاة الميت في الأماكن العامة. نعم، يجوز الإعلام عن صلاة الجنازة، ولكن لا يصح نشر الخبر وجمع الناس.

لما منعت الشريعة عن التجمع رغم أنه وقت الحزن، وهي آخر فرصة لرؤية الميت والصلاة عليه، فكيف تسمح اجتماع الناس لإيصال الثواب وهو فعل يُفعل سرّاً. نعم، إذا اجتمع بعض الناس بغير أعمال ممنوعة، وتلوا شيئًا من القرآن، وأهدوا أجره إلى الميت، فقد أباحه العلماء.

ثلاث طرق لإيصال الثواب

(1) إيصال الثواب بالتصدق:

على سبيل المثال: إعطاء الأجر بالتبرع بالمال وإطعام الفقراء والتصدق بالحيوانات للفقراء وبتضحية الحيوانات وتصدق لحومها.

(2) إيصال الثواب من خلال القيام بأعمال بدنية:

على سبيل المثال: الحج وإيصال أجره إلى الميت، والصوم والصلاة ثم إيصال الأجر إلى الميت.

(3) إيصال الثواب بالقراءة:

على سبيل المثال: تلاوة القرآن والصلاة على النبي الكريم ﷺ وإيصال الأجر إلى الميت، وكذلك الدعاء للميت.

(1) إيصال الثواب بالتصدق

في العقيدة الطحاوية:

"وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات." (العقيدة الطحاوية، رقم العقيدة 89، ص 19)

وفي شرح الفقه الأكبر:

"ومنها: أن دعاء الأحياء للأموات وصدقتهم عنه نفع لهم في علو الحالات." (شرح الفقه الأكبر، مسئلة في أن الدعاء للميت ينفع خلافا للمعتزلة، ص 224)

يعني أن الميت يتلقى فائدة الصدقات التي يتم إيصالها إليه.

وهذه بعض الأحاديث:

﴿1﴾ عِكْرِمَةَ يَقُولُ أَنْبَأَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ ـ رضى الله عنهما ـ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ـ رضى الله عنه ـ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهْوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، أَيَنْفَعُهَا شَىْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا قَالَ " نَعَمْ ". قَالَ فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا. (صحيح البخاري، باب إذا قال أرضي أو بستاني صدقة لله عن أمي، ص 456؛ صحيح مسلم، باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت، ص 716، رقم 4219/1630)

﴿2﴾ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ فَأَىُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قَالَ "الْمَاءُ". قَالَ فَحَفَرَ بِئْرًا وَقَالَ هَذِهِ لأُمِّ سَعْدٍ. (أبو داؤد، كتاب الزكوة، باب في فضل سقي الماء، ص 249، رقم 1681)

﴿3﴾ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَجُلاً، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَإِنِّي أَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ فَلِيَ أَجْرٌ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا قَالَ "نَعَمْ". (صحيح مسلم، كتاب الزكوة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، ص 406، رقم 2326/1004)

﴿4﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الأَضْحَى بِالْمُصَلَّى فَلَمَّا قَضَى خُطْبَتَهُ نَزَلَ مِنْ مِنْبَرِهِ وَأُتِيَ بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ وَقَالَ " بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي". (أبو داؤد، كتاب الضحايا، باب في الشاة يضحي بها عن جماعة، ص 409، رقم 2810)

﴿5﴾ عَنْ حَنَشٍ، قَالَ رَأَيْتُ عَلِيًّا يُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ فَقُلْتُ مَا هَذَا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْصَانِي أَنْ أُضَحِّيَ عَنْهُ فَأَنَا أُضَحِّي عَنْهُ. (أبو داؤد، كتاب الضحايا، باب الأضحية عن الميت، ص 407، رقم 2790)

فقد ورد في هذه الأحاديث أنه إذا تُصُدّق عن ميت أو ذُبح عنه فإن أجره يصل إليه. ولكن يجب أن يخلو هذا العمل عن عن الرياء والسمعة، تجنباً عن مراعاة التقاليد الشائعة والإسراف، وأن يقوم به من حين لآخر، لأنه مستحب فقط.

(2) إيصال الثواب بالأعمال البدنية

فقد جاء في الحديث:

﴿6﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ أَخْبَرَنِي حُصَيْنُ بْنُ عَوْفٍ، قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي أَدْرَكَهُ الْحَجُّ وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحُجَّ إِلاَّ مُعْتَرِضًا . فَصَمَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ " حُجَّ عَنْ أَبِيكَ ". (ابن ماجة، كتاب المناسك، باب الحج عن الميت، ص 620، رقم 2904)

﴿7﴾ عَنْ أَبِي الْغَوْثِ بْنِ حُصَيْنٍ، - رَجُلٌ مِنَ الْفُرْعِ - أَنَّهُ اسْتَفْتَى النَّبِيَّ . صلى الله عليه وسلم . عَنْ حِجَّةٍ كَانَتْ عَلَى أَبِيهِ مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ قَالَ النَّبِيُّ . ﷺ . " حُجَّ عَنْ أَبِيكَ " . وَقَالَ النَّبِيُّ . ﷺ . " وَكَذَلِكَ الصِّيَامُ فِي النَّذْرِ يُقْضَى عَنْهُ ". (ابن ماجة، كتاب المناسك، باب الحج عن الميت، ص 620، رقم 2905)

الحج والصوم عبادة بدنية، فتبين من هذين الحديثين أن أجر العبادة البدنية يمكن أن يُهدَى إلى الميت.

(3) إيصال الثواب بتلاوة القرآن والدعاء

وإيصال الأجر للميت بقراءة القرآن جائز، ولكن تحديد موعد لها، ودعوة الناس إليها، والرقص والغناء بالطبول، والقيام بالتصوير وتحميلها على مواقع التواصل الاجتماعي، كيف يمكن أن تكون مشروعة ومباحة؟

أما الدعاء للأموات فهي ثابتة بالآيات التالية:

﴿1﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ [**الحشر**/10]

﴿2﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ [**نوح**/28]

﴿3﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [**الأحزاب**/56]

قد ذُكر في الآية الأخيرة أن الله والملائكة يصلون على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فأُمر المؤمنون أيضًا بالصلاة على النبي الكريم ﷺ، فالصلاة على النبي الكريم ﷺ عبادة عظيمة.

وقد أُمرنا في هذه الآية بالصلاة على النبي الكريم ﷺ. لو لم يكن عملاً من أعمال الثواب، لما أُمرنا بذلك.

وهذه بعض الأحاديث التي تثبت إيصال الثواب للميت:

﴿8﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ – ﷺ –قَالَ : إِذَا مَاتَ اَلْإِنْسَانُ اِنْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ :صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ

وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. (صحيح مسلم، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ص 716، رقم 4223/1631)

﴿9﴾ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ " اقْرَءُوا { يس } عَلَى مَوْتَاكُمْ . (أبو داؤد، باب القرأة عند الميت، ص 457، رقم 3121)

﴿10﴾ عَنْ هَانِئٍ، مَوْلَى عُثْمَانَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ "اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ". (أبوداؤد، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف، ص 470، رقم 3221)

﴿11﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ ". (أبو داؤد، باب الدعاء للميت، ص 468، رقم 3199)

﴿12﴾ حدثنا صفوان حدثني المشيخة أنهم حضروا غضيف بن الحارث الثمالي حين اشتد سوقه فقال هل منكم أحد يقرء يٓس .... فكانت المشيخة يقولون إذا قرأت عند الميت خفف عنه بها. (مسند أحمد، مسند حديث غضيب بن الحارث ﷺ، ج 5، ص 75، رقم 16521)

وقد جاء في هذا الحديث أن قراءة يس يخفف من شدة الموت.

﴿13﴾ عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه قال لبنيه: إذا أدخلتموني قبري فضعوني في اللحد وقولوا باسم الله و على سنة رسول الله ﷺ وسنوا علي التراب سنا واقرأوا عند رأسي أول البقرة و خاتمها فإني رأيت

ابن عمر يستحبها ذلك. (سنن البيهقى، كتاب الجنائز، باب ما ورد في قرأة القرآن عند القبر، ج 4، ص 93، رقم 7068)

وقد جاء في هذا الحديث أن ابن عمر رضي الله عنهما استحب قرأة يعض آيات سورة البقرة على رأس الميت بعد الدفن.

كل هذه الأحاديث الثلاثة عشر والآيات الثلاثة تدل على أن أجر الصدقة وأجر الدعاء والاستغفار يصل إلى الميت.

والأهم هو أن يدعو المرء دائمًا للموتى، ويجوز القيام بأعمال أخرى بين الحين والآخر، ولكن لا يجوز تحديد موعد، ويجب ألا يتضمن ذلك طقوسًا، ولا سمعة، ولا إسرافاً، ولا تجمعاً، ولا طبولاً، ولا رقصاً، ولا غناءً وغيرها كما هو الحال في معارض غير المسلمين.

يقول بعض الناس أنه لا يجوز إيصال الثواب للموتى

بعض الناس يقول: إن أجر الدعاء يصل إلى الميت؛ لأنه ثبت بالحديث، ولكن لا يصل أجر الصدقات.

هم يستدلون بالآيات التالية:

﴿4﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ [النجم 53:39]

﴿5﴾ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ [الأنعام 6:164]

﴿6﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ [المدثر 74:38]

﴿7﴾ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ [البقرة 2:286]

﴿8﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ [البقرة 2:141]

﴿9﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ [البقرة 2:134]

﴿10﴾ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [البقرة 2:281]

في هذه الآيات السبع أن الإنسان يكافأ على ما يفعله. فهذا يثبت أن المتوفى لا يحصل على أجر من غيره، بل يكافأ ويعاقب لما فعله في حياته.

دلائل جمهور العلماء في جواز إيصال الثواب

لكن جمهور علماء هذه الأمة ذهبوا إلى أن أجر الصدقة وقراءة القرآن يصل إلى الميت لثلاثة أسباب.

1. قد سبق أن نقلنا 13 حديثًا و 3 آيات توضح أن الثواب المرسل إلى الميت يصل إليه. ولولا هذه الأحاديث والآيات لرأينا أن الأجر لا يصل إلى الميت.
2. الآيات السبعة المذكورة تقول إن المرء يكافأ على ما يفعله، لأن هذا هو مقتضى العدل، لكن هذا لا يشمل الثواب الذي يرسلها شخص آخر إلى الميت.
3. الإجابة الثانية التي قدّمها العلماء هي أن المتوفى له أولاد وأقرباء وأصدقاء، فإن تربية الأبناء والصداقة والقرابة أيضًا سبب لكسب الأجر والثواب، فيؤجر على ذلك. وكذلك إذا تسبب في آثامهم وإضلالهم فإنه ينال الذنب أيضا، كما في الآية التالية:

﴿11﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ [النحل 16:25]

وكذلك جاء في الحديث:

﴿14﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا ". (أبو داؤد، باب من دعا إلى السنة، ص 652، رقم 4609)

في هذا الحديث أنه من تسبب في عمل الخير، كان له من الأجر مثل الفاعل. وبنفس الطريقة، إذا تسبب أحد في عمل المعصية وارتكابه، كان له من العذاب مثل الفاعل، لأنه تسبب في المعصية.

في هذه الآية والحديث أنه إذا تسبب أحد في عمل الخير أو المعصية ينال أجره أو عقابه، وبما أن المؤمن استحق الأجر بسبب إيمانه، فإن دفع أحد أجره إليه فيصل ذلك إليه.

لم يرد في الحديث ما يفعل من نذر أو ذبح أو هدية على القبور، بل إنما منع الحديث عن مثل هذه الأفعال. إنما أذنت الشريعة فقط لإيصال الثواب، لذلك يجب على المرء أن لا يجاوزه.

فهذه 11 آية و 14 حديثاً عن هذه العقيدة، وقد بيناه بتفاصيلها.

المقابر محلات مجاوري القبور

الأحاديث تثبت فقط أن يذهب المرء إلى القبور ويدعو للميت، وأحياناً يتصدق على الفقراء، ويستحب ذلك.

ولكن الذي يحدث الآن هو أن بعض مجاوري المقابر تحت ستار هذه الأحكام صنعوا قبابًا كبيرة ووضعوا لمبات لامعة، ويحثون كل من يأتي إليهم أن يعطوا المال ليحقق صاحب القبر كل رغباتهم وأن تكون حياتهم أفضل، وإنهم يتلقون مبالغ طائلة من الذين يقعون في شبكتهم. لذلك، هناك فرق كبير بين زيارة القبر المسموح وبين هذه الإعمال.

ثم لا يتوقفون هنا، بل يدعون الناس لزيارة القبر كل خميس أو في احتفال العُرس وما إلى ذلك من خلال الحيل المختلفة. وعلاوة على ذلك، يتألف مهرجان العُرس من القوالي ورقص العاهرات والخرافات طوال الليل. في الواقع، تبدو المهرجانات الهندوسية تافهة بالمقارنة مع هذه المهرجانات السائدة في العُرس.

وقد أذن العلماء زيارة القبور فقد بأنها تذكر الموت والآخرة، وإنها تصرف القلوب عن الأمور الدنيوية. لكن في هذا الزمان، على العكس من ذلك، يقع المرء في الخطايا على هذه المقابر باسم الدين بأن يظهر العالم وألوانه بشكل مبهر لدرجة أن كل فتى وفتاة يتوقون للحصول عليه.

هناك فرق شاسع وبون بعيد بين عمل مستحب أجازه العلماء وبين الرقصات والاحتفالات وأنشطة أخرى كثيرة غير إسلامية!

المبحث الثالث والأربعون

سماع الموتى

سنذكر 4 آيات و 7 أحاديث حول هذه العقيدة.

هل يسمع الموتى أم لا، هذه قضية معقدة وصعبة للغاية. هناك ثلاث مدارس فكرية فيما يتعلق بسماع الموتى، والجميع لديها أدلة.

(1) أحدها: أن الموتى لا يسمعون.

(2) القول الثاني: أن الموتى يسمعون.

(3) والقول الثالث: أنهم لا يسمعون كل شيء، بل يسمعون ما يريد الله منهم أن يُسمعهم بالملائكة أو بغير ذلك من الوسائل.

ملاحظة: عندما يوجد هناك خلاف في سماع الموتى، فكيف يُسمح للإنسان أن يطلب من الأنبياء أو الأولياء أن يقضوا حاجاتهم، وكيف يجوز أن يطلق عليهم بأنهم "قاضوا الحاجات"!

القول الأول: إن الموتى لا يسمعون

فيما يلي بعض الآيات المتعلقة بهذا القول:

﴿1﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ [النمل 27:80]

﴿2﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ [الروم 30:52]

﴿3﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ [فاطر 35:22]

في هذه الآيات الثلاثة، قال الله سبحانه وتعالى للنبي الكريم ﷺ أنه لا يمكنك أن تجعل الموتى يسمعون، نعم يستطيع الله أن يُسمع من يشاء. نظراً إلى هذه الآيات قال بعض أهل العلم أنه لا يمكننا أن نُسمع الموتى، نعم يستطيع الله أن يُسمع من يشاء.

وذهب السيدة عائشة رضي الله عنها إلى أن الميت لا يسمع، وما رواه الرسول الكريم ﷺ كان معجزة عنه في ذلك الوقت فقط. لذلك، في هذا الحديث، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها إن الموتى لا يسمعون ، ولهذا تلت الآية 27:80.

كما في هذا الحديث:

﴿1﴾ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَلِيبِ بَدْرٍ فَقَالَ {هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ثُمَّ قَالَ إِنَّهُمُ الآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ} فَذُكِرَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ " إِنَّهُمُ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ". ثُمَّ قَرَأَتْ: إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى، الآيَةَ. (صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ص 671، رقم 3981/3980)

في هذا الحديث، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: إن الميت لا يسمع، لكن النبي الكريم ﷺ قال إن أهل بدر الآن يعرفون أن ما قلته لهم كان حقا. وهذا يؤيده أيضًا تفسير سيدنا قتادة رحمه الله:

﴿2﴾ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ ... فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ ... فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ... فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ". قَالَ قَتَادَةُ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا." (صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ص 671، رقم 3976)

يقول سيدنا قتادة رحمه الله أن الله أحياهم ليسمعوا كلام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم توبيخًا وعارًا وعقابًا.

وبحسب تفسير سيدنا قتادة، فإن الموتى لا يسمعون، ولكن الله أحيي كفار قريش، وجعلهم يسمعون كلام الرسول الكريم ﷺ لإذلالهم، فهذه معجزة الرسول الكريم ﷺ، وإلا في الظروف العادية الموتى لا يسمعون.

تبين من هذه الآيات الثلاثة والحديثين أن الموتى لا يسمعون.

القول الثاني: إن الموتى يسمعون

الطائفة الثانية التي تقول بأن الموتى يسمعون تقدم الأحاديث التالية:

﴿3﴾ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ أَخْبَرَهُ قَالَ اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْقَلِيبِ فَقَالَ " وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ". فَقِيلَ لَهُ تَدْعُو أَمْوَاتًا فَقَالَ " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لاَ يُجِيبُونَ". (صحيح البخاري، باب ما جاء في عذاب القبر، ص 220، رقم 1370)

هذا الحديث يدل على أن الموتى يسمعون.

﴿4﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قَالَ "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولاَنِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هذا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. (صحيح البخاري، باب الميت يسمع خفق النعال، ص 213، رقم 1338)

جاء في هذا الحديث أن الميت يسمع صوت الأحذية.

﴿5﴾ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ من صلى علي عند قبري وكل بهما ملك يبلغني و كفى بهما أمر دنياه و آخرته وكنت له شهيدا أو شفيعا، هذا اللفظ حديث الأصمعي، وفي رواية الحنفي قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا أبلغته. (البيهقي في شعب الإيمان، باب في تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره، ج 2، ص 218، رقم 1583)

جاء في هذا الحديث أنه إذا قرأ أحدهم الصلاة على النبي ﷺ قرب قبره فهو يسمع، وإذا قرأه من بعيد يبلغها الملائكة إليه. قد وصف بعض علماء هذا الحديث بالضعف.

القول الثالث: الموتى لا يسمعون بل يسمعون بقدر ما يشاء الله

هذه الطائفة تستدل بالآيات والأحاديث التالية:

﴿4﴾ **وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** [فاطر 35:22]

في هذه الآية أن أهل القبور يسمعون ما شاء الله لهم أن يسمعوا، ولا يُسمعهم أحد.

وفي الحديث:

﴿6﴾ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَىَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَىَّ " . قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ يَقُولُونَ بَلِيتَ . فَقَالَ " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ". (أبو داؤد، باب في الاستغفار، ص 226، رقم 1531؛ ابن ماجة، باب في فضل الجمعة، ص 152، رقم 1085)

في هذا الحديث أن الصلاة على النبي ﷺ يُعرض عليه، فهو لا يسمع من بعيد، بل يرسل إليه.

﴿7﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَىَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ". (أبو داؤد، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، 296، رقم 2042)

ويتضح من هذه الأحاديث أن الرسول الكريم ﷺ لا يستمع مباشرة، بل ينقل إليه، ويُعرض عليه.

كان أحد أساتذتي يقول إن الجمع بين الحديثين والآيتين يدل على أن الموتى لا يسمعون أنفسهم، لكنهم يسمعون ما يريد الله لهم أن يسمعوه. هذا هو الرائ السليم والمتوازن الذي يجمع بين نوعي الآيات والأحاديث. والله أعلم.

فهذه 4 آيات و 7 أحاديث عن هذه العقيدة، وقد قُدمت بتفاصيلها.

المبحث الرابع والأربعون

أشراط الساعة

سنذكر 3 آيات و 16 حديثاً عن هذه العقيدة وتفاصيلها كالتالي:

أشراط الساعة الكبرى:

(1) الدخان

(2) ظهور الدجال

(3) خروج دابة من الأرض تكلم الناس

(4) طلوع الشمس من مغربها

(5) نزول سيدنا عيسى عليه السلام من السماء إلى الأرض

(6) ظهور يأجوج ومأجوج

(7،8،9) خسف في ثلاثة أماكن؛ واحد في الشرق وواحد في الغرب وواحد في شبه الجزيرة العربية

(10) اندلاع نار تجمع الناس إلى المحشر.

كما أن هناك أشراط أخرى للساعة.

نؤمن بهذه الأشراط للساعة

قد نؤمن بهذه الأشراط للساعة، لأنها ثابتة بالآيات والأحاديث. وقد ورد ذكر هذه العلامات العشرة في حديث واحد وهو:

﴿1﴾ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ " مَا تَذَاكَرُونَ " . قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ . قَالَ " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ " . فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلاَثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ . (صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب فِي الآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ، ص 1256، رقم 7285/2901؛ أبو داؤد، كتاب الملاحم، باب أمارات الساعة، ص 605، رقم 4311)

ستقع هذه العلامات العشرة الكبرى قبل يوم القيامة.

سوف يعود سيدنا عيسى عليه السلام إلى الأرض

فقد ذُكر في كثير من الأحاديث الصحيحة أن سيدنا عيسى عليه السلام قد رُفع إلى السماء، وأنه سينزل إلى الأرض مرة أخرى قرب قيام الساعة، وسينفذ شريعة النبي الكريم ﷺ، فلن يكون له شريعة خاصة، بل يكون من الأمة

المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام؛ لأن الرسول الكريم ﷺ هو خاتم الأنبياء، ولا نبي بعده، ومن يدعي النبوة بعده فهو كاذب.

ادعى بعض الناس أيضًا عن نفسه بأنه عيسى، لكن دعواه باطل تمامًا، لأن سيدنا عيسى عليه السلام سينزل في نهاية الزمان، ويقتل الدجال بيديه، وأولئك الذين يدعون إنهم لن يفعلوا ذلك أبدًا لأنهم ما رأوا المسيح الدجال ولم يقتلوه، فادعاؤهم باطل تمامًا.

فيما يلي بعض الآيات التي تثبت أن سيدنا عيسى عليه السلام سينزل:

﴿1﴾ ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء 4:158159]

قد ذكر في تفسير ابن عباس تحت تفسير هذه الآية بأن المسيح سيدنا عيسى عليه السلام سينزل إلى الأرض، وأن أهل الكتاب سيعتنقون الإسلام.

وكذلك جاء في هذا الحديث:

﴿2﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ... "فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لاَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ ". (صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب فِي فَتْحِ قُسْطُنْطِينِيَّةَ وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ص 1254، رقم 7278/2897)

﴿3﴾ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، ص 77، رقم 389/155)

﴿4﴾ قَالَ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ ". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، ص 77، رقم 392/155)

﴿5﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ... قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ تَدْرِي مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ قُلْتُ تُخْبِرُنِي. قَالَ فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تبارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ. (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، ص 77، رقم 394/155)

تدل هذه الأحاديث على أن سيدنا عيسى عليه السلام سينزل إلى الأرض مرة أخرى، وسيتبع شريعة النبي مُحَمَّد ﷺ.

الامام المهدي

فإن ظهور الإمام المهدي من آيات الساعة. سيكون اسمه محمدًا واسم والده عبد الله. ويكون من ذرية السيدة فاطمة رضي الله عنها بواسطة سيدنا حسن رضي الله عنه.

سيبايع المسلمون على يديه ويكون آخر خليفة للمسلمين. بينما هو يصلي في المسجد، إذ ينزل سيدنا عيسى عليه السلام من السماء ويؤدي الصلاة خلف الإمام المهدي. ثم يقاتلون المسيح الدجال ويقتل سيدنا عيسى عليه السلام الدجال.

وهذه بعض الأحاديث في هذا الشأن:

﴿6﴾ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "يَكُونُ اخْتِلاَفٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ... وَيُلْقِي الإِسْلاَمُ بِجِرَانِهِ إِلَى الأَرْضِ فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ." (أبو داؤد، كتاب الملاحم، باب أول كتاب المهدي، ص 602، رقم 4286)

﴿7﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي". (سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، ص 512، رقم 2230)

﴿8﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ، بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ "إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا" ... قَالَ " فَيَجِيءُ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَيَقُولُ يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي" . قَالَ " فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ". (سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، ص 512، رقم 2232)

فعُلم من هذه الأحاديث أن الإمام المهدي سيظهر قرب القيامة ويصبح خليفة المسلمين، وستكون هناك انتصارات كثيرة للمسلمين، وستكون ثروة كبيرة في عصره.

المسيح الدجال

المسيح الدجال إنسان سيخرج قرب قيام الساعة، يمنحه الله سبحانه وتعالى قوة كثيرة، وهو يدعو الناس إلى الكفر ويجبرهم عليه. وهذه بعض الأحاديث في هذا الشأن:

﴿9﴾ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ، قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلاً عَنِ الدَّجَّالِ ... فَيَقُولُ الدَّجَّالُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ فَيَقُولُونَ لاَ. فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ. فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ. (صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لاَ يَدْخُلُ الدَّجَّالُ الْمَدِينَةَ، ص 303، رقم 1882)

﴿10﴾ إن عبد الله ابْن عُمَرَ ـ رضى الله عنهما قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ "إِنِّي لأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ". (صحيح البخاري، باب ذكر الدجال، ص 1227، رقم 7127؛ صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ص 1269، رقم 7361/2932)

﴿11﴾ عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي الدَّجَّالِ "إِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَمَاؤُهُ نَارٌ ". (صحيح البخاري، باب ذكر الدجال، ص 1228، رقم 7130)

﴿12﴾ أَنَّ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِيذُ فِي صَلاَتِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ. (صحيح البخاري، باب ذكر الدجال، ص 1228، رقم 7129)

فإن خروج الدجال فتنة عظيمة، فعلينا أن نستعيذ منه. وهو أيضا من علامات الساعة.

ظهور يأجوج ومأجوج

فإن يأجوج ومأجوج هم طائفة من البشر التي ستظهر بالقرب من يوم القيامة وستحدث ضجة كبيرة في العالم كله. وهذه الآية عنهم:

﴿2﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ [الأنبياء 21:96]

وفي الحديث:

﴿13﴾ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ " لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ". وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً. (صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن و أشراط الساعة، ص 1246، رقم 7235/2880)

فقد تبين من هذه الآية والحديث أن يأجوج ومأجوج سيطلق سراحهم قبل قيام الساعة.

طلوع الشمس من المغرب

فقد جاء في الحديث:

﴿14﴾ حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، رضى الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ". (صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لا ينفع نفسا إيمانها، ص 793، رقم 4635)

خروج الدابة

سيخرج حيوان غريب بالقرب من يوم القيامة ويتكلم مع الناس، وفي ذلك الوقت يغلق باب التوبة. فإن خروج الدابة مذكورة في هذه الآية:

﴿3﴾ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ** [النمل 27:82]

بعض آيات الساعة الأخرى

مع اقتراب يوم القيامة، يفشو الزنا والأغاني وشرب الخمر، ويظهر الجهل بالدين، وسوء معاملة الأولاد مع والديهم، ويتنافس الناس في بناء المباني الشاهقة.

وهذه الأمور مذكورة في الأحاديث التالية:

﴿15﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ... وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ، (صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، ص 12، رقم 50)

﴿16﴾ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ، رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لاَ يُحَدِّثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُهُ مِنْهُ "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَفْشُوَ الزِّنَا وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ وَيَبْقَى النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ". (ابن ماجة، كتاب الفتن، باب أشراط الساعة، ص 584 رقم 4045)

فهذه 3 آيات و 16 حديثًا عن هذه العقيدة، وقد عُرضت تفاصيلها أمامك.

الختام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله مُحَمَّد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

الحمد لله فقد تم هذا الكتاب اليوم وهو كتاب مهم في حياتي.

ثمير الدين القاسمي

مانشستر، بريطانيا

2018/02/02